

لَوَيْسُ الْحَاجِّ

الْحَيْسُ الْفَرَنْسِي

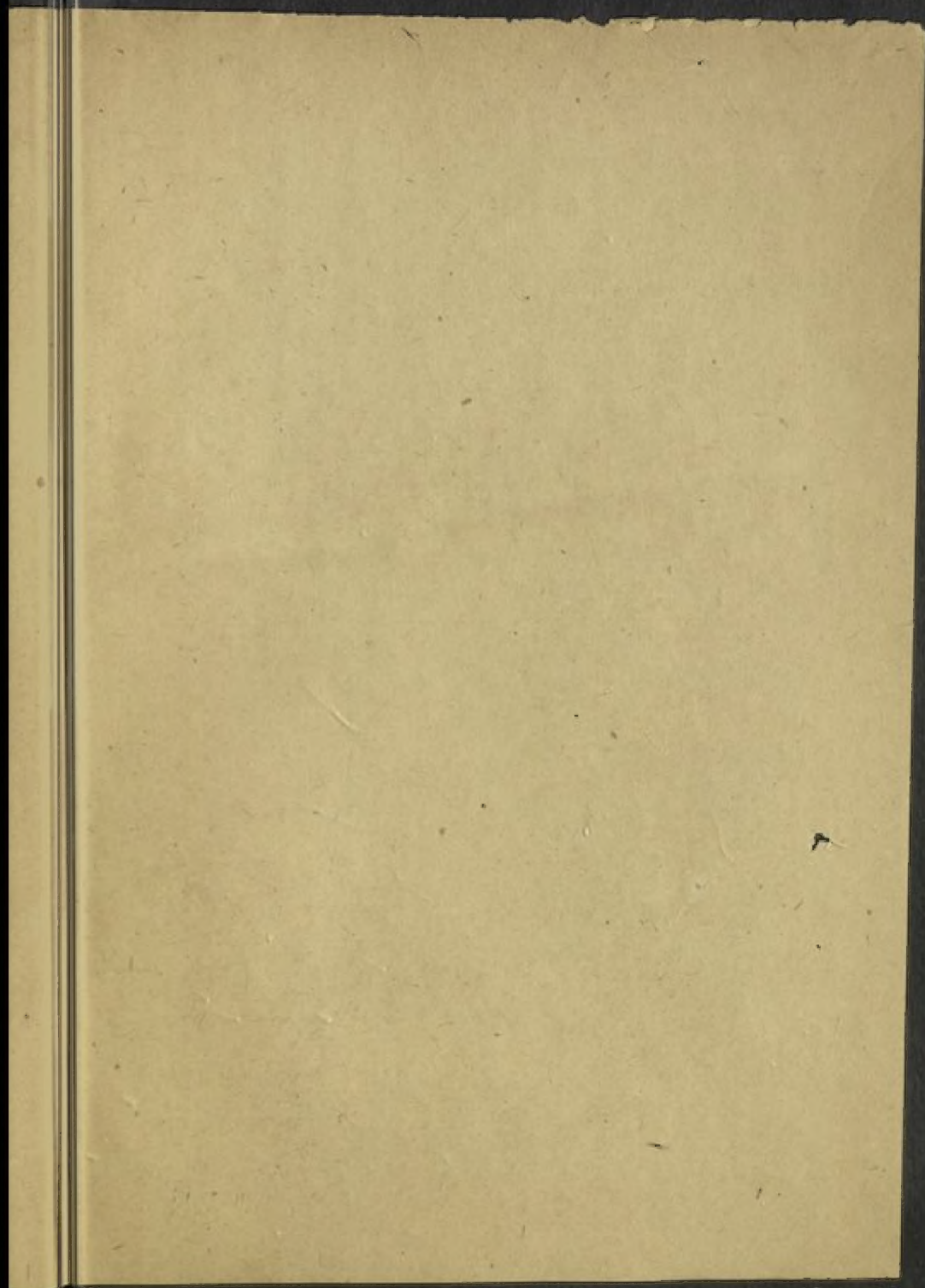
دَارُ الْمَكْشُوفِ ، بَيْرُوتَ

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A.U.B. LIBRARY

الجيش الفرنسي



لَوَيْسُ الْحَكَاةِ

940.541
H154jA

الْحَيْسُ الْفَرَسِيُّ

منشورات دار المكشوف

طبع من هذا الكتاب خمسة الاف نسخة على ورق اعتيادي ، وخمسون
نسخة على ورق جيد غير معروضة للبيع .

الطبعة الاولى ، ١٩٤٥

جميع الحقوق محفوظة

القرن

لم يحتل جيش في تاريخ امة المكانة التي احتلها ويحتلها الجيش الفرنسي في تاريخ الامة الفرنسية . فقد كانت المؤسسات العسكرية وما تزال دعامة الوطن الفرنسي وسياسه ، ساهمت في انشائه وحالت دائماً دون تصدعه تحت ضربات تنهال عليه من داخل او تسدد اليه من خارج .

بالجيش استطاعت الملكية الفرنسية ان تفرض نفسها وان تحقق الوحدة الوطنية في بلد ضم خليطاً من العناصر ، متعددة الميول والاهواء . ذلك بان اخوة السلاح اوجدت الذكريات المشتركة بين اقوام كانت الارض الواحدة قد شديتهم بعضهم الى بعض .

وبالجيش فرضت فرنسا الموحدة نفسها على اوروبا دولة عظمى . وبه حال فرنسوا الاول وهنري الرابع ولويس الثالث عشر و « الملك الشمس » دون سيطرة الامبراطورية الجرمانية على القارة وحفظوا لفرنسا حدودها الطبيعية .

ولولا الجيش لما آتت الثورة ثمارها . ففي « فالمي » انقذ جيش الشعب فرنسا الجديدة واستخلص حقوق الانسان . وما انفك منذ ذلك سباج الوطن وحارس السلم وحامي الحضارة . ذلك بان موقع فرنسا الجغرافي يحتم عليها التدخل في كل نزاع ينشب في القارة الاوروبية . وهي اذ تتدخل انما تنهد لاداء رسالة سامية : احقاق الحق ورفع المظالم . ومن هنا كانت تسميتها « جندي الحق والعدالة » ، ما يجعل لها هذا الاشعاع المعنوي في العالم .

من الخطأ الاعتقاد ان تنظيم الجيش الفرنسي وتطوره واجاده وليدة الصدف ، او انها عمل رجال لم يكونوا اكثر من آلات في يد القدر . فقد خضع تنظيمه وتطوره لقواعد وقوانين ما يزال اكثرها نافذاً . واجتاز منذ نشأته الى اليوم مراحل ذاق خلالها حلاوة الظفر في مناسبات المواقع وذاق مرارة الهزيمة في عشرات منها . فكان في كلا الحالين جديراً بتقاليده اميناً لرسالته . وهي تقاليد ورسالة قلما نجد مثلها في جيوش البلدان الاخرى .

ان لويس الحاج ، الذي سبق له ان نقل الى العربية « نحو الجيش المحترف » لمؤلفه الجنرال شادل ده غول ، والذي اتاحت له مطالعته واشغاله القلمية مراقبة تطور المؤسسات العسكرية في

العالم عامة وفي فرنسا على الاخص ، يقدم الى قراء العربية تاريخ
الجيش الفرنسي ، مدفوعاً بالرغبة المخلصة في تعريف هذه المؤسسة
اليهم ، في الوقت الذي يمنح الشرق العربي الى انشاء القوى المسلحة
ليجعل منها سياج الاستقلال ودعامة البنيان القومي .

ولا ريب عندي في ان المهمة التي اضطلع بها لويس الحاج
تمهر المكتبة العربية بكتاب نفيس وتضع في متناول محبي
الاطلاع ، ولا سيما الذين يعنون بالشؤون العسكرية من الناطقين
بالضاد ، سراً يوفر عليهم تقليب بطون التواريخ لاستخلاص ما
يتوقون الى معرفته من نشأة الجيش الفرنسي وتطوره خلال
العصور .

الفريق **هيباو**

القائد الاعلى للقوات الفرنسية في المشرق

نوتة

يحاول الفرنسيين ان يصفوا انفسهم بانهم شعب عسكري وان يعرف لهم الناس هذه الصفة . وهم يعلمون هذا لا يدعون ميزة ليست لهم . « ففرنسا مدينة للسيف بوجودها واستمرارها . » امتشقت الحسام منذ نشأتها وما انفكت منذ ذلك تناضل في سبيل البقاء . لهذا كان تاريخ الجيش الفرنسي هو نفسه تاريخ الامة الفرنسية . استطاعت فرنسا ان تتوحد وان تستقل بجهد ابنائها ، ولم يذكر التاريخ ان فرنسياً واحداً وقف حسامه على خدمة دولة اجنبية لان الوطن كان دائماً في حاجة الى سواعد ابنائه جميعاً .

تولت الطبيعة نفسها رسم الاطار الارضي للدولة الفرنسية . ونظمت بلاد الغول الرومانية نفسها ضمن هذا الاطار . وقبض لكلويس في وقت ما ان يجمع فيه العناصر التي تألفت منها الامة الفرنسية فيما بعد . وقد ناضت هذه الامة دون هوادة لتجبا حياة حرة داخل حدود طبيعية ليست كلها واضحة وقوية : فقد كانت الحدود الشمالية الشرقية وما تزال تشكل نقطة الضعف في كيان فرنسا بل تشكل مأساة رائعة في تاريخها .

استطاع الفرنسيون ، بعد جهاد طويل وشاق ، تطهير المناطق التي استولى عليها الفانغون والغزاة في الجنوب والشمال والشرق . ومنذ ذلك قام بحر المانش وجبال الالب والجورا والبيرنه حدوداً طبيعية بين فرنسا واعداء الامس . وبقيت قيد التصفية الحدود الشمالية الشرقية وسها اذا شئت مسألة الرين .

طرح هذه المسألة في عهد الامبراطور «شارلمان» . وعزلت في عهد قليب
الجميل وشاول السابع ولويس الرابع عشر . ولم تغفل شأنها الثورة والامبراطورية .
وفي نزاع ١٩١٤ — ١٩١٨ اتبرت بشكل جدي ولكنها لم تحل ، مع الاسف ،
في مصلحة السلامة الفرنسية . وهكذا ظلت فرنسا مكشوفة من الشمال الشرقي
لان الون ، عظامها الطبيعي الوحيد من هذه الناحية ، ظل يجري في ألمانيا .
فما دامت فرنسا قائمة ومن حولها جيران اقرباء يطعنون بها فذلك او
يسعون الى ازالتها من الوجود ، ينبغي للامة الفرنسية ان تظل هي ابدا :
امة قوية منجبة بالفضائل العسكرية .

الفصل الاول

اقدم الجيوش الفرنسية

— النوليون —

في القرن التاسع قبل الميلاد عبر السلتيون نهر الرين ولكنهم لم يتوغلوا جنوباً الا في القرن السادس . وما ان قت لهم الغلبة على قبائل الليفوريين حتى اجتاز الايبيريون (سكان اسبانيا والپورتغال) ممرات الپيرني واحتلوا سفوحها الشمالية . وهكذا اخضعت بلاد الغول تضم خليطاً من الغزاة : السلتيون والايبيريون والليفوريون . ومن هذا الخليط تكونت امة ذات رأس ما عنت انت اندفعت في مصار القنص .

كان الليفوريون سمر الشرة ، تخاف البنية ، لا يزد طول الواحد منهم على باعين . واشتهروا بشدة البأس وبالصبر على المكاره . ويرعوا في الصيد والقنص . ولكنهم كانوا قليلي الميل الى الحرب ، لا يترجون ارضهم في طلب الرزق . ولا يسعون الى التوسع على حساب الجيران . وحققهم المؤرخون بانهم قبائل مسالمة تؤثر الارض والقنص على الغزو . وكان القلاع سلاحهم الوحيد . لهذا لم يقووا على صد السلتيين .

كان هؤلاء عمالقة شعورهم شقاء وعيونهم زرقاء . اشتهروا بالقزوع الى السبطرة ونحلو بشجاعة ليس بينها وبين النهور كبير فرق . وقد عبروا الرين

مسلحين بالمقاليع وبآلات قاطعة من البرونز . وما لبثوا أن سطروا الجند
لخدمة مارس . إلى الحرب . فضعوا منه السيوف الطويلة .

لما الإيبيريون قد عبطوا بلاد الغول بحيزن بسيف قصيرة ذات حدين
وكانوا يجرئون أحراراً يتقدم كل عرج فارس الصف بالشاطئة والأقدام .

كانت هذه الأقوام تتبع في الحظوظ السياسي والعسكري نظام القبائل
المعروف . فتضع امر معينة تحت سلطة رئيس ، ماونه في ميث عقس القبلة
المؤلف من رؤساء الأبر . وكان يتبعون على كل رجل خال من العاصات .
يخرج إلى الحرب إذا كانت القبلة غاربة . أما إذا كانت هدفاً للغزو والرحال
والسوء يجرئون دفع الخطر دون ما استثناء .

وكان مجلس القبلة يصرف شؤون الرعية وينظر في الظلمات ويفصل في
المنازعات في اجتماعات خاصة بمقد برئاسة الزعيم أو من يقوم مقامه .

فروحات القوتلين . - في القرون الرابع قبل الميلاد تحولت قبائل السنتي
بضيق المدي الجبوي في بلاد الغول . وكان اكتظاظها فتجعل منها شدة أمة .
فراغها هذا دلسوا إلى السيطرة ورغبة في التوسع . فبدأت الغزوات الخارجية
سلوكه رادي الرون والفاذ إلى إيطاليا . وحصد المؤرخون الجماعات التي نهبت
لفتح الأمصار الثلاثة ألف رجل لتجهم عيالهم . وقد حاصمت الحملة مقاومة
معيقة منذ جبال « الأبيزان » لأنت روما لمتهبات بقوة هؤلاء البرابرة الذين
« وضعوا يدهم على ديموس الخراب » ولم تحاول وقفهم إلا عندما شرعوا
في زعيم اليها قلاع جبرهم وجيادهم السهل والجبل . فثبتت بين القرطيين
معركة حامية الروماني عند ملتقى نهر تير وألبا (على بضعة أميال من
روما) هزم الغزاة اسماهم بفضل مناورة بارعة لحسا اليها فالدم بروموس ،
والدفعوا نظير روما ودخلوها وهم مدحوشون لما انحزروا من نصر وساء بلغوا

من سؤدد .

وافقت روما على دفع حوافر الجياد وحلبيل السيوف ، وافقت من سائنها لتلقى الغزاة بعزيمة ماضية . وكانت ان صمد الرومانيون في الكايتول ذلك الصود العجيب ، فأتوا بروموس الانسحاب بعد ان اعياء النفاذ الى الكايتول وعطش من جيشه خلق كثير بالطاعون والصكولوا وشق الامراض والابنة ، وقد فرض على روما قيل انسحابه غرامة كبيرة فدفعها صاغرة .

في هذه الاثناء كانت جيخافل اخرى من السلتين قد ظهرت في اوروا الوسطى وسلكت طريق المشرق . بيد ان شهرة اسكندر المقدوني كجيت بماجهم فلم يتجاوزوا كورثيا . وبعد مدة اجتاحوا البلقان واليونان وهما طروادة غسبا ولكنهم صرخوا النثر غسبا في المحطة الاخيرة ليعودوا ابراجهم يسوقون امامهم فوافل السي وذهب البلقان .

وقد استؤك في هذه الغزوات ستة قيادة غوليين . وبرد المؤرخون انتصاراتهم الى عوامل عدة منها تفوقهم العددي الساحق . فقد كان عدد سكان الغول في القرن الرابع قبل الميلاد يراوح بين ٢٠ و ٢٥ مليوناً . ومنها نظامهم العسكري الممتاز نسبياً . فقد كان المتخلفون عن القرعة العسكرية دون سبب مشروع بحرقون احياء بعد محاكمة علنية . وكان للجيخافل قيادة عامة ولكل جيخافل قائد خاص به . وقد امتاز الغوليون من اعدائهم بالشجاعة والاقدام ونكران الذات .

الجيش الغولي الاول . - اجتاح بروموس إيطاليا بجيش يضم ٢٢٠ ألف مقاتل ، منهم عشرون ألف فارس يؤلفون النخبة في الجيش الغولي . وقد ابرزت معركة نهر التيبر أهمية الحيلة في حرب الحركات ، فعاظم شأنها من

ذاك وصار الانحراط فيها خاضعاً لشروط معينة ، كأن يكون الفارس من الخاصة أو ممن برهنوا في القتال عن شجاعة فادرة .

وكان السيف الحديدي سلاح الغوليين المفضل . طوله متر وعرضه أربعة سنتيمترات . أما الرمح فقد كان استعماله شائعاً قبل الفتوحات الكبيرة ومثل القوس والنشاب . ذلك بأن الغولين ، في اندفاعهم وحاستهم ، تجاهلوا قواعد الهجوم المدرسية التي كانت وما زالت تقضي بنك العدو والعمل على بثرة صفوفه قبل السعي الى الالتحام وایاه . وكانت الرماح والنبال تقوم بالهمة المؤكولة في ايامنا الى المدفعية والطيران .

كذلك كان الغوليون في اندفاعهم وحاستهم وفي اعتمادهم على قوتهم الجسدية ، يستهينون بالامسحة الدفاعية اسلحتهم بالخطر نفسه . كانت تروسهم رفيقة تغطي حاملها من قمة الرأس حتى الخصر القديين . ولكنها كانت تعوق حركات المقاتل الراجل . اما الفارس فقد كان يجد مضاعفة في حمل الحجن ويبرز الى الميدان مكشوف الصدر والظهر .

ولم تكن عروج الغوليين وخوذهم احسن حالا من القروس ، كانوا صنعونها من البرونز ويحفرزون عليها شارات ورموزاً وتعاوذة ترمي الى التقاء الرعب في قلب العدو .

التكتيك . - يذكر المؤرخ « نيت ليف » ان الغولين كانوا يخرجون لقاء العدو جماعات متراصة ، سواء في ذلك الفرسان والمشاة . وكان هؤلاء يخرجون الكتف على الكتف تتوالت تروسهم المتلاحقة فتاعة لا نهاية له . ولم يشهد الغوليون وجهة عسكرية معينة اساساً لتنظيم الجيش ، بل كانت جماعاتهم تتوالت في القتال وحدة كبرى تصعب قيادتها وتوجيهها . ويقول المؤرخ « نيت ليف » ان الفرسان كانوا ينقضون على العدو

أولاً : فإذا انقضت مدة القتال ، طارده الحيلة وأخذت فيه سبيلها .
 أما إذا صدحت غو فسدت المشاة إلى الالتصام وإياه ، ويتفرغ الفرسان
 لضرب حياجه . وقد استعانت الجحافل الغولية بالكلاب الضخمة على
 سحق مقاومة العدو . وهي كلاب روضت وتربت على القتال تدريباً تاماً .
 من تقاليد الحرب التي حملها السلتيون إلى بلاد الغول الفتك بالعدو ولو
 كان السلاح . وكانت حببتهم أن تسري الحرب يعوقون محلات القنح والقزم
 لأن موزم وسوقهم إلى المؤخرة وحراسهم تقتضي مجيئهم عدد كبير من المقاتلين
 بعد انهم الرؤساء بينهم المهام . ومن تقاليد السلتيين أن يعود الشياوس أن
 الساحة وقد وضع في عتق حرسه عدداً من رؤوس الأعداء .

أ هذه التقاليد البربرية مضافاً إلى شجاعة الغوليين وقوتهم العددي هي التي
 أسبب لهم السيطرة على أوروبا رغم آلتهم الحربية المخرقة . وسببها أن نميز
 هذه الآلة من اثبات وجودها وأن يسي التفوق العددي عديم الفع والقيمة
 أمام روما الواضحة ، ذات الجيش المنظم والوسائل المهيمنة المنفردة والموارد
 التي لا تنضب .

نشرت روما لشدة صلاحها وتربها للاختلاف بالنار منذ أن بدأت جحافل
 السلتيين تجلو عن إيطاليا . إلا أن جحافلها لم تنفذ أرض الغول إلا بعد مرور
 من وحسين عاماً على انتهاء الفتوحات الغولية . وقد تعاضل شأن روما خلال
 هذه المدة بقدر ما تضائل شأن الغوليين الذين ابتطروهم الثراء فتعاوضوا عن مزايا
 الخطر ولم يغنوا مؤسستهم العسكرية عظمت هي إياها : جحافل أشبه ما
 تكون بقتلان المشاة ، وسلاح أضعف من أن تواجه به وسائل هجومية
 مستخدمة كالأسلحة الرومانية .

هكذا لم يلق الرومانيون صعوبة في الفرج الغولين من شمال إيطاليا وفي إخضاع القبائل الضاربة في سفوح جبال الالب . وقد سهل مهمة الغزاة الحلاف الذي ذر قرنه بين زعماء القبائل الغولية وحال دون قيام سكان الغول الجنوبية والوسطى لخدمة اخوتهم المهددين بالزحف الروماني .

وفيل ان تتوغل الكتاب الرومانية ما وراء الالب جاز حينئذ ممرات هذه الجبال سنة ٢٦٨ قبل الميلاد . جيش عرمرم يضم كتاب غولية رجعت نفسها في خدمة الفاتح القرطبي بعد ان اجلاها الرومانيون عن شمال إيطاليا وسفوح الالب .

حزم حينئذ كتاب روما في معارك ثلاث اشهرها معركة « كانت » ولكنه دفع عن انتصاره غالباً . وكان ثلث القتلى في صفوف المنصرين من الهاريين الغولين لان الفاتح القرطبي كان ينجحهم ويؤج بهم حيث يمكن الحظر . اما الكتاب الاسبانية والقرطبية فكان بعد لها بالثورات ولا يدفع بها الى وسط الساحل الا عند الضرورة القصوى .

وقد حاول حينئذ ، وساحل بعده اسدروبال واميلكار ، على الغولين كافة على محاربة روما ، فم تشر هذه المحاولات . الا ان هذا الموقف لم يستفج ببلاد الغول لدى الرومانيين الذين احتلوا اسبانيا بعد ان سمعهم سحق قرطبية . ثم هرعوا الى مجلة مرسيليا التي اجتاحها مصطف النوتون والقبائل السويسرية ووقفت في وادي الرون وحوض القارون . وقد تم الرومانيين سحق الغزاة بسرعة عضل نظامهم العسكري المتيق وقيام جيشهم على التوج كوحدة اساسية ، كان المشاة المنصر الواسي في الجيوش الرومانية ، وكانت الكتبة وحدة القتال ، ونحت لوانها المخطط الغوليون بعد ان قبض لروما اخضاعهم وحسم بلادهم الى الامبراطورية .

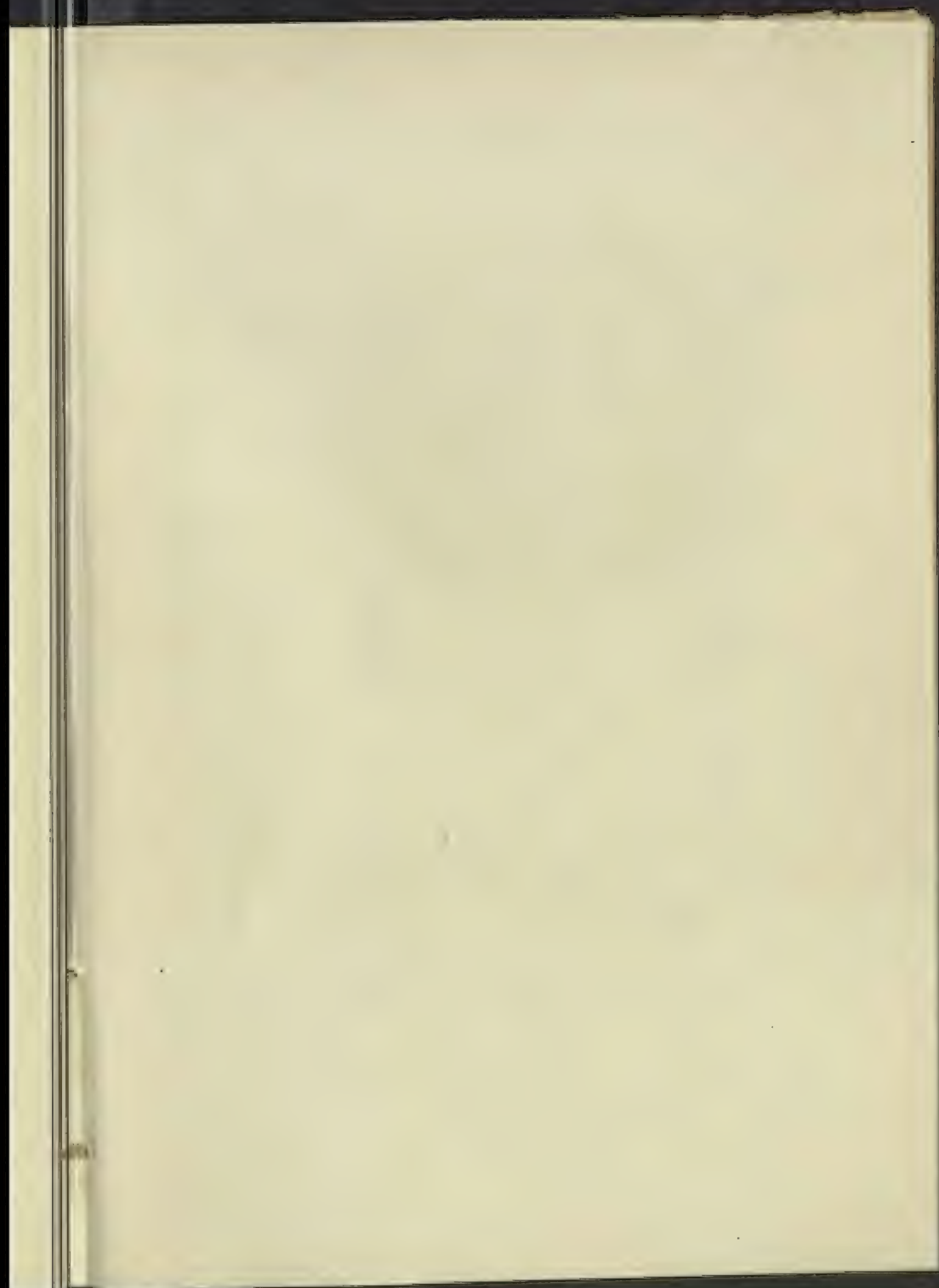
ضمت الكتيبة الرومانية في اول عهدا ٤٥٠٠ مقاتل . وفي عهد بولوس
قيصر ارتفع هذا الرقم الى ستة آلاف موزعة على عشرة كراديس . وكان
الشباب يقوم بحرب الطليعة ، سلاحه المزراق والرمح . ويتلوه الامراء ،
سلاحهم السيف . اما الحط الثالث فكان يحتله المتقدمون في السن وهم عاريون
قدماء مجربون ، ومن هؤلاء يتألف الاحتياط الذي لا يخرج في المعركة الا عند
الضرورة القصوى .

وقد استعان الرومانيون بعناصر غريبة تتفن استعمال القوس والمجنيق .
وبالفوسان من جرمانيين وغوليين ، لان الحيلة الرومانية لم تكن بذات قيمة .
اما ابرز مزايا الكتيبة فكانت مرونتها وسرعة انتشارها واسلحتها المتنوعة التي منها
السيف القصير والفأس والرمح والسهام والحجارة . وقد واجه الغوليون كتاب
روما المنظمة بمحافل تسود صفوفها القوسى . اسلحتها قديمة ومثلها اساليبها في
القتال . وكان سكان الجبال والاحراج اقوى المحاربين الغوليين شجبة واصليهم
عوداً . اما ابناء المدن فقد قضت حياة الترف على فضائلهم الحربية وفي رأسها
الشجاعة الباقية حد التهور ونكران الذات .

ولكن اذا كانت مؤسسات الغوليين العسكرية لم تتطور مع الزمن ، فقد
طرا على مشاتهم الدفاعية تحول الحال الآهية تغييرات جوهرية ، فاقاموا على
اتقاض المدن التي بناها اجدادهم فوق البحيرات وعلى ضفاف الانهر ، مدناً
محصنة ذات ابواب ، تحوطها الاسوار والقلاع : اورليات وورج واليزه
الخ . . . وكانت قيسما الدفاعية في موقعها وفي السور الذي اقيم حولها .
اما الموقع فكان في الغالب منحدراً او عضية او ضفة بحرى ماء . ولم يكن
ارتفاع السور يزيد على خمسة امتار . اما سماك فضعفا الاثنى اثنا عشر
متراً .



جنود الكتاب الرومانية ، بعضهم يسير والبعض الآخر يحمل الى فائدم رؤوس جنود من الاعداء ،
كما يثلمها حفر على عمود الامبراطور تراجان .

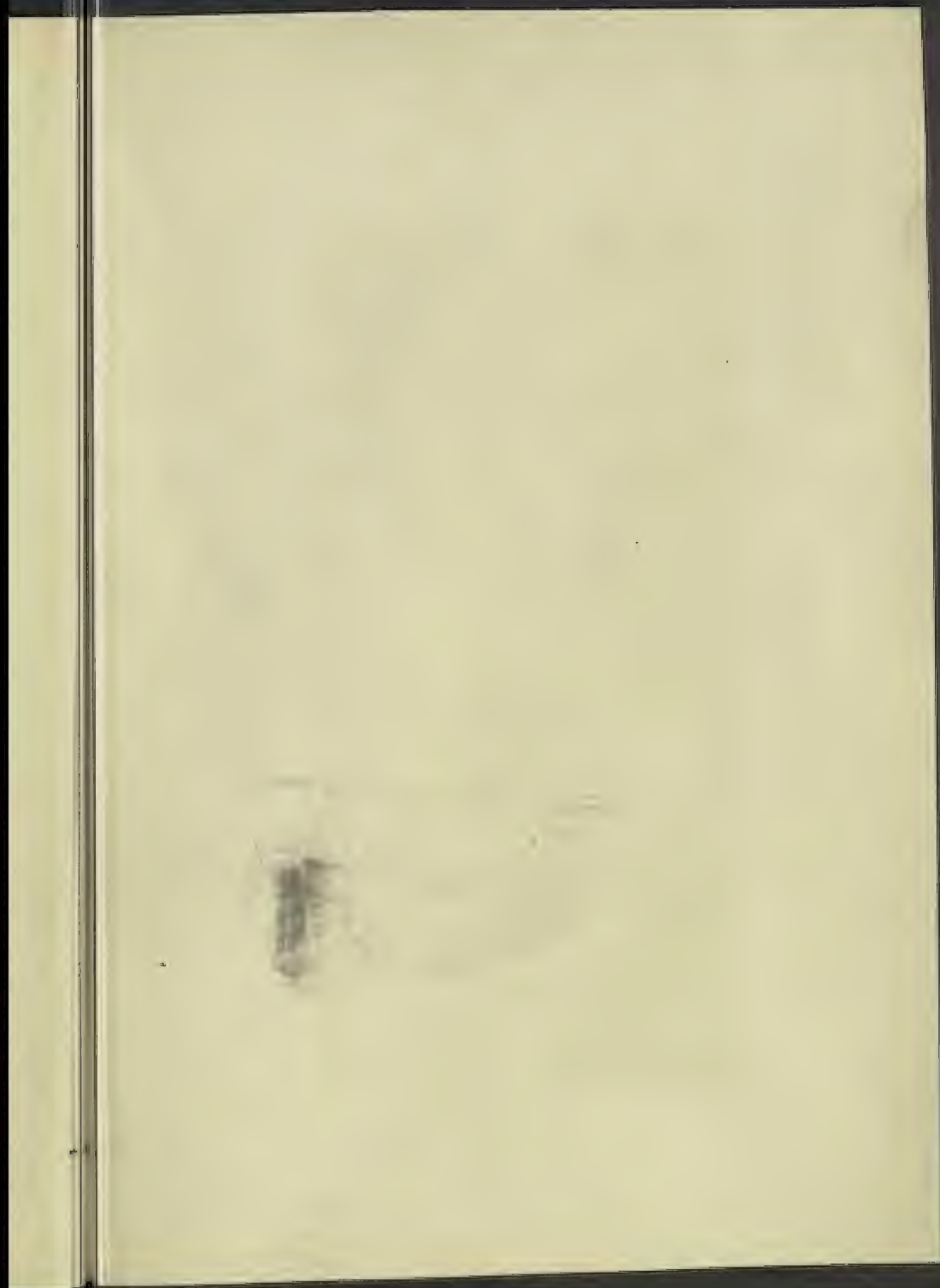


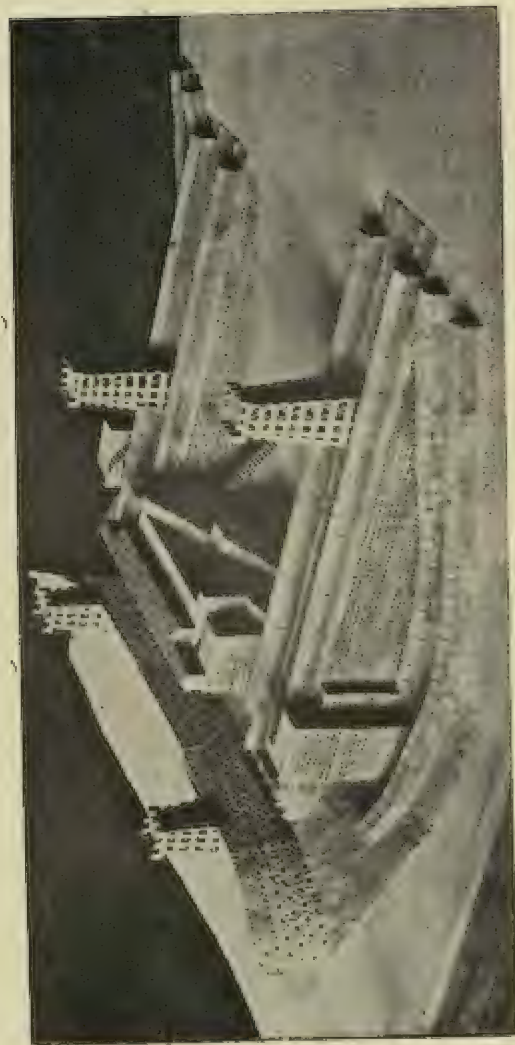


بوليوس فيشر

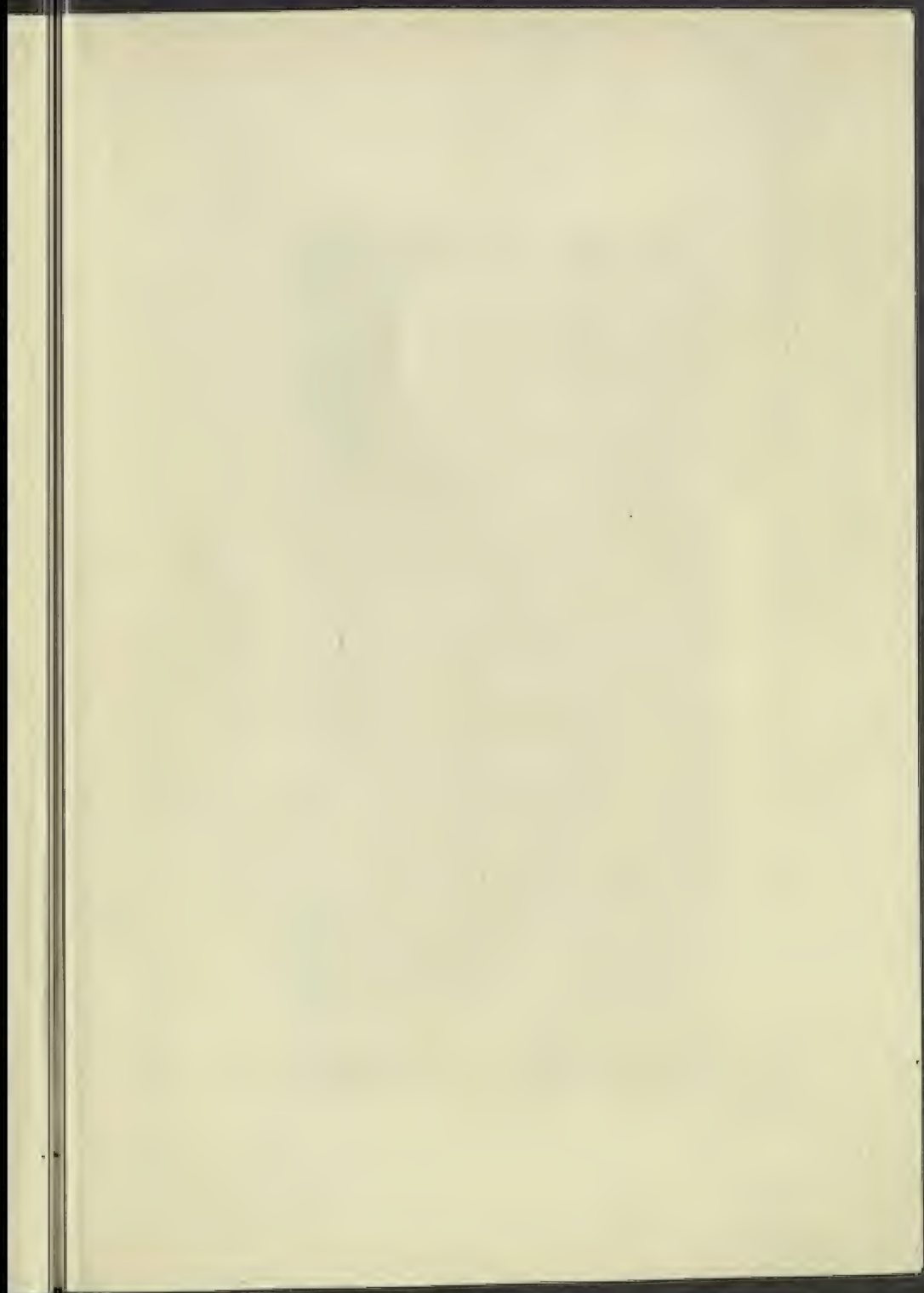


خريطة مصفرة لحصار أيريا.



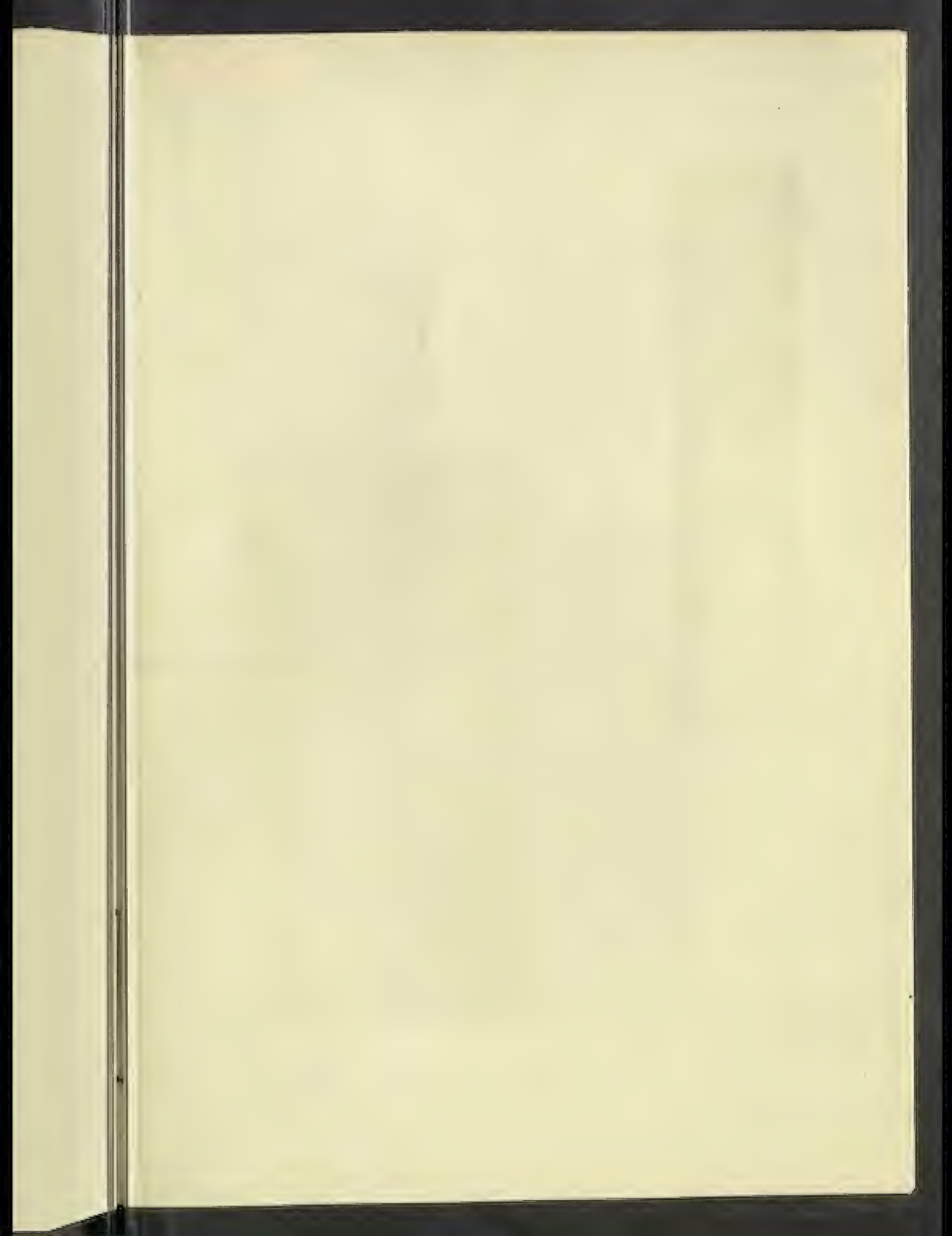


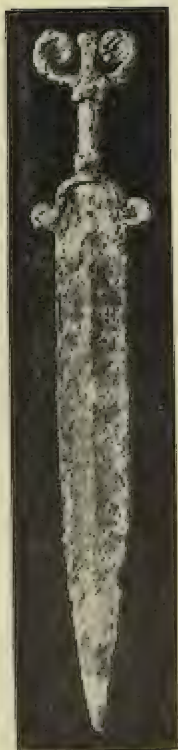
البناءات دفاعية اعمام يوليوس قيصر امام القاريكوم .





حصون رومانية على نهر الرين يجترها جنود رومانيون ينظروا حفر ثاني، على حدود الامبراطور ترايانيان .

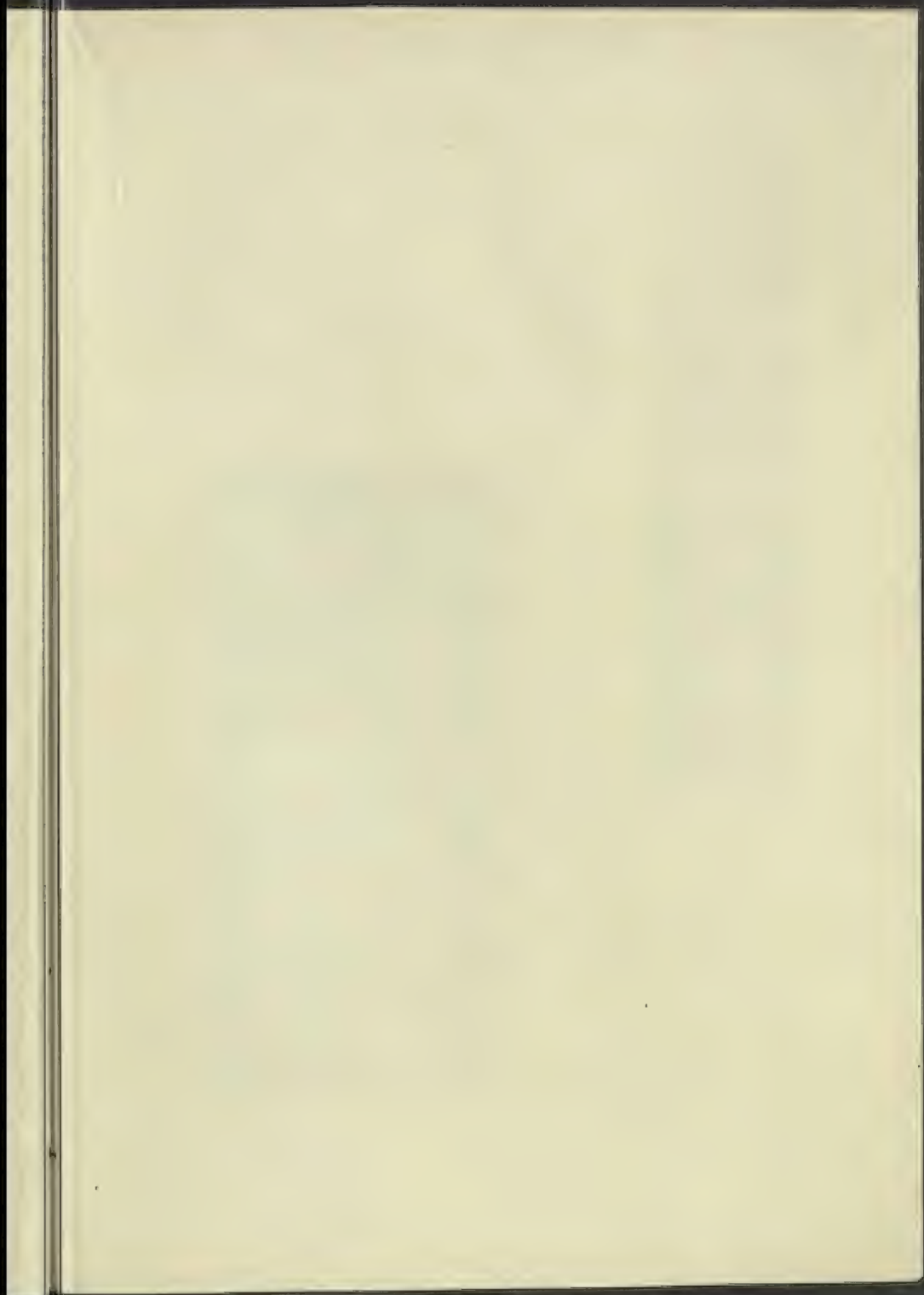




سيف غولي حاد النهاية ، قصيرا ، وجد في
ميدان موقعة اليزيا .

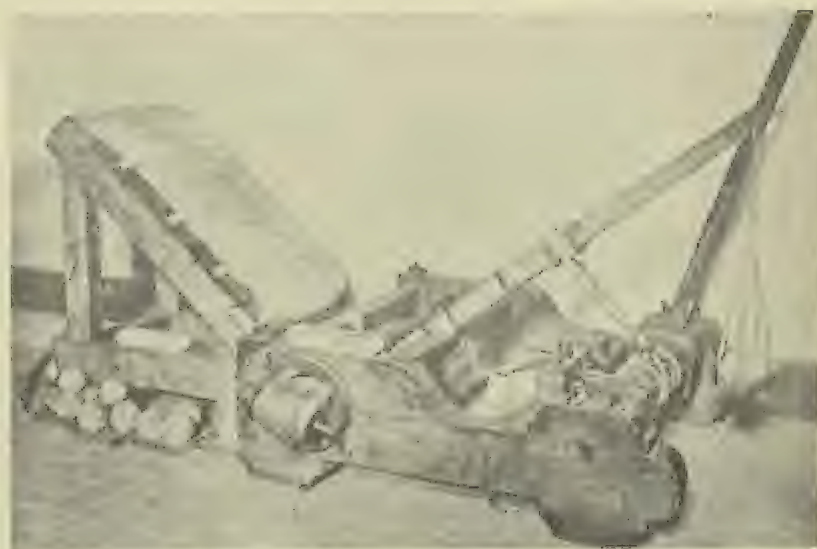


محارب غولي مجهز بعدة الجنود الرومان .

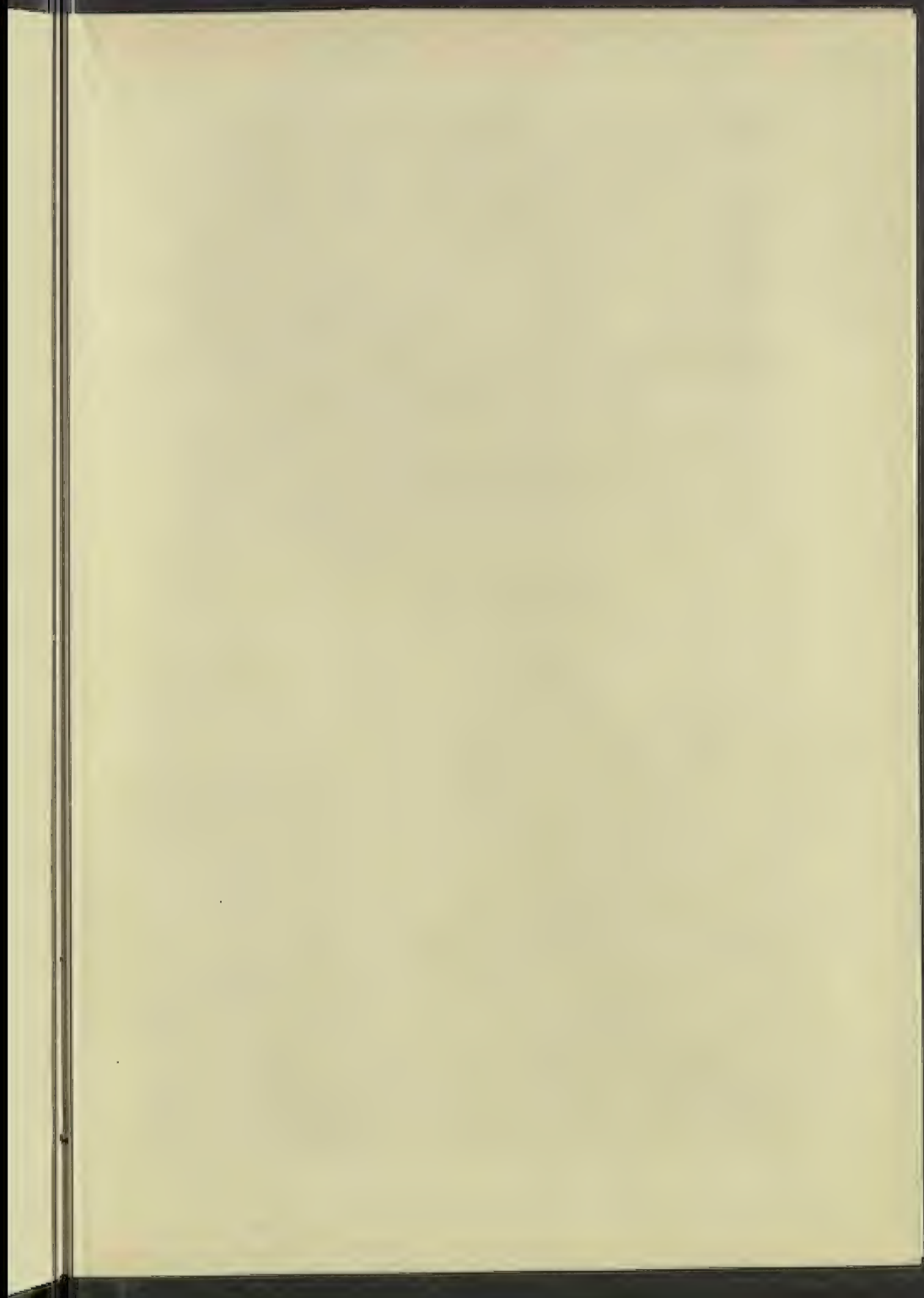




يلت المفسس يستقبل السلطان صلاح الدين
(رسم مأخوذ عن مطبوعة في القرن الخامس عشر).



منجنيق يرمي الحجارة الى مدى ١٦٠ متراً .

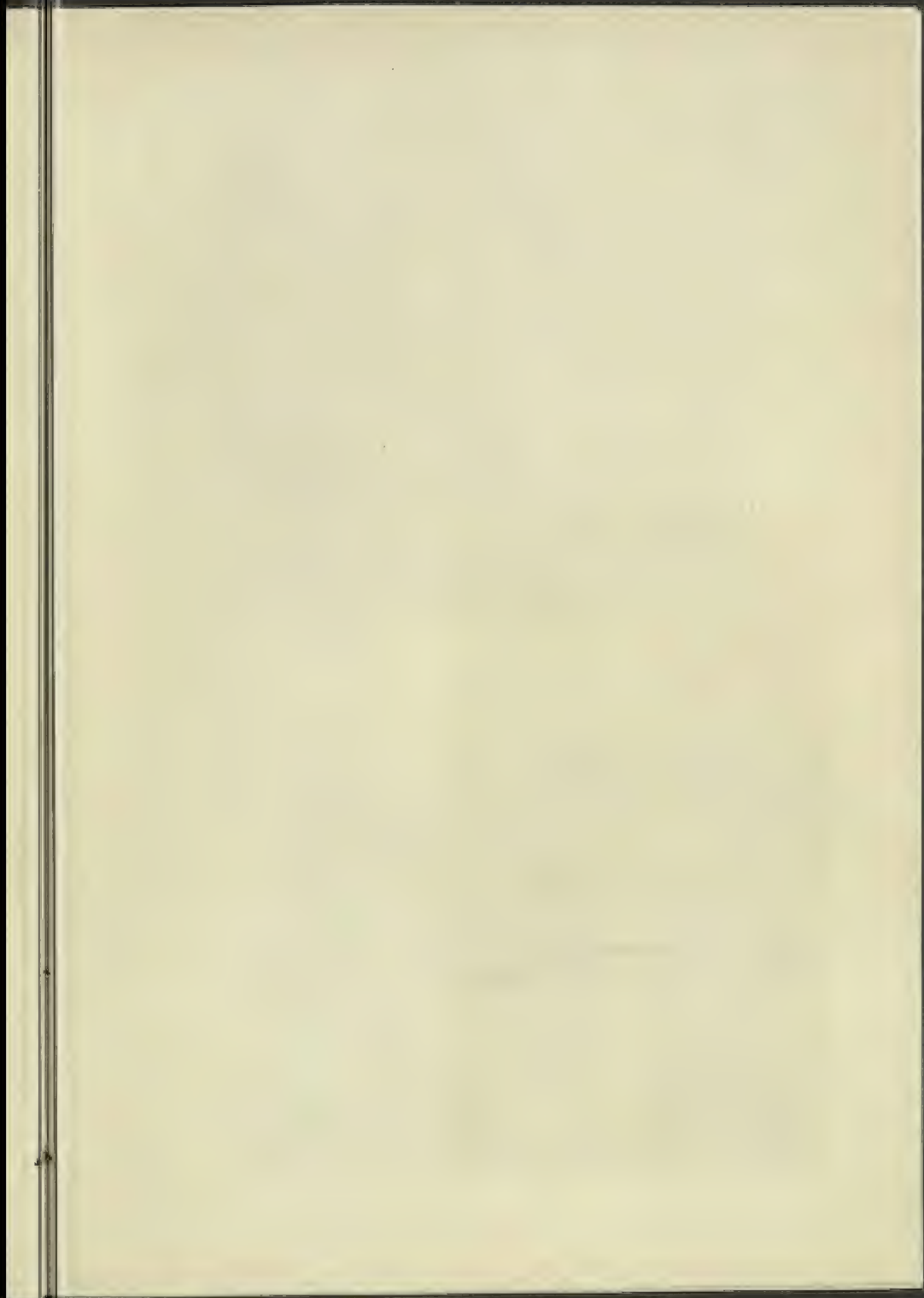




فرسان فرنكيون يتقدمهم حامل شعار الحياة.



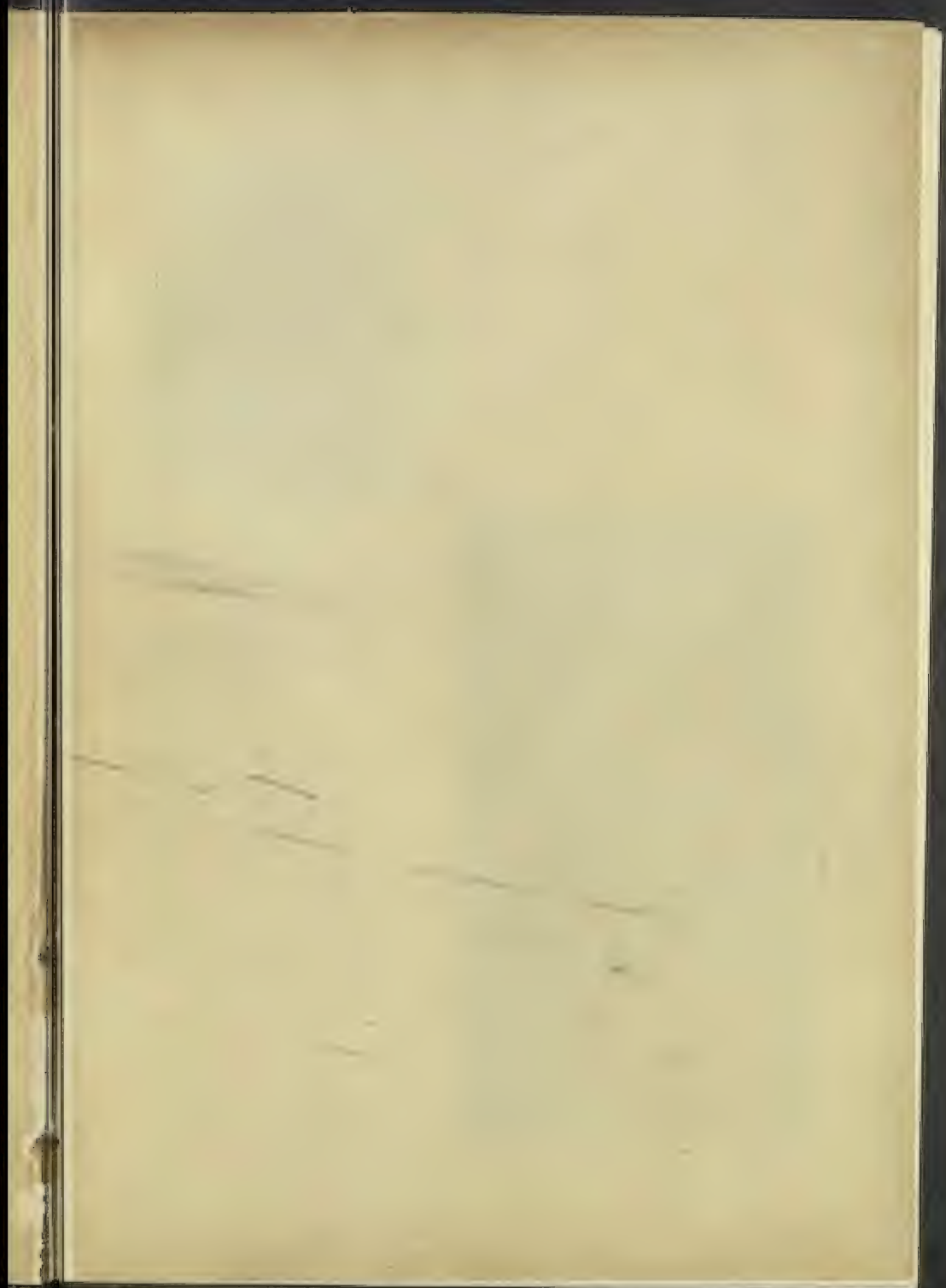
حصار مدينة:
بجسارول
مقاتلان
اشغال النار
في احد
الحصون بالقاء
مشاكل الى
الداخل ،
ووراها
جنود يتأهبون
للاستيلاء على
المدينة .



غطاء وجه يرقى
الى أوائل القرن الثالث عشر .



قميص من الررد وخوذة ،
وهو لباس حربي معروف باسم
« فيليب الجميل » .



ويجدر بالذكر ان المدن المحصنة لم تكن بالنسبة الى الغوليين نقاطاً استراتيجيّة ، بل كانت ملاجئ ، بأورون اليها اذا هاجمهم عدو قوي . وكانت بعض هذه المدن ذا مساحة كبيرة جداً ، فمدينة « البزيا » كانت تشغل أرضاً مساحتها مئة هكتار .

بوليوس فيصر وهو سنجينور كس . - خرجت روما من نضالها في سيل نحو إيطاليا الشمالية ومنقلب جبال الالب مقتنعة بضرورة اخضاع الغول كلها من قبيل النحوط للمستقبل . وقد اتاحت لها البطيرة على اسبانيا ومنطقة البروفنس تطويق القسم الجنوبي من بلاد الغول ، ولم يبق الا اكناحه مقدمة للاسبانيا على البلاد كلها .

عصفت روما بهذه المهمة الى بوليوس فيصر العضد في حكومة الثلاثة والتحتل سابقاً . ووقع الاختيار عليه دون سواه لانه كان وكيل قنصل في الالب الغربية ومقاطعة تاريون وحكم اسبانيا مدة غير قصيرة ، فهو وإطالة هذه خير بالارض ، محيط بحالة السكان ، يعرف مواطن القوة والضعف عند الاقوام المنوي اخضاعها .

اصطدم جيش بوليوس فيصر ، في زحمة داخل الاراضي الغولية ، والقبائل السوسرية التي كانت تسيطر على المناطق الشرقية ، فهزمها في معركة « بيراكث » (سنة ٥٨ قبل الميلاد) . وفي العام التالي طرد الجرمانيين الى ما وراء نهر الرين واخضع سكان البليك وشمال الغول . وخشي القناص الروماني ان يضر به الاعداء الاقوياء ، فخرج حملة لاختضاع الجرمانيين ما وراء الرين ، وقام بمحاولة جديّة لغزو بريطانيا العظمى ، فوهنت الكتائب الرومانية في الحلفين على انها خير اداة لاوارز عبقرية فيصر العسكرية ، ولم تنلق مرارة الهزيمة الا مرة واحدة ، عندما استدرج الجرمانيون بضع كتائب الى كين

وابلغوا منها خلقاً كثيراً . وقد انتقم فيصر من الجرمانيين شر انتقام سنة ٥٣ قبل الميلاد . ثم انتقل الى « رافين » لتقضاء فصل الشتاء ، بعد ان عهد بقيادة جيشه الى معاونة لاينوس . وكان هذا الجيش يضم عشر كتائب (قوام الكتبة سنة الاف رجل) ، فحشد لاينوس اثنين منها على انهر « الرين » و « النور » و « السوزيل » لتحول دون نزال الجرمانيين الى بلاد الغول ، وحشد ستاً في منطقة « سانس » والاثنتين الباقيتين ب « لانفر » و « ديجون » .

بعث الاحتلال العسكري روح التضامن السلمي ، وشجعت هزيمة لاينوس ما وراء الرين العناصر الثائرة بالبطرة الاجنبية على التكتل والعمل بسدة واحدة ضد الغاصب ، وسرعان ما شاع روح التمرد في الغول ، وجمت الشكوى من تصرفات الولاة الرومانيين وعلمهم من رؤساء الاقوام الذين والوا النافع فولاهم على بعض المقاطعات الصغيرة مكافأة لهم .

وجمت الغوليون المنبهمون بحكم روما عن رئيس قوي يقرم حركة التخلل وجلبوا ضائهم في فرميجيوركس ، وهو حتى نوافرت فيه شروط الزعامة ، جمع الى الشجاعة نيل المحذورات الذكاء الخاد . كان ابوه « سلتيل » ملكاً من ملوك الغول الشمالية ، ودانت لاجدادهم قبائل بلجيكا وقبائل الغول اللبية . ألحب فرميجيوركس حاسة غومة باعمال بطولية خارقة ، فلم يها قبل ان تناسب الغول روما الغناء جهاراً . لهذا كانت المناداة به زعياً تدبيراً موفقاً ، قضى على تردد المتوردين ، فانضموا الى الحركة التحررية مطمئنين الى كلمات الريان ، على حداثة سنة وفلة تجاربه .

وقد كان البطل الغولي حكيماً ، فلم يحاول ارتجال قوة فيسنة مصابه الجيش الروماني المنظم ، بل آثر ان يتقاضى للقتال وبمعل على نهك قوي

الحصم ونجوهه باستدراجهم الى نقاط بعيدة عن سراكتر توبه . وقبل ان يهد
الى الكفاح جمع اثنتا الجعاظ الغولية وسى القادة ، وجهر المشاة بأسلحة
الرمابة القنبية كالقنوس والمنجيني والرمح . واختار الفرسان بين مسدسات
الناطق الطيلة المشهود لهم بالرشاقة ويطول الناح في استعمال الاسلحة القاطعة .
فر العوليون في الربيع واستهلوا نشاطهم بمهاجمة « اريون » . فخرج رولوس
فصر الى المدينة المهتدة وكسر النطاق المضروب حولها . ثم طارد العدو متوقفاً
في حوض نهر « الصون » غير حافل بالقر الشديد وبالفرج المتراكمة ،
واستطاع ان يؤمن الاتصال بينه وبين القائد لاينوس . وهذا احتشدت
كتابه العشر حول « مالن » .

وفي هذه الاثناء لم يكن فرسجينور كس اقل نشاطاً من حصه ، فاجتاح
منطقة بروجويه .

ضرب فصر الحصار حول « افاريكوم » (بروج اليوم) ، ولكن تكتيك
حصه نهك هواه فأمر كتابه برفع الحصار ، فلم تفعل ، بل بنت جداراً
استمر ارتفاعاً من اسوار المدينة وتمكنت من الاستيلاء على « افاريكوم » ،
عنوة (نيسان سنة ٥٢ قبل الميلاد) . وقد شجع هذا النجاح القائد الروماني
على مهاجمة « جرجونيا » معقل الساتين الحصين ، فشن اليها على رأس ست
من كتابه ، ونزك للاينوس الاربع الباقية ليكبح بها جماح شمال القوت .
وقد قاومت « جرجونيا » بنجاح العدو المهاجم ، ولم يؤثر فيها الحصار لانها
كانت مستعدة له . وفي هذه الاثناء كان لاينوس يلحق بالغوليين هزائم شعاع
على ضفاف السين .

تأوت القبائل الموالية لروما بتكتيك فرسجينور كس الناجح ويطولة
« جرجونيا » وصمودها العجيب ، فانضم الى الحركة التحررية اقوام « الادوين » .

الا ان فرسجيتوركس لم يتبع ذراعيه للتأثرين الجدد الا بعد ان اخذ منهم رهائن لانهم عرفوا بالنقلب .

اشد ساعد الغوليين بانضمام « الادوين » الى صفوفهم ، ومع هذا لم يبذل قائدهم الشاب تكتيكه ، فثار على نهك الرومانيين متفادياً القتال على ارض مكشوفة ، تاركاً لمشاته اجتياح « البروفس » كلها اقلح هو في استدراج قبصر الى خارج المقاطعة . فتضايق القائد الروماني من هذه الحالة ، فهو مضطر لتأجيل الاتصال بينه وبين لايتوس دون ان يعتمد عن « بروفس » ولم يتح له الامران معاً الا بفضل المرتقة من الجرمانيين الذين كان يتألف منهم معظم خياله .

اختلف المؤرخون في تحليل تحلي فرسجيتوركس بغية عن تكتيكه الناجح ليسى الى لقاء خصمه على ارض مكشوفة ، فرد فريق عمل القائد البطولي الى رغبته في تحطيم قوى خصم أعدته عن قواعد قوته ، ورد مؤرخون آخرون تدبيره الى رغبته في خوض غمار المعركة الحاسمة قبل ان ينقلب عليه « الادوين » .

وهوذا يكن من امر فقد اعترض الغوليون كتاب قبصر على نهر « سبون » . وعهد فرسجيتوركس الى خياله بالانقضاض على قلب العدو وجناحيه . اما المشاة فقد حشدتهم على الضفة المقابلة للنهر . وحشد القائد الروماني كتابه بشكل مربع توسطه المركبات ، ولم يقم بأي مجهود هجومي ، مكتفياً بمد هجمات الفرسان الغوليين ، حتى اذا لاح له التفكك في صفوف العدو سلط عليه خياله الجرمانية تدفع به الى النهر ، فبادر فرسجيتوركس الى الانكفاء ، ولم يقف الا في « اليزيا » المدينة الحصينة ، وكان قد اعدّها للحصار الطويل الامد ولإيجازها يؤن تكتي قوته شهراً كاملاً .

يقول المؤرخون ان القائد الغولي لجأ الى « اليزيا » على رأس المشاة .

أما الحبال فقد ظلت خارج المدينة لتتولى حراسة التجهيزات القوية وتهدد حرق نهر العدو .

لم يكن لاليزيا مناعة ، جرفوها ، ومع هذا لم يحاول فيسر الاستيلاء عليها بهجوم جماعي ، بل ضرب حرقاً نطاقاً وراح يعالج مفاصلها الواحد تلو الآخر ، دون أن يغفل طريقة عين عن مرمخات جيش وجناحه ، لعله انت حيلة حصه فربص بها الدوائر

ظل أمد الحصار ، فندت الموان في اليزيا ، وقضت الآونة ، وسالت أصوات قائد القوي معاودة العدو ، وكاد دقة التسليم يحتنون العصبان لو لم تلح طلائع جيش النجدة على المضارب المظلة على المدينة المحاصرة . وقبل أن تخذ فيصير التدبير المناسب لمواجهة الحالة الجديدة ، قامت حامية اليزيا وجيش النجدة بصفية مشتركة ، فانتهم هذا التجهيزات التي انتشأها الرومانيون لتعطيل مرمخاتهم وجناحيهم ، وخرج فرستينور كس ومثاله من المدينة ليضعوا العدو بين يدين . وأمر ما غير القائد القوي لبقاء دفعته ، فتحول من البين إلى اليسار ليحرب جناح حصه ، وكان مؤلفاً من الحبال الجرمانية الشديدة المراسي ، فترك قصر للفرسان ضد المهاجمين وأرشد هو بقواته الرئيسية على جيش النجدة وأرغمه على الانكفاء ، ثم حلق هذه الحبال لتطارد ونقطع أوصاله .

لم تحتل معنويات القويين هذه الخدمة ، فضجت صفوفهم بصيحات تنذر بتق عصا الطاعة . وأدرك فرستينور كس أنه حصر المعركة ، وأن فيسر أحرز نصراً حاسماً في اليزيا ، فسار نفسه وسلاحه إلى العدو المنصر . وأبى فيسر إلا إذلاله على مرمى من سكان روما ، فحمله إليها وغرزه على الناس في اللياحات العامة ، ولم يدفع به إلى الجلاء إلا بعد أن أذل به القول طلبة

ست سنوات .

وبسقوط « اليزيا » ورفوع فرسجيتوركس في الاسر ، انتهت حلة فيصر في الغول عملياً ، فقد انهارت المقاومة المنظمة وتداعى الاتحاد الغولي ، وتضائل شأن الحركة التحريرية فاحصرت في انتفاضات محلية ومنقطعة

٤ - الغول الروماني

وجدت الغول تحت السيطرة الرومانية التنظيم الذي كانت تفتقر اليه . . . فقد حلت اليها عبقرية الفاتحين ومؤسساتهم خلال عدة قرون ، الحضارة والطيانية ، فقطعت شوطاً بعيداً في طريق الفلاح ، لان روما طبعها بطابعها ونفخت فيها من روحها . وقد احتفظ الغوليون بهذا الطابع بعد تقبلهم ظل الرومانيين ، فما برحت ثقافتهم لائنة رغم تعدد الاقوام التي اخضعهم لسيطرتها منذ ذلك .

وقد عثت روما غناية خاصة بتوفير اسباب الطيانية للغول ، لعلمها ان خطراً يستهدف هذه المملكة المطموخ بها ، يستهدف روما نفسها ، سواء اطمس من البحر او من الشرق او من الشمال الشرقي . عاهتاهم مثلها بتحصين منطقة الرين وشرقي الغول انما كان اهتماماً باقامة خط دفاعي خارجي يتيح لروما الوقت الكافي للنأعب وحماية الوطن الام .

وما ان اطمأن الرومانيون الى غطاء البلاد على الحدود التي تهب عليها ربيع المطامع ، حتى انصرفوا الى العمل الانشائي . وكانت الغول الرومانية منطقتين كبيرتين : البروقس ويحكمها نائب قنصل ، والغول المستقة وتشتمل على الباجيك والاكيتين ، والغول السلقية (منطقة ليون) ويحكمها معيبد امبراطوري .

شمل التنظيم المؤسسات الغولية جميعاً ، وكان عمل روما في المملكة مجتمعة

لثبات مصدرها الوطن الأم . حتى العهد الجمهوري كان القوليون ينطوعون في الجيش الروماني كقوات مساعدة . وكانت روما ترحب بهذا التطوع لتسد بالناصر الغربة نقصاً في الصفوف أو في الاسلحة أو في الاحتياض . وفي أواخر عهدنا ذهبت إلى أبعد من هذا ، فتبعت على قيام جيوش منظمة على غرار الجيش الروماني في البلدان الخاضعة لسلطانها ، لتترك هذه الجيوش في الدفاع عن أوطانها .

وفي العهد الامبراطوري سيج القولين كان ينحطوا في وحدات رومانية على ان ينفظوا بأسلحتهم وتقاليدهم وفادتهم ، وتخصص مهمتهم بنقطة الجناحين اذا كانوا مرساناً ، وبمسانة المشاة اذا كانوا من الرماة . وقد افاد القوليون من هذا الناس فلبسوا من الكتائب الرومانية ما اعلمهم في القرن الاول لان ينحطوا فيها على قدم المساواة مع الرومانيين .

كانت الكتائب الخمسة على « الرين » في سهل القرن الاول تضم ايطاليين واسبانيين ورضع مئات من القولين . فما ان فتح الجيش الروماني ذواحيه لانباء القول دون قيد ولا شرط ، حتى انعكست الآية واستبدلت روما من العناصر الإيطالية عناصر محلية . وقد نت هذه العناصر مع الزمن قتال منها ، بعد مرور مئة وخمسين سنة على الاحتلال ، جيش قوي ، روماني النظام والسلاح ، غربي الروح ، جيش مهمته الاساسية حماية حدود بلاده ، بعد ان كان ينولى حمايتها من قبل قوات اجنبية تضم خليطاً من العناصر والاقوام بقيادة رومانيين .

اما المدن المحصنة ، ولا سيما ما كانت منها في اواسط البلاد ، فقد فقدت بينها الدفاعية ، لان الكتائب النظامية سحبت منها إلى مناطق الحدود ، وعهد الدفاع عنها إلى ميليشيا محلية مدربة على حرب الحصون ، ولكنها لا تستطيع

شما خارج الاسوار والقلاع .

جيش الرين . - في العام العاشر للبلاد حصن الرومانيون منطقة الرين تحت اشراف انسطس قبصر وفسموها منطقتين دفاعيتين : جرمانيا العليا وجرمانيا السفلى ، وحشدوا في كل منطقة اربع كتائب (٢٥ الف مقاتل) بدعها خمسة وسبعون كرويساً مسلحاً . وعني الاماطرة اللاحقون بهذا القطار بحمي شمال الغول الشرقي ، فكانوا يهرون خط الرين بكتائبهم المختارة وينفقون في تعزيزه دون حد حساب .

وفي مستهل القرن الثاني للبلاد ، صارت كتائب الرين تقوم بتاورات سنوية وتنتدب على الرماة والمشي مسافات طويلة . ويحرص الرؤساء على الافادة من اختصاص القنصات ، فباطوا بكل قطعة المهمة التي يتكفي ادائها على الوجه الاكمل ، لا تلك من وسائل ، وما تغفر من اساليب . وسطوا بالسيف سلاح الخط الاول ، الماط الاقرب الى جرمانيا الكبرى . لان السيف هو سلاح الاعتماد الاسنى . وجهروا الخط الثاني بالسيف والرماح وسائر اسلحة الرماة ، والحفوا بكل كرويس من مقاتل مديون بالورد ، مهتم بتقني اللاتاع المعاصرة والاعتماد بها اذا استطاعت انفلاق الخط الاول . واستسلت كل كتيبة على موج من الآلات تآلف من خمس وخمسين مركبة تنقل محاربي رقة مدفوعتها ٢٥٠ ليبرا ، الى مسافة مئة وستين ميلاً ، وعدداً من الجانبين الخفيفة . واستبدت الكتيبة الى هذا ، على حدة وعشرين وارساً مجهزين بما يتبع لهم سدد حديد يهرون عليها الانهر والهارى .

وفي عهد الامبراطور كلود حدثت القيادة الرومانية الكراديس القولية بين الرين والدانوب ، وعززت العقبات والحواجز الطبيعية بسلسلة حنادق وانتاسات تمتد من حوض الرين الشمالي حتى مدينة راتيبون جنوباً ، وحمل بعض هذه

الافتتاحات السبعة الأباطرة الذين أمروا بإحداثه . فبعد ذلك « تواجين » انتهى في عهد الإمبراطور صاحب الاسم ، ومثله جدار هنريان . وقد ذكر المؤرخون المعاصرون أن الجدار الروماني يتألف من القوس الشرقي كانت طوله مئة وثمانين ريشون فرسفا ، إلا أنه لم يكن مثاسكاً ، بل كانت تكسبه الخنادق حيث يحول طبيعة الأرض دون تماسكه . وأنشأ الرومانيون مراكز المراقبة يزيد ارتفاعها على ارتفاع الجدار الدفاعي . وجعلوا القنصل فيها حصنة مفر ، كما أنشأوا وراء الجدار مئة ملجأ حصين لابتداء الاحتياط المحلي لجاعلين من المنطقة الفاصلة بين الملاحي . وأخط الدفاعي ميداناً حراً المأذنة تتخلله شبكة طرق تنتهي شرقاً بحور عبر الرين .

كانت الكتابات نقشي الشتاء في معسكراتها ، وفي الربيع والشتيف يخرج بعضها لمقاتلة الجرمانيين الذين كانت أقارنتهم متواصلة . بيد أنه هذا النشاط الدفاعي المجهومي كان يفتد كلها لوداك الخط الدفاعي مائة ، إلى أن جاء يوم حبل فيه الإمبراطور هنريان أن الجدار الروماني قين بعد كل محاولة هجومية ، فكثفت الكتابات عن مقاتلة الجرمانيين على أرضهم .

أثر هذا الانكماش في مستويات الجنود ، وفقدوا مع الزمن المزايا التي كانت تجعل منهم وحدة متماسكة في الهجوم والدفاع والمأذنة . وبلغ الانحطاط حده الأقصى في القرن الثالث . فقامت حوادث التمرد في جيش الرين لأن المواطنين الرومانيين أصبحوا عن الخيفة إلى الملاد ، فصار الكتابات تصمم حليطاً من المرتقة لا شيل إلى استقائهم تحت العلم إلا زيادة أجورهم . وبضعف القبول التي جعلت من جندي الإمبراطورية في عهد القسطنطين مضرب المثل في الرحابة والتفكير بالنظام . وحدث في عهد « كاركالا » أن عجزت الحراثة عن دفع أجور المرتقة فثار هؤلاء وقتلوا قائدهم ، فأنقذ الروماني من المخرضين

أن رجوعهم في انون . فما كان من رفاق هؤلاء الا ان حطوا سيوفهم
ورماهم وهربوا المصكرات .

ولم تكن هذه الحوادث الا تربية الجرمانين جرأة على تحدي الحدار
الغربي ، فتكررت غزواتهم متباعدة سبوح السال . وفي منتصف القرن
الثالث عوت جبالهم من الرين والامتاحت الغول معية السيوف في رقاب
السكان ، فاضه القرى والساكنون ان تقوي حكايات روما على وقف
التيار . حدث هذا سنة ٢٦٦ الميلاد واستمرت الغزوة الجرمانية عشر سنة
كاملة . وكذا الفانغون الحنة يسطرون سيطرتهم على البلاد من انصافا الى
انصافا لو لم يهب القوات الغولية الرومانية بقيادة ديوس لانقاذ الموقف .
وما ان جلا الجرمانيون عن الغول حتى حمد ديوس الى تنظيم الدفاع بقوة
القلاع والحصون وتعمير القلاع الخفيفة كالفرنسا والمشاة غير المترين
وادخل تحسينات جد على ملاكات الكتف وجيز الجيش بأسلحة جديدة
انتجها قانية مصانع غولية صبة النشاة . وهد الى المدن الكبيرة فاحاطها
باسوار عالية ذات كتافة تراوح بين ٢٠ و ٣٥ متراً ، وهي تتصين المدن
المتوسطة والصغيرة .

وجعل القائد الروماني الاعلى اكينوم غالبروم معبته « زيف » مقراً .
يحيط به الاشراف وحكام الولايات والقادة العسكريون . وفي عهد ، اي
في الثلث الاول من القرن الرابع ، نزل الجرمانيون مجدداً الى الغول
فطاردهم جيوش الامبراطور قسطنطين الى ما وراء الرين ، ولكن التراجع
نفسه لم يكن حليف الامبراطورين جوليان وفالنتينيان . ففي عهد اولهما
تركز الفرنكيون قبائل مسلحة على ضفاف نهر الايسكو بلذن من روما ، وعمر
الاخر عن منع جبالهم ، الفون ، من اقتحام الحقل الدفاعي عند منبع الرين

وفي سنبل القرن الخامس بدأت الغزوات الكبرى ، فاحتل جيتش
والفيزيغوت و مدينة روما سنة ٤١٠) . وفي منتصف القرن المذكور طرق
ايواب الغول قائل « الموت » بعد ان اخضعت اوروبا الوسطى وزرعت فيها
الغول والدمار . فقد الغوليون احتاصر حول قضية الوطن المهدد وهبوا للدفع
الخطر بقيادة « انيوس » ، وقد فككن « الموت » بقيادة انيلا من بلاد
صوليباريس ، ولكن المدينة حصدت عن ايوابها فيما كان جيش انيوس
يهدد بحركة نف في جوار اورليان ويوجه على التفخر حتى سهل « قروا »
حيث تألبت اقوام رومانية وسلتية وجرمانية ضد العدو المشترك ، ومن عند
الاقوام تألفت فيما بعد الامة الفرنسية .

قام الغوليون الرومانيون غزوات الفرنكيين والجرمانيون والفيزيغوت من
العام ٤٧٥ دون ان ينجحوا في تخرج بلادهم لانهم تكبروا لا كانت روما
تحمز به انتصاراتها الباهرة : قوة الكنية وبروتها والسير الى القتال على اساس
القوچ كوحدة سلاح ، فقد خاضوا غمرات المعارك الحاسنة جعافل مقاومة
واستدوا الى القوسان دوراً ثانوياً في الحرب . وكانت اللجة مفقودة بعد
الزماة والناصر المدرعة .

وقد كان هذا الانحطاط العسكري في جملة العوامل التي سببت سقوط
روما ، ولكنه كان عاملاً ثانوياً . فقد سقطت روما لانها قصرت في ميدان
التضحية واحملت تقاليدها العسكرية الجيدة .

٣ - جيوش الفرنكيين

لانتاج الغول في اواخر القرن الخامس اقوام من الفيزيغوت والفرنكيين
والجرمانيون كانت قد حالت الغوليين الرومانيين سنة ٤٥١ ضد انيلا وجعافل
الموت . الا ان الفاتحين الجدد ما لبثوا ان تازعوا الغلبة ، فانضمت الى

فرنكيين الكتاب الرومانية المختلفة في البلاد لان القوط والبورغنديين
 يقيمون حاجزا بينها وبين روما. وقد آتت بحالفة كلوفيس ملك الفرنكيين
 على وضع سبيلها في خدمة القوط ، اعداء الامبراطورية الاندلس ، وتنازلت
 لكلوفيس عن الاراضي الغنية التي كانت روما قد وكلت اليها الدفاع عنها.
 وقد ذكر المؤرخ اليوناني « بروكوب » ان القوات الغولية الرومانية
 احتفظت ، بعد انضمامها الى الفرنكيين ، بشاراتها وتقاليدها واسلحتها ، كما
 احتفظت باللباس العسكري الروماني .

واستطاع كلوفيس ، بموازية الكتاب الغولية الرومانية ، ان يتغلب على
 مزاجه الواحد للروا لاجل ان يعين نفسه ملكا الذين له البلاد بالطاعة .
 وولد مركزه مناهة رواجه العام ٤٩٣ من كلوفيس النصرانية ، فامن له هذا
 الزواج تأييد الاساقفة والمؤمنين وكان عددهم يزايد يوما بيوما . وبعد
 انتصاره في سوفنة ، « توليالك » هذه اسقف مدينة ريمس في حقة قطنة رحمد
 بعد ثلاثة ايام طاقى . وبهذا أصبحت الغول النصرانية كلها في قبضة
 ملك الفرنكيين الشاب ، فانصرف الى تطهير البلاد من البورغنديين
 والفيزيغوت ، فطره هؤلاء من مناطق روائية واسعة بعد ان قتل ملكهم
 « الاريك » وهزم اولئك شر هزيمة .

وكانت روما تنفع نشاط الفرنكيين بعطفت ، فسرعا حمل كلوفيس واميهم
 الامبراطور انستاس عليه بقلب قنص وصاحب جلالة .

وخلل ملوك الفرنكة والفيزيغوت يحكمون باسم روما ذات السلطة الاسمية
 الى ان تغلب كلوفيس على منافس جميعا فتحرر من الرقابة الرومانية وقام
 في الغول عرش موطن الدعائم لمملكة مستقلة حملت في القرن السادس اسم
 فرنسا .

جيش المهرقنينين . — سرح كلوفيس ومن خلفه على العرش من المهرقنينين القوات النظامية والمرتبقة ليعودوا الى الطريقة البحرية في تعبئة المقاتلين تبعاً للحاجة والظروف الزمانية والمكانية . فاذا عن تلك انت بعزير جارا له يندى الى حل السلاح سكان المنطقة المتاحة للملكة المنوي اجباها ، وينطوع حكام المنطقة كالقوق والكوت والاسقف لتعبية الرجال القاصدين على حل السلاح . اما اذا كانت فرنسا هدفاً لغزوة معادية فالجمعية تشمل البلاد كلها وتضع موضوع الملك الاوامر الصادرة بهذا الشأن ، على ان يثنى كل مفروض في رأس المقاتلين الذين استطاع حشدهم ليشهد وايام اجتماعاً عاماً عقد في ميدان مارس .

كان حل السلاح واجباً على كل فرنسي حر اذا نادى للتادي ان الوطن في خطر . وكانت للاوقاف والعتقاء يسجون في ركاب اسلحهم . اما القراء والتسولون فكانوا يؤلفون كودساً خاصاً . وكانت كل مقاتل يتسلح على نفقته .

ولم يكن ثمة تشكيلات تنظيمية وتنظيمات عسكرية مستقلة عن التنظيمات الادارية . فالقوق ، وهو حاكم المدينة ، او الكونت ، وهو حاكم البلدة باسم القوق ، يقومان بالادارة المدنية ويتوليان قيادة الجيوش المسلحة دون ان يكون لهما المأم بقر القيادة . ولم يكن ثمة وحدات او قطعات تضم منفداً معيناً من المقاتلين . وكان المشاة القصر الرئيسي في جيش هذه حالة ، سلاحهم النفاقي زود خشبي يعاود جلد . اما سلاحهم المجري ففأس وخنجر طويل وسيف ذو حدين ، ورمح ينتهي رأسه بمقاتلين ، فاذا رى به العدو من ميدان مكنته استرداده لانه مشهود بجمل دقيق عند مقبضه ، والحبل نفسه يشد وسط المقاتل . فاذا كان الجسم مدعماً بالزود اختزلت العقائدان الدرع ، فيشد صاحب

الرجع الجبل فيعود وجهه اليه حاملاً وياه زرد العدو . وهكذا لا يجد هذا
شخصاً من مواجهة خصمه مكشوف الصدر .

وكان المقاتلون الثقراء يخرجون الى الحرب سلاحهم القسي والمجانيق
الحقيقية . وقد دعم بعض المؤرخين ان المقاتلين منهم بالقوس والنشاب
استعملوا سهاماً مسنونة في بعض حروبهم . وروى المؤرخ « غريغوار دونور »
ان لعدم النظام واللحمة في جيش الميروفنجيين كان ابو سبويه . فاذا دب
الذعر في الصفوف تفرق الجماعات ابدي ساً ويعجز الملك والرؤساء عن اعادة
النظام وجمع الشمل . وقد اخفقت كل المحاولات الاصلاحية لان الجندية لم
تكن في نظر الرؤساء والمؤوسسين خدمة وطنية ، بل كانت وسيلة لحر المغام .
وفي منتصف القرن السادس صار الملوك يغفرون وعابهم بالمال ليحلهم على
الخروج الى الحرب ، وكان الذوق او الكونت يبيع ممتلكاته من صاحب
العرش ولا يقدم اليه المقاتلين الا لقاء امتياز او لقب . وفي القرن السابع
اقلت زمام الامر من ابدي الملوك فعهدوا الى وزراءهم بقيادة الجيوش ، وقد
سخر فريق من هؤلاء مركزه خدمة مطامعه فاستال المقاتلين ، واغواهم بالملك
ليبيع هو على العرش مكانه . وثمة وزراء رفعتهم الى الاربعة المملكية
سلطتهم واتصالهم كستارل مارتل الذي دحر العرب في موقعة بوانه وكان
اول الملوك الكارولنجيين .

جيش الكارولنجيين . - كان بيبان ديرشال وزيراً لللك اوسترازا ،
واستطاع ان يثبغ حركات التمرد ، وكبح جناح حكام المقاطعات الذين نجحوا
سلطة صاحب العرش واعلنوا انفسهم ملوكاً . وبعد موت بيبان (٧١٤)
تجددت الحركات الانفصالية فقمعها ابنه شارل مارتل ، وتمكن من توحيد فرنسا
بجيش يضم عناصر محترفة وقطاعات مختارة من البافاريين وابناء اوسترازا ونوستريا .

وهذا الجيش القوي استطاع شاول مارتل انت يدمر العرب في براتيه
في السابع عشر من تشرين الاول سنة ٧٣٣ ، عرفته بطوكه في ميون مواطنيه ،
وعلى جهوده قام عرش الكارولنجيين .

لم يطرأ في العهد الجديد نذل جوهرى على المؤسسات العسكرية . فالتقوات
المعاة لمحة ما نسرحد طالما تنهى الحلة ، ويستنى عريق من الجوده المحترمين ،
يستقيم الملك لؤلؤوا حرسه الخاص ، ويجري عليهم روائب كبيرة . ولم
يكن جيش الكارولنجيين قادة ذوو اختصاص ، ضمة الاقصاب هم القادة
في الحرب ورجال القضاء والادارة في السلم .

والملك بربان القصير هو اول من شهد لاصلاح المؤسسات العسكرية ، واقامة
جهاز اداري موحد . ولكن المؤرخين لا يقفون طويلا عند اصلاحات بربان
ويوردون ما حققه ابنه شارلمان في هذا الحقل . من هذا الملك سلطة قوانين
اخرى معها الجيش خاضعا لقبود تقيده وتنظم دقيقه نسبيا . وقد حتم احد هذه
القوانين على كل مواطن حريه تلبية نداء الوطن . وخول حكام المقاطعات
موجس عوامه كبيرة (٦٠ فلسا ذهبيا) على كل من يتهرب من حمل السلاح .
وادرك شارلمان ان سلفاء غفلوا الخيالة حقها بعد ما رأى من مآلتي

الفرسان العرب ، فشجع رجاءه على اقتناء الجياد بما خص به مقتنيا من اثار .
وفي عهده ظلت الخدمة العسكرية واجبا وطنيا يقوم به المواطن الحر دون
مقابل . وقبل الشروع في الحملة كان الملك يوعز الى المقاتلين بان يعدوا البدة
للعرب ويجهزوا انفسهم بما يكتفيهم ثلاثة اشهر على الاقل . وكان على المقاتل
الميسور ان يذهب الى ميدان الحث ومعه اسلحته وجياده وزاده . فاليسر شرط
لاحراز شرف الانتصواء تحت لواء الملك . وقد ذكر المؤرخون ان كبار الزراع
كثروا اسبق الناس الى نداء صاحب العرش لان الحصول على السلاح

والجياذ والمركبات ما كان ليكتفهم كثير غناء . اما صفار الملاكين ومتوسطو الحال فقد كانوا يتعاونون فيما بينهم على تدبير عدة الحرب ، وظلت هذه حالهم الى ان وضع شارلمان اساساً لتعبية الرجال ، فجعل ملكية عقار ومساحة محددة من الارض ، شرطاً لقبول الرجل الحر في عداد الحاربيين . اما من كانت عقاره غير مستوف الشروط المفروضة فيحقق له ان ينقسم من مركز العملة باسمه واسم جاره له . على ان ينهب احدهما الى الحرب ويعني الآخر بعقاره وعقار جاره .

ومن هنا نشأت الارستوقراطية العسكرية التي انبثقت منها الاقطاعية فيما بعد . فكلبار الملاكين ينهبون الى الحرب في الطليعة . اما الذين لا تنجح لهم ثروتهم اقناء الاسلحة والجياذ فانهم يكتفون بجر المركبات واصلاح الطرق .

وكان على كل اسقف او رئيس دير ان يضع في خدمة الملك عدداً معيناً من الرجال الذين يتولون منلكاته ، ويؤمن لهؤلاء زاداً ثلاثة اشهر ويجهزهم بالعدة الكاملة ، ولم يحسن تدبير هذه العدة بالامر اليسير ، فقد عثر في دير « سان كسنتان » ، خلال القرن الخامس عشر ، على امر ملكي وجه شارلمان الى رئيس الدير فولارد ، وذلك نصه :

« نخطبك علناً باننا بعد هذا اليوم الرابع عشر من ثور موعداً للاجتماع العام في القسم الشرقي من مقاطعة ساكس ، على مسيرة ست ساعات من نهر « بوداء » وجنوب بلدة استراسبور . وانا لناثراك بواجباتنا الى المكاثات المعين في اليوم المذكور يصحبك رجالك مجهزين بكل ما يحتاجون اليه ، اي ينبغي لهم ان يجلبوا وايام اسلحتهم وملابسهم وزادهم وسائر معدات القتال . فليأت الفارس الى الاجتماع مسلحاً بالرمح والسيف الطويل والسيف القصير وبقوس وسهام لا

بقل عددها عن اثني عشر سباً ، وحملوا مركباتهم فزواً ومعاول ورفوشاً وموئناً تكفي رجالكم ثلاثة أشهر ، ودفأثر تكفي ستة أشهر . تدبروا هذا كله بالسرعة اللازمة اذا كنتم مخرصون على رضى الملك .

يضاف الى هذا السلاح الفردي اسلحة اجماعية يمكن استعمالها في حرب الحصار . الا ان الكارولنجهين لم يأتوا بجديد في هذا الباب ، بل تسجوا على منوال الرومانيين ، فاستعملوا المجانيق الثقيلة والخفيفة لقذف الحصارات والكرات الرصاصية ، كما استعملوا المقلع العادي . وكانوا يشون اسواراً متحركة تدور على نفسها ويحماونها اكثر ارتفاعاً من استحكامات العدو . وكانت الزيران تجر هذه الاسوار .

واخذ الكارولنجهون عن الرومانيين اساليب الحصار وفقدوم في قومه اسلحة الرماية الاجماعية ، ولبنوا كتبتكهم المصومي : يبدأ الهجوم بوابل من السهام بطلتها الشاة ثم يندفعون الى امام شاهري الطراب او الرماح ، ثم تتدخل الحبال لتبدد شمل العدو بعد ان يكون هجوم المشاة قد اشاع الفوضى في صفوفه .

ولم يضم جيش شارلمان ، في وقت ما ، اكثر من عشرة آلاف مقاتل كان ثلثهم ينصرف الى جمع الاسلاب والمعرفة بمحكمة . فبكون شارلمان قد خاض غمرات حروبه بجيش لا يربي عدد رجاله على عدد المقاتلين في الكتبية الرومانية الواحدة . ومع هذا كانت مؤسسات الكارولنجهين العسكرية شيئاً جديداً في نظر المعاصرين . اما انتصارات شارلمان فلم تكن ثمرة مجهود فني فريد . وكل ما في الامر ان الرجل كان يتقن المساورة ويعرف كيف يستمر مصاعب خصمه .

ففي الحملة الايطالية حشد جيشه في جنيف ، ثم عبر ميري سان بوزر وسان

الجيش الفرنسي

ديس في جبال الالب . فارتد العدو الى « بافي » واعتصم فيها ، فحاصرها شارلمان الذي مقاتل طوال سنة كاملة . وفي هذه الاثناء كانت قواته الرئيسية تحتل مدن لومبارديا ونيس الواحدة تلو الاخرى .

نجا شارلمان النجوى نفسه في اخضاع بافاريا ، وقتل الرومانيين في تعبة مؤخراته بتعبي كبار معاربه حكاماً للمقاطعات المختلفة . الا ان حالة جيشه ما كانت تساعد على الاستمرار في الفتح ، لوتسيع للثقل ومن ارتقى العرش بعده الحفاظ على الامبراطورية .

الفصل الثاني

هيومنس العهد الانقضاية

١ - المؤسسات العسكرية

النظام الانقضاية . - نشأت الانقضاية من القوض الشاملة التي راقت
المزوات الجرمانيه ، وساءت على ناصبها ونقوها انعدام السلطة العسكرية ،
وجنوح الاقوياء الى السيطرة على القضاء ، واضطراب هؤلاء لطلب حماية
الاقربين من ذوي القوة دفعا لاذى الامميين .

ومن هذه الحالة نشأت جرائمات وكنى خاضعة لافرام غامض
وعامنهم على القوة والبطش . وقد تلك من كبار الانقضايين بمالك مستقلة
في المقاطعات راحت تراجم المسكنة الحقيقية مزاحمة حلف آل كليب (البيت
المالك) على توطيد سلطانهم بحروب طويلة شبروها على مزاحيمهم .

كانت سلطة الملك اسيرة خارج نطاق مقاطعته . فالامير الانقضاية ، ايا
كان شأنه ، ينفرد في مقاطعته بفرض الضرائب ونسوية المنازعات وتنحية
المقاتلين . وكانت الحرب تنشب بين امير وآخر اذا كانت مصالحها بخير
الخصلاف . لما اذا كان الخلاف بين الانبياع ، فالامراء يقفون موقف
المتفرج ولا يتدخلون الا اذا قربت على تطور الحرب مسائل مصالحهم .

ولم يكن للقضاء الانقضاية قانون مكتوب يتقيد باحكامه ، بل كان

بغرض ما يقضي به العرف والعادة . وكثيراً ما كان المتنازعون يحتكمون الى السلاح ، فيعد الظافور حقاً ولو توافرت الادلة على العكس .

في الحرب كان الامراء يسيرون الى ميدان القتال يتبعهم البارونات ، وياكب هؤلاء ، وهم اسباط من الدرجة الثانية ، الفرسان حملة الرايات ، قطعة من المشاة ، فرتل من المركبات يحمل المؤن . من هذا كله كانت تألف الوحدة العسكرية في الجيش الاقطاعي . وكان المحارب يؤلف فيها الخلية الاساسية كما هي الحال اليوم مع حامل البندقية الرشاشة في حفرة القتال .

على ان تأليف الوحدة العسكرية لم يكن واحداً في كل الامارات والدوقيات ، ومثل اسلوب التبعية وتجهيز القوى . وكان على المتبوع الاعظم Suzerain ، وهو يأتي في الدرجة الثانية بعد الملك ، ان يطلب مساعدة تابعيه من اسباط الدرجة الوسطى كلما عن له ان يتخوض غمرات القتال ، فيؤد هؤلاء الى « ميدان ابار » على رأس تابعيه من فرسان ومشاة ومغامرين لا يجحدون عن تحدي الخطر ، طمعاً بالاجر السخي او تقرباً من الزعيم . وكانت التقاليد الاقطاعية تجهل من المتبوع الأدنى حليفاً للمتبوع الاعظم بيد ان فريفاً من حصار المتبوعين تجاهل التقاليد وشق عصا الطاعة . وهذا ما حدث الامراء ان ينظروا العلاقات بينهم وبين تابعيهم النبلاء على اسس معينة ، فالنبيذ يقسم بين امير بين اولاد . والاخلاص ويتعهد بمحاربة اعداء متبوعه . ومقابل هذا يأخذ الامير على عاتقه حماية تابعه ويقطعه ارضاً يكون التابع السيد المطلق عليها دون ان تصبح ملكاً له .

وقد كانت الخدمة العسكرية اول موجبات النظام الاقطاعي ، مدتها اربعون يوماً اذا كان على التابع ورجاله ان يجازبوا تحت راية الامير على

ارض غير بعيدة . وجعلت مدة الخدمة غير محدودة في الاعمال التي تكون فيها الحرب طويلة الامد ويكون ميدانها بعيداً ، على ان يقطع المنبوع تابعه ارضاً اخافية ، او يجره من بعض الثيود او بعضه من بعض الموجبات . وكان بعض التابعين الاقوياء يشترطون على متبوعهم شروطاً معينة كأن يسير وحدهم في الطليعة او ان يعطى رجالهم من الاشتغال الشاقة كمشي الطرق وجبر المركبات وحفر الخنادق .

في الجيش الاقطاعي كان الفرسان يؤلفون العنصر الرئيسي ، لان الفارس متبوع صغير يسير في ركابه من هم دونه حياً ونسباً . الا ان سلطه كانت اسمية خارج حدود ارضه ، فرجالهم يؤثرون اوامره في السلم ولكنهم يؤثرون الى التمرد في الحرب . لهذا كانت طبقة الفرسان تخرج الى القتال مدرعة بما يرد عنها الاذى ، مجهزة بالسلحة تضمن لها الغلبة ولو ظلت وحدها في الميدان .

كانت درع الفارس قطعة معدنية تغطي جسده من العنق حتى الكاحل . وكان غطاء الرأس خوذة ثقيلة . اما القوس فكان استعماله شائعاً في بعض الاقطاع دون الآخر . وروي بعض المؤرخين ان عدة الفارس الدفاعية كانت تزن ستة ليبره ، وهو حمل يجعل صاحبه في مأمن من الطعنات ولكنه يسحقه سحقاً تحت ثقله .

وتسخر فرسان الجيش الاقطاعي للسلحة الغولية والرومانية لانها اثبتت عجزها عن اختراق الدروع الكثيفة ، فاستبدلوا من السيف القصير سيفاً طويلاً ذا حدين يسلك به الفارس بكلتا يديه ، وجعلوا للرمح رأساً محدداً ذا زوايا ثلاث ، وربطوه بسلسلة طويلة مشدودة الى مقدم الجواد او الى وسط الفارس . وكانت المدقة والقوس والمطرقة الأسلحة الفضلى في الانتصارات .

وبأني بعد طليقة الحيلة القطعات المساعدة ، وهي تضم اقطاعيين صغاراً مرتبطين بالفرسان ارتباطاً هؤلاء بالثيلاء والامراء . وتنتصر مهمة المساعدون بنقل الحلة مشرعيهم والعناية بالخياد ، ومساعدة الفارس في اختلاء صهوة جواده ، وبإعادته الى الصهوة اذا رمى به خصمه ارضاً .

اما المشاة المحققون ، المشاة الذين يقع على عواتقهم احرار النتيجة الحاسمة ، فقد كان الاسياد ينتزعونهم من حقوقهم ويوتجلون منهم مقاتلين ، سلاحهم القوس والسيف والمنجل وحياناً القلاع ، ودروعهم جلود يعطيها معدن رقيق . كانت اللجة معدومة بين هذه القوات ، فالقيادة غير موحدة والنظام مفقود . وكيف يطلب من جيش هذه حالة ان يقاتل بحجة ، ومن فائدة لا رأي لهم ان يرسموا خططاً ناجحة ويسهروا على تنفيذها ؟

عالج بعض الملوك والرؤساء هذه الفوضى وهذا الجحول بتشجيع المقاتلين الموزين ، فالقن الذي يأتي عملاً بطولياً بحرر ، والحر يفوز بارض اضافية ويلقب ، والمنبوع الصغير يقفز الى مرتبة الشجوعين العظيم بما يجري عليه من نعم وما يحاط به من اكرام .

فلما خاضت الجيوش الاقطاعية غمار معارك عنيفة ، فقد كان الخصم يجتهد في الحاق الاذى بعموده بتخريب بلاده وبالاغارة على مؤخراته وجناحيه . اما معركة نواص فيها الصفوف فقد كانوا يتحاشون جهد الطائفة ، واذا الجفوا الى خوض غمارها لا بطول بهم الامر حتى يكلوا الى ابطال منخوبين من المسكرين ان يصفوا حساب اللزاع يراز تجلس في اثنائه الانقاس وتبلغ الحاسة القدرة . اما اذا اصر الفريق المنتصر في الساحة على ملاحقة خصمه ، فلا يبقى امام هذا الا واحد من امرين : اما التسليم دون قيد او شرط ، او الاعتصام في اللين

الحصنة أو داخل القصور المشيدة خصوصاً لحرب الحصار . وكثيراً ما كان الظاهر
ينهب اقتحام القلاع فيرتد قائماً بما أحرز على الأرض المكشوفة ، ذلك بأن
الخطأ حاميات المدن والمراكز الحصينة كان يتطلب وسائل هجومية قوية وثابتة
لم يكن من مميزات الجيوش الاقطاعية .

وقد تطور فن القتال شيئاً فشيئاً تبعاً لتطور النظام الاقطاعي وليس
الوحدة القروية . واستطاع الملوكة الاول من آل « كاييت » ان يجمعوا
الجماعات في الحرب لقيادة موحدة يعاونها الامراء والنبلاء . الا ان الجيوش ظلت
جاهلة فن المناورة وظل نظامها مختلفاً . وقد وصف مؤرخ معاصر معارك ذلك
العهد قال :

تبدأ أفواج المشاة التحرش بالعدو ، فيطلق حملة الأقواس سهامهم يغطيهم
حملة السيوف والرماح والفؤوس ، لأنهم مدرعون . فإذا حصد العدو اندفع المشاة
الى امام كتلة متراصة ، واعملوا بالصفوف الامامية ميوفهم ومطارقتهم وفؤوسهم .
الا ان هذا النشاط الهجومى ليس سوى عملية محدودة ، فالعمل الحاسم تقوم
به الخيالة .

ينقض الفرسان على العدو وقد تجلبوا بالدروع واعتمروا بالحوذ الفولاذية ،
ولكنهم لا يتبعون في الهجوم قاعدة معينة ، كأن يضربوا الجناحين أو القلب
أو يحاولوا اللف حول المينة أو الميسرة ، بل يتقضون على اعدائهم شاهري
السيوف ، فيستد شغل المشاة قبل الالتحام أو ابانه ، فينعضهم حملة الأقواس
والقنايع . اما الفرسان فتشغلهم عن مطاردة مولى الاديبار خيالة العدو التي تنقل
الضربات بادية ذي بدء دون ان تردا على امل ان تهن عزائم المهاجمين الفارقين
في القولاة وتكمل منهم السواعد فتكر عليهم وتحرز الظفر دون كبير غناء .
على ان النعامات من هذا النوع لا يترتب عليها سقوط عدد كبير من

الضحايا ، فالدائرة إما تدور على الجياد غير المدرعة ، وعلى الفرسان الذين تنطلق دروعهم أو خوذهم بضرعة قوية . وكان المقاتلون يلاحقون الرؤساء والمقدمين في جيش العدو ، لأن وقوعهم في الأسر أو مصرعهم يشجع القوض في صفوف رجالهم ، ويحصل تابعهم على لقاء السلاح . لهذا كان المحاربون الأشداء من فرسان ومشاة يقانون ضمن دائرة بنوسطها القائد أو الأمير أو الملك .

٢ - نزو انكلترا

استطاع خلفاء الملك « هرع كاييت » ان يوسعوا نطاق المملكة ويدرهموا سلطتهم بمخالفة الجيران الافوياء ، وبالقضاء على نفوذ صغار المتبعين . وكان دوق نورمنديا أقوى الامراء المستقلين ، فكان آل « كاييت » يدارونه ويتوددون اليه ويستعدونه على خصومهم .

وفي عهد فيليب الاول ، آخر ملوك الكاييتين ، اشتد ساعد النورمنديين وارادوا ميلاً الى المغامرة . وحفل القرن الحادي عشر بآتيهم في ميدان الفتح ، فقاتلوا على الارض الاسبانية ، وانشأوا مملكة صقلية ، وغزوا انكلترا ، فكانت معركة « هاستنغس » اعظم حدث عسكري في ذلك العهد .

اعد غلبوم الملقب بالتفيل (ابن الزنا) حملة قوية لغزو انكلترا ، وسجده على ركوب هذا المركب ملك فرنسا فيليب الاول ، لا كرهاً بالانكليز بل رغبة منه في الهاء منافسه العنيد دوق نورمنديا بعمليات خطيرة على الضفة الاخرى من القناة .

حشد غلبوم سبعة سفينة : مراكب صيد واخرى تجارية ، وسفن كبيرة لنقل الجند نواكبها قطع حرية . ولم يكن جيشه اقطاعياً كله . فقد تألب تحت رايته المرتزقة وعشاق المغامرة من الفرنسيين والاسبان والبريتانيين . وفي بضعة أشهر جهز غلبوم جيشاً من ثمانية عشر الف مقاتل ثلثهم من الفرسان .

اجبرت الحملة في تشرين الاول من العام ١٠٦٦ وتزلت على الارض
الانكليزية دون كبير عناء . وكان هارولد ، ملك انكلترا ، ينتظر عدوه
على رأس جيش من المشاة سلاحه الرئيسي الفأس الدافركية التي لا يمكن
الضرب بها بيد واحدة .

قسم غلبوم الجيش النورمندي ، وقل اذا شئت الجيش الفرنسي ، ثلاثة
جناح ، وجعل لكل فيلق ثلاثة صفوف : الصف الاول ويتألف من حملة
الافواص ، ووليه صف المشاة ، صف الحبال ، وقد جرى وحدات صغيرة
نضم كل منها عشرة فرسان بقيادة نبيل . بدأ الصف الاول الاعمال العدائية
ثم اندفع الفرسان محاولين بعثرة صفوف السكسونيين . قصد هؤلاء ثم سبوا
عجوماً مضاداً مستهدفين مينة النورمنديين ، فانكسأت المينة مستدرجة العدو
الى الخلف بها . ففعل دون ان يحتلظ المناورات غلبوم أو يتجه الى لغبه .
فانهز القائد النورمندي الفرصة واطبق جيشه على جناح السكسونيين ومؤخرتهم
فاخطر هؤلاء للكف عن ملاحقة الفرسان المتواجعين ، ولحقوا الجيش النورمندي
بمؤوسهم ومطارفهم . فوضعهم فرسان غلبوم ومشايتهم بين شقي الرمح واعلموا فيهم
سبوغهم الماضية . قتالوا منهم خلقاً كثيراً وكان الملك هارولد في عداد القتلى .
ولكن مصرعه لم يفت في عضد رجاله فثاروا على الضال حتى عكس نتائجهم .
وتم لغلبوم فتح انكلترا كلها في بضعة أشهر لان موقفه عشتقس كانت
حاسمة . وقد اجتمع المؤرخون المعاصرون على اطراء مواهب القائد النورمندي
واظهروا مقدوره على استئثار اخطاء خصمه . وحشره مؤرخو القرن التاسع
عشر في عداد الفاتحين العظام الذين تلمذ عليهم نابليون واستوحى خططهم .

٣ - قلور الجيش الاقطاعي

استطاع الكايتيون الاول ان يدعوا السلطة الملكية ولكنهم عجزوا عن

كبح جماح النبلاء الذين كان الاغوياء منهم يجادلون وجود الملك . اما الضعفاء فقد كان خضوعهم لصاحب العرش عبثاً ثقيلاً عليه لانه كان ملزماً بمجانبتهم . وما كان النبلاء الاغوياء ليتورعوا عن ارسال رجالهم الى المزارع الملكية يسهونها . وظلت الحال على هذا المتوال الى ان تربع على العرش الملك لويس السادس الملقب بـ « الملك الضخم » ، فوضع حداً لعمال النبلاء العدائية بمحلات تاديبية مرفقة كان هو دائماً على رأسها . وابتدأ الشعب ملكه وشده اذنه لانه توسم في السياسة الجديدة ، سياسة الحزم والضرب على ايدي المتطاولين ، الخير للبلاد وعهداً غف في وطأة الاسباب . وقد قربت الثقة على هؤلاء الشقة بين لويس السادس وعماله الملكة فقام بين الفريقين تحالف صحي وطرد سلطة الملك وهيبته . وامتحن هذا التحالف سنة ١١٢٤ عندما اجتاحت فرنسا قوات امبراطور المانيا وفي نهايتها ان تهدم كاتدرائية ريمس . فالتحد الفرنسيون امام الخطر ونساقوا الى الانضواء تحت راية الملك ، وكان ابناء الشعب وصغار الملاكين ورجال الكنيسة في طليعة المتطوعين . تألف منهم جيش عدد رجاله مائة الف ، فتأثر النبلاء بوطئة الصغار وما لشوا ان حذوا حذوهم . فعرض الملك في « ميدان ايار » جيشاً يتألف من ٣٠٠ الف رجل موزعين على خمسة فيالق ، ضم اولها متطوعي اسقفيت ريمس وشالون ، وثانيها متطوعي لون وسواسون ، وضم ثالثها المياليشيا الباريسية ومتطوعي اورليان وسان دنيس ، وقد تولى الملك قيادة هذا الفيلق بنفسه . وقاد الفيلق الرابع دوق مقاطعة شامبانيه ، والفيلق الخامس دوق مقاطعة بورغونيه ، وعهد لويس السادس الى دوق مقاطعة الفلاندر بحماية المؤخرة وامره على عشرة آلاف فارس . وقبل ان يتحرك هذا الجيش العظيم انتهى الى امبراطور المانيا خبره كتب الوقف وعاد من حيث اتى .

وهكذا تطور الجيش الاقطاعي من قوات فوامها الخاصة من الناس الى جيش يضم الخاصة والعامة على قدم المساواة من حيث الواجب الوطني ادى اقبال الشعب على الانخراط في الميليشيا الاقليمية المستقلة عن قوات النبلاء الى تعاضد الجيش الملكي ، وساعد على ثوره قيام العامة او المجالس العامة في القرى والديساكر ونفردتها بحق دعوة الرجال الى حمل السلاح وسوقهم الى ساحة القتال ، وقد كان هذا الحق محصوراً بالنبلاء .

كانت العامة جمعية يدير شؤونها المجلس البلدي باسم الملك ، وكان الانحصار يقسمون بين الطائفة للرؤساء والولاء للجائس على العرش . ومنح الملك العامة حق اعلان الحرب لأغراض دفاعية وتعهد بمساعدتها عند الانتشاء . ومقابل هذا تعهدت العاميات بوضع الميليشيا في خدمة التاج .

وما لبث رؤساء المؤسسات الجديدة ان نكحوا في الحرب منحن النبلاء . فصاروا ينطلقون صهوات الجياد ويسيرون الى القتال بحوطهم الخدم والمساعدون . وما مضى طويل وقت حتى قامت في فرنسا بورجوازية اقطاعية . الا انها ظلت خاضعة للملك ولم تبعد عن اوساط الشعب لانها كانت في حاجة الى تأييده . ولم تتبع العاميات نظاماً موحداً ، انما كان لكل واحدة منها نظام خاص . بيد انها اتفقت جميعاً على ضرورة اعفاء المرضى ورب العيلة التي لا سبل لها سواء من الخدمة العسكرية ، وجعلت الحد الأدنى لسن الخدمة ست عشرة سنة والحد الأعلى ستين . واستثنى الصناع والحجازون والطعانون والتجارون والتجارون لان بقاءهم في عملهم ضروري لتأمين الحاجات العامة .

وغني عن القول ان ميليشيا العاميات كانت تهيئ فن المناورة . لهذا كان الملوك يكتلون اليها الدفاع عن المدن الحصينة ولا يستخدمونها في القتال على ارض مكشوفة . وقد رأينا الملك لويس للقب بالضخم يجمع عن مطاردة امراة طيور

للمناجحة لاجب نعلم ان هذا الجيش المرنجل لا يستطيع العمل خارج فرنسا .

٥ - الحروب الصليبية

ادخلت الحملات الصليبية تعديلاً جوهرياً على فن الحرب لهذا تبنت من تاريخ هذه الحملات الحوادث ذات الاثر العسكري في التنظيم والسلاح والاساليب .
الحملة الاولى (١٠٩٦ - ١٠٩٩) . - قام الفرنجة بالحملة الصليبية الاولى بتعريض من البابا اوربانوس الثاني . وقد وجد هذا التعريض ارضاً مهيئة في بلاد حبيبة العهد بالتصراية ، ضاق ببلادها ذرعاً بالسلطة الصليبية المتزايدة فنفروا الى الخارج ينشدون مسرعة حراً لتقضيهم العسكرية . وسار في ركبهم جموع استغزمتها الحرب عوامل شتى ، فكان هناك المؤمن الذي اثرت به تحريضات البابا ومنشأته ، والمغامر الذي يشاقق التعريف الى الشرق ، والمعلم الذي امل بالعود الى الوطن غانماً .

وقد تقسم الحملة العسكرية جماعات المتطوعة والمرتقة والحجاج بقيادة بطرس التاسك (بيير لوميت) . اما الحملة النظامية فقد تألفت من جيوش اربعة :
١ - جيش الشمال بقيادة « غودفروا در بويون » وقد انخرطت تحت لوائه موات الليرين والفلاندر وهينو والرين وهولندا ، وكان يضم عشرة آلاف فارس وسبعين ألف راجل . سلك هذا الجيش طريق بافاريا ماراً بالنمسا فالحق هيلغاربا ، وبلغ ضواحي القسطنطينية في ٢٧ كانون الاول سنة ١٠٩٦ .
٢ - جيش الجنوب بقيادة « ريمون در سان جيل » كونت تولوز وقد ضم قوات عسكونيا واوفونيه ولانندوك وبروفنس . وقد سلك هذا الجيش طريق لومبارديا ماراً بدماسيا فاليونان .

٣ - جيش الوسط بقيادة دوق نورمندا . وكونت « بلوا » سلك طريق ايطاليا حيث انضم اليه جيش رابع تألف من عشرة آلاف فارس وشرين

الف واجل بين ايطالي ونورمندي بقيادة « بوهيمون » .

كان حصار « نيقيا » اولى العمليات الحربية التي قام بها الصليبيون ، واستمر الحصار شهرين (نيسان وابار سنة ١٠٩٧) استعان الفرنجة خلالها بعواصم المهندسين اليونانيين وبآلاتهم . وفي « اسكي شهر » حصل الاستيلاء الاول بين الفرنجة والأتراك (اول تموز ١٠٩٧) فتلقى فرسان الثالث التركي ألب ارسلان رجال « بوهيمون » بتكتيك اشاع القوضى في صفوف هؤلاء . ذلك بان الاترك مجتهدوا الى الفرسان بمهمة رمي اعدائهم بالبال ، فكان كل صف من الجبال يتقدم من الفرنجة ويضرب جعابه ثم يعود الى مكانة فاصحاً الجبال امام صف آخر . وفي هذه الاثناء كان الرماة في صفوف الفرنجة يعملون ككتلة واحدة فاختد منهم التعب جميعاً في وقت واحد ، عندئذ انقض عليهم الاترك واعلموا فيهم اليرف والجناسجر . فارزنت قوات بوهيمون منخفضة من مركباتها حاجزاً يقيا ضربات العدو . وكان قائدنا قد ارسل الى الصليبيين المتخلفة يطلب اليها ان تسحب الخيل ، فوصلت في الوقت المناسب واستطاع التقدم « دي مونيل » ان يقوم بحركة لك مستورة لم يشعر بها الاترك الا وهم مطوفون ، فركزوا مجهودهم ضد اضعف النقاط في صفوف اعدائهم واستطاعوا ان يثقوا لانفسهم طريقاً مولين الادبار ، متخليين عن مركباتهم ومؤنهم .

وقد اجتمع المؤرخون على القول ان معركة « اسكي شهر » جعلت الاترك ينهبون الفرنجة ويقتدون مزاييم العسكرية . وذهب فريق منهم الى ابعد من هذا فزعم ان انتصار الفرنجة في « اسكي شهر » اخر استيلاء الاترك على القسطنطينية زهاء ثلاثة قرون .

كان الزحف الى انطاكية عبر المضارب الجرداء امتحاناً قاسياً لمعنويات

الحق . فقد مات خلق كبير جوعاً وعطشاً وهناك معظم الجياد قتلت من
مراسلها قطعان راجعة نحو القادة في تنظيمها منعي اليونانيين ، واضطرب نشاط
العدو وبقيت لثقلية السلعة والمؤخرة والجناحين .

ولم تكن انطاكية بالمنية المهمة المال ، فقد جعل منها الفن البيزنطي
حسباً مذهباً جداً تشييده حوصلة اربعمائة سور تركيز على العاصي وعلى
مسترات جبل سيلوس . وهذا حاصرها الاثراك قبل عشر سنين ولولا
خلافه فرقت من اهلها لما البح لهم الاستيلاء عليها .

استمر حصار المدينة رهاء سعة اشهر تخطتها اشتباكات عنيفة ومواقع
وقعت عندها مؤرخو العصر لاهينها من الناحية الفنية . ومن هذه المواقع موقع
بحيرة انطاكية التي انتصر بها الصليبيون بفضل براعة القائد بوهيمون .

وامن الى القائد ان مددا عظيمًا يضاف الى انطاكية من حلب فتمت
اللائحة حصدة على رأس سبعين فارس عتداً المشاة حول المدينة المحاصرة
ليجبروا المعسكر والمؤمن . وقد اختار بوهيمون لقائهم جيش البعده الممر الضيق
الذي يستل بين العاصي وبحيرة انطاكية ، لعله ان معركة تدور رحاها على
رصة بثل هذا الضيق لا يكون فيها اي تأثير لتفوق المدهي ولا يسمع
الحال لحرب الحركات والناورة ضد الجناحين .

وبدأ انتصر قوات بوهيمون بفضل شجاعتهم ورشقة حركاتهم وولى
جيش العدو الامهار متخلفاً عن عتاده الثقيل . واتصل خبر الهزيمة بحامية
انطاكية مدب الحور الى عزائها وساروا واحد من الكتفين حماية احد الاسوار
الخارجية القائد بوهيمون على السليم فست الصفقة وكانت من العوامل التي
عجلت بسقوط المدينة ، فدخلها الفرنجة في الثالث من تموز ١٠٩٨ .

وبعد سقوط انطاكية بدأ الزحف الى بيت المقدس فبلغت الحلة اسوار

المدينة في السابع من حزيران سنة ١٠٩٩ ، فأقام روبرت دوق نورمانديا معسكره في القطاع الشمالي ، وعسكر جيش غودفروا دويرون الى الغرب امام « باب داود » ، واحتشدت قوات الكونت دولوارز جنوباً على جبل صهيون . وصيحه ١٣ حزيران شن الفرقة عجمياً على المدينة فأخفق لان الاسلحة التي استخدمت في الحصار لم تكن متكافئة مع قوة البطارز الدفاعي ومناعته . وراة المحاولة صعبة اشتداد القبط وسدورة الماء . على ان احتياق الهجوم الاول لم يفت في عهد الفرقة لانهم كانوا يرتقبون وصول افرقة جديدة . وقد وصلت منه الاعنة الى يافا في ١٥ حزيران وتولى ملك فارس نقلها الى خضاعي بيت المقدس بعد ان اضطروا محاولة حركية كانت تهدف الى ائزاز القضاة الحرة قبل ان تغرق السفن تحتلها . فحصى الفرسان بالنفس ولتكنهم انصروا الاغدة الحربية والاخشاب والجبال والمزق والبعارة . وكان يبر هؤلاء مهندسون يتقنون صنع آلات يتكئها ذلك الاسوار المنيع . فافادت الحلة من اختصاصهم . وما هي الا خمسة عشر يوماً حتى توفرت لدى الفرقة اسوار نفالة وحاسية ضخمة . وفي ليل ٩ - ١٠ تموز اقيم سور خشبي امام اسوار المدن الشمالية الشرقية وسور خشبي ثان على جبل صهيون واقام الثالث امام « باب البعازر » . وفي ليل ١٢ - ١٣ تموز شن الفرقة هجومياً هجلاً ، فصارت النتائج الاولى محيبة للامال لان الحامية عطلت الاسوار بأكياس ملئت فطناً وبنياً ، ولم تؤثر في الجدران مقدورات الحريق ولات سقطها بندق حجارة خضبة . ولجات الحامية الى اسلحة دفاعية متنوعة منها الزيت المحروق والبار اليونانية والسمام المسومة والكبريت النقي . وفي اليوم الثالث كما الفائد غودفروا سور الخشي النقال (يسمى بعض المؤرخين القصر الخشي النقال) جلوه حيوات طروقة ليدفع عنه خطر النار ، فأعطى هذا السلاح المضاد

النتيجة المتوخاة . وفي ١٥ تموز أصبح بيت المقدس في قبضة الفرنجة .
 الحملة الثانية . - قام بالحملة الصليبية الثانية جيشان كبيران أحدهما الثاني بقيادة الامراطور كونراد والآخر فرنسي بقيادة لويس السابع . وقد هزم
 الأتراك في موقعة اذولبة Dorylée وتفرقوا ايدي سباً . اما الفرنسيون
 فقد قامت في طريقهم عقبات كأداء واضطرتهم دسائس الترك واليونانيين
 لتعديل خططهم اكثر من مرة . وكانت الحملة الفرنسية تهدف في الدرجة الاولى
 الى دفع الخطر عن بيت المقدس بعيلبات الماء واسعة النطاق . وافر الملك
 على هذه الحملة قادة الجيوش الصليبية التي لحقت بالجيش الفرنسي . بيد ان
 الخلاف ما لبث ان دب الى صفوف الصليبيين فاستنصر السلطان صلاح الدين
 مخاضهم سياسياً وعسكرياً واسترد مدينة القدس سنة ١١٨٧ .

الحملة الثالثة . - حاصر غي دولوزيليان مدينة عكا سنة ١١٨٨ واحتل جزءاً
 منها . ولكن الخطة المسماة استطلاعات حصر الفرنجة في نطاق ضيق فتناهى
 الملكان فيليب اوغست وريشار قلب الاسد منازعاتهما وخفاً للجنة غي
 دولوزيليان هاضم جيشهما المدينة الحصينة واستخدما في ذلك اسوارها وقلاعها
 اسلحة جديدة منها الخرافات . وما ان سقطت عكا حتى عاد فيليب اوغست
 الى اوربوا تاركاً عشرة آلاف فارس تحت امره وريشار قلب الاسد .

اما الحملات الصليبية التي تعاقبت منذ ذلك فقد كان اشتراك الفرنسيين فيها
 نادراً ولم يتغلبوا من الاحداث العسكرية ما يستحق الوقوف عنده .

نتائج الحملات الصليبية . - اتبع للفرجة في الشرق انت مجتهدوا منهم
 العسكري ونظموا جيوشهم نظماً جديداً . اقبسوا من اليونان اساليب
 تكتيكية اضمحلتها في مهاجمة المدن الحصينة وفي الدفاع عنها . وتعلموا من
 خصومهم العرب فن المناورة واللقب والتمويه ، وقبسوا منهم فن التنظيم

والترجع المنظم . وأثبت مشاهير سنة ١١٥٦ ، وهم يتراجعون عن مصرى ، أنهم لا يفلتون عن العرب حياءً وشجاعة ومقدرة على تغطية الاعداف الحيوية . اما الحياة الصليبية فقد ظلت العنصر الرئيسى في معارك الارض المكتشفة . ولاحظ القادة ، بعد حصار انطاكية ، ان الفرسان عاجزون عن مجازاة العدو في المناورة ، لان اسلحتهم الثقيلة تبطئ كوالهم ، فجهزهم بأسلحة خفيفة من صنع معامل دمشق . واقد الصليبيون من براعة الصناع الدمشقيين فاستعملوا سيقاً حدها من الفولاذ ، وآلات خفيفة لثقب العدو بالنار البوقية .

وبعد انشاء المملكة الصليبية ازداد عدد المحاربين المرفقة ، لان المملكة الجديدة اضطرت لابقاء جيش كبير تحت السلاح مهدت اليه بالذراع عن المراكز الاستراتيجية الهامة . ويذكر المؤرخون ان الوفاً من ابناء السلاط جندوا في مناطقهم للدفاع المحلي .

وانشأ الفرنجة في الشرق قصوراً حصينة وقلاعاً على غرار القصور التي شيدها اجدادهم في فرنسا . بني معظم هذه الانشاءات على عذاب تشرف على طرق المواصلات الرئيسية ، كقلعة الحصن ، التي تحمي الثغرة بين حصن وطرابلس ، وقلعة الشقيف وغيرها .

ورافق قيام المملكة الصليبية انشاء المؤسسة المعروفة بـ « فرسان القبر » . فبدأت دينية يحنأ ثم تحولت الى منظمة عسكرية ، ووضعت سبوطها في خدمة الملك والدين . وبعد انهيار المملكة انسحب الفرسان الى رودس ، فعضوا الجزيرة لتكون حاجزاً بين الشرق الساحض المنعز للقوق ، وبين الغرب المتفسخ المنقسم على نفسه .

٥ - نيايب الالوت وموقعة بوقين

تشد البابا الملك فيليب اوغست سنة ١٢٠٨ ان يعود الى الشرق على الجيش الفرنسي

رأس حملة حربية جديدة ، فكان جواب الملك انه لا يستطيع براح فرنسا ، لان
أهلين هصوريين يتهددان خاضجه . فالامبراطور اوتون وملك انكلترا يبدلان
في رصعها لاشاعة الفوضى والاضطراب في المملكة الفرنسية .
لم بعد فيليب اوغست الحقيقة في جوابه على مناشدات البابا : خلف له
والده لويس السابع مملكة واسعة ، لان رواجه باليونور ابنه دوق « الاكيتين »
ووارثته الوحيدة أطلق بفرنسا دوقيات « نيجي » و « غاسكونيا » ومقاطعات
« سانت » و « بواتيه » و « بورغو » . بيد ان طلاقها وزواج اليونور من
« هنري دو بلانجاينه » دوق نورمانديا وسيد برتانيه بسط بملكات هذا الامير
القوي حتى باتت تشمل خمسي الاراضي الفرنسية . وبعد زواج هنري ببطنة
شهر اتمن نفسه عرش انكلترا ، فاعتلاه باسم هنري الثاني وحار نابعا
الملك فرنسا في مملكاته عبر الخائض . غير ان هنري ما لبث ان طيح الى
سط سيطرته على فرنسا كلها ، فقام بينه وبين « آل كابيت » نضال عنيف
واستمر العداء بين البيتين المالكيين ، وظلت المسألة المختلف عليها معقدة الى ان
ارتقى العرش الفرنسي فيليب اوغست ، فقرر الفصل فيها وتوحيد المملكة
توحيدا نهائيا .

وكان وجود ريشار قلب الاسد ملك انكلترا على رأس قواته في فلسطين
المناسبة التي طالما تحبها الملك الفرنسي لطرد خصومه من الارض الفرنسية . فترك
ريشار حوله اسوار عكا ، وقفل راجعا الى فرنسا حيث شرع يهاجم
الممتلكات الانكليزية . وانصل لغير ريشار ضعف للدفاع عن اراضيه ، فقتل في
موقعة « سالو » . وعلى الاثر اعتلى العرش الانكليزي شقيقه « جان سان نير »
بعد ان فثك بولي العهد الامير ارثر . واستشر اوتون امبراطور المانيا الوضع
الحديد فد بده الى « جان سان نير » و « دوق الفلاندر » وعقد ثلاثهم الحناصر

استعداداً لضرب جناحي فيليب اوجست .

لم يقابلاً ملك فرنسا بهذا الحلف القوي ، فهو لم يسقط من حسابه تأليب
الالمان والانكليز عليه عندما اخذ على عاتقه تحقيق الوحدة الفرنسية ، فاوغر
الى البلاء في مقاطعة « شامبانيا » ، بان يحصنوا قصورهم وينشئوا تحصينات
قوية لتغطية المراكز الحيوية . وبعد هو الى اسوار مدينتي رينس وشالون
فبحسب يمدان سبيكة ، وحفر امامها خنادق عميقة . ولم يس باريس فأنتم
سنة ١٢١٠ بناء السور الذي كان قد شرع في بنائه قبل الحملة الصليبية .

وفي سنة ١٢١٢ حشد فيليب ١٥٠٠٠ مراكب لغزو انكلترا . ولما
استخدم هذه « الارمادا » في غزو سواحل الفلاندر ، لان البابا صرفه عن
مهاجمة انكلترا . بعد ان حلة الفلاندر لم تبجح ، وزادت سكان البلاد نشيئاً
بالحلف الثلاثي . فغزو الحلفاء القضاء على فرنسا كدولة عظيمة ورسخوا خطة
المهجوم التالية : يزحف الالمان والفلامان والانكليز من الشمال ، وفي الوقت
نفسه ينزل الملك جان على رأس حملة في ميناء « لاروشيل » ويسعى الى
اثارة تلبية السابقين ويجهتد في استدراج ملك فرنسا بعيداً عن باريس ، لينسى
جيش الشمال ان يتقدم دون مشقة .

حين فيليب اوجست . الى فيليب اوجست على نفسه حماية المملكة
الفرنسية ضد كل طامع غريباً كان او اجنبياً ، واعد هذا الغرض جيشاً قوياً
لها في تنظيمه ونظمته منهي حديداً . دون ان يغفل الفوائد الاساسية التي
وضعها سلفاؤه من آل « كابيت » . من ذلك انه عمل على توثيق العلاقات
بينه وبين النبوة ، وعني خاصة بالميليشيا الشعبية ، ومن قوانين تميز اغناء
دوي المعاهد والمرضى وارباب العيال من الخدمة العسكرية ، لقاء قيامهم
بجمع اجور الجنود المرتزقة .

رائدك فيليب أوفست أهمية الإنجاز في صفوف المجازين ، وزعمهم على قطعات تضم كل واحدة منها رجلاً نشأبت اسلحتهم وطريقتهم في القتال . فالفرسان الخفاف انضموا في قطعة على حدة ، واستلبت اليهم مهمة مطاردة العدو المتراجع ، وجعلت الخيالة المدرعة قوة الطليعة ووزعت على وحدات تضم الواحدة منها مئة فارس .

ولم يتوصل فيليب أوفست الى حل معضلة الجيش الدائم . فلم ينجم لديه في اوائل القرن الثالث عشر أكثر من أربعة آلاف مقاتل ، معظمهم من المرتزقة الذين كانوا يضعون سواعدهم في خدمة الملك او الزعيم الأكثر بدلاً . وكانوا في السلم يعيشون في البلاد فساداً ، فيسلبون الناس ويسطون على الدور الآمنة دون أن تجرؤ السلطات على مناقشتهم لطبا . بيد ان فيليب أوفست عرف كيف يتكج النزعة الثورية في نفوس المرتزقة ، فجعل منهم اداة حالحة ، وصكاهم مؤونة السلب والنهب بان اجرى عليهم المنسح والهبات .

لما دخل الملك فيليب أوفست تعديلات جوهرية على القيادة . فعهد الى النبلاء الصغار بقيادة الميكنيا الشعبية ، وبالدفاع عن القلاع والحصون . وناط بوزره الاول مهمة اعداد الخطط الحربية والاشراف على تنفيذها . وجعل من المارشالية واسطة العقدين بين وبين الدوقات والكونتية والبارونات .

التصميمات . - اجمع المؤرخون على ان الملك فيليب أوفست كان مهندساً بارعاً . ففي عهده تقدم فن الهندسة العسكرية تقدماً عظيماً . فصلت القلاع المشيدة بالحجارة محل الصروح الخشبية . كان الصرح يبنى على منحدر وعبر المسالك ليكون مسكن النبل او السيد والركن الدفاعي المنيع . كانت الصروح قبل فيليب أوفست ذات شكل مثلث يحيط بها سورات

بلاص احدهما جدران الصرح حتى شرفات الطابق الاعلى ، متصلاً بالطابقين الارضي والاول حيث كانت تترامى المون والاعتدة والذخائر . اما السور الآخر فيحيط بالصرح ، بفصل بينها فناء عريض قامت عليه الاسطبلات وابنية اخرى لايواء الخامية .

لمر قبلت اوغست بنشيد قلاع وصروح مدمرة الزوايا ، واخرى ذات زوايا متعددة . وحمل الفاصل بين السور الخارجي والسور الداخلي فناء تقاطعه الخنادق والحفر . وضع في كلا السورين تغرات لايواء الرماة متصلة بالفناء سلام حلزونية .

وحسن الملك « المهندس » رسائل الهجوم فامر بصنع مجانبين بحجرة وقاصات يمكنها ان تطلق قذيفة او حجراً تراوح زنته بين عشرة و ١٥٠ كغراماً ، وبصنع اسوار وصروح ثقالة يخفى المهاجمون في داخلها . وانشا وحدة من الثعابين اطلق عليها اسم « حلة الهندسة » وفقط بها صنع المجانبين والاسوار في ميدان المعركة .

التكتيك . - استعان فيلب اوغست بقيادة من الرهايين والبلدان خربوا من الفن العسكري بنسط وافرو . وكان المشفرون على التعمق في هذا الفن يعنون غاية حاجة بحرب الحركات وبوجهون اهتمامهم الى القتال على الارض المكشوفة ، وينصحبون بالاقلاع عن قتل الوقت في محاصرة القلاع لان الحلة الناجحة تضع في متناول المهاجم مقابيح الحصون المتبعة والمدن المحصنة .

ورضع اساتذة الفن العسكري قواعد معينة للتكتيك الهجومى والدفاعى . ففي الهجوم يمكن احراز النصر بحملة جبهة قوية ، او بعملية لف سريعة تابعت العدو . وفي الدفاع تظل الصفوف متراصة اذا ارتكزت العمليات الدفاعية على جهاز محقق ، ويمكن تجنب حركات اللف العادية بحمل الجبهة

الدفاعية موازية لجبهة الخصم من حيث الاتساع .
 معركة بوفين . - فلما ان ملك « انكلترا » جان سان تير « اخذ على عاتقه استدراج فيليب اوغست الى « لاروشيل » ، فدخل الجو للجيش الحليفة الزاحفة من المانيا والفلاندر . وقد وصل جان الى « لاروشيل » في شباط سنة ١٢١٤ ، وكفاه الذهب الذي نثره بسخاء مؤونة القتال ، فلم يلبه سنة وعشرون سيداً مقاتلح سنة وعشرين صرحاً وقلعة . وانتهى خبر الغزو الى فيليب اوغست فظف لئدراك الموقف بعد ان استولى من ارناداد جيوش الامبراطور اوتون الى منطقة الحدود ، ليعيد القادة النظر في تنظيمها . فاسرع الملك جان الى الاعتصام ما وراء نهر « الفارون » غير مكثرت لمصر الاسناد الذين اليهم ضد ملكهم . فاقنص منهم فيليب اوغست دون ما شفقة . ثم نقل عائداً الى الشمال ملقياً على عاتق ولي عهده الامير لويس احباط محارلات « جان سان تير » فاعتصم الامير في القلاع والصورح والمدن المستردة .
 ما ان اتصل بملك انكلترا خبر رحيل فيليب اوغست حتى زحف على محاذة نهر « اللوار » وحاصر قلعة « روش » القاعة حاجزاً متبعاً في طريقه . وقد استخدم الانكليز في ذلك الاسوار المنقذوفات الثقيلة والمثل المضخة والالغام . وكان الرماة يغطون عمليات الحفر بسهام مسومة برشقون بها المدافعين ليرغمهم على التوازي . ولكن الحامية استبليت في القتال وظلت تكافح خمسة عشر يوماً . وفي اليوم السادس عشر وصل الامير لويس على رأس جيشه الصغير المؤلف من الف فارس وسبعة آلاف راجل ، فولى رجال الملك جان الادبار قبل ان يلتقي الجيشان تحت اسوار القلعة العظيمة .
 في هذه الاثناء كان جيش فيليب اوغست وجيوش الحلفاء قد احتلت مراكزها . فاجتشد ثلاثون الف فرنسي في « بيرون » على نهر « السوم »

وخمسة وسبعون ألفاً من الالمان والفلامان حول « فالسين » . وكانت الحباله في جيوش الحلفاء ضعفي ما كان منها في جيش الملك فيليب اوغست . قرر الملك الفرنسي مفاجأة العدو باللف حوله من الشمال . وقد بلغ بلده « نورث » صباح السادس والعشرين من ثور . بيد ان الحلفاء تغادروا هذه الحركة بالانتشار على طول نهر « الايسكو » ، فعزل فيليب عن خطه واعتمد عكسها ، فقرر نشر جيشه على الضفة الغربية لثغر « مارك » . وكان جسر « يوفين » الوسيلة الوحيدة التي يمكن بها الانتقال من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية .

شرع الجيش الفرنسي بنجته سطر الغرب صباح الاحد الموافق ٢٧ ثور تحمي مؤخراته فصائل من البورغونيين والشامبانيين . وكان الملك قد عقد مجلساً قبل تحريك الجيش ، فقال فريق من القادة ان اوتون لن يهاجم في يوم مقدس كيوم الاحد . وخالفه فريق آخر على رأسه الراهب « غيرون » رئيس اركان الحرب .

وبعد مسير بضعة فراسخ قام الراهب بعملية استطلاعية ، فشاهد الجيوش المتحالفة تجرد في السير شمالاً بمجازاة اوضاً تغلغل المقاتل ، فنصح بياغته العدو ، ولكن الملك لم يستمع للنصيحة فعبرت القوات الرئيسية نهر سارل تحمي مؤخراتها فصائل تحلفت على الضفة الشرقية للنهر . وقد هوجمت هذه الفصائل بهجوم شبه عليها الفلامان فقاومتهم واستطاعت ان تتفكر بنظام . واتصل الجبر بفيليب فعشد جيشه قبل وصول الجيوش المتحالفة . وعند الظهر كان الحصان وجياً لوجه .

كانت خطة الامبراطور اوتون ترمي الى فتح ثغرة في قلب الجيش الفرنسي . وقد شغل هو قلب الجيوش المتحالفة تحوطه خباله « الساكن »

واللورين ولجورج ونامور . واحتشد امامها المشاة الجرمانيون وميليشيا الفلاندر وشغل الجناح الايمن الجيش الانكليزي بقيادة ساليسبوري وقوات « هوغ ديروف » و « رينو دودامرنان » وهو فارس فرنسي انشق على ملكه . اما المسيرة فقد ضمت خيالة البلدان المنخفضة بقيادة الكونت « غران » .

نولى الراهب « غيران » نشر الجيش الفرنسي . وعني عناية خاصة بتعزيز الجناح الايمن اقتناعاً منه بان المعركة الحاسمة ستدور على الرقعة الشرقية من ساحة القتال . فحشد مقابل خيالة الكونت فران نخبة القوات الفرنسية . واحتشد في الوسط ميليشيا العاصيات الاقطاعية حول الملك فيليب الذي احاط به فرسان حرسه ، وشغل الجناح الايسر الف فارس بقيادة ابنه عمومة الملك تعطيهم ميليشيا قوية ، وعهد فيليب بحماية جسر بوفين الى فصائل من فرسان الجرس .

تقابل الجيشان على جبهة طولها ثلاثة كياومترات . وكان الخط الفرنسي طويلاً القى لان الراهب « غيران » اجتهد في جعل الجبهة الفرنسية سوازية للجبهة المعادية رغم رجحان كثرة الالمان من حيث العدد . وقد اغترض فيليب اوغست على الطريقة التي نشر بها الراهب قواته . فثبت « غيران » بها لانها الطريقة المثلى لتفادي حركات القصف .

بدأت المعركة الساعة الثانية بعد الظهر بهجوم ستة مئة وخمسون فارساً فرنسياً كانوا يؤمنون اقصى الجناح الايمن . وعلى الامر بمحرك مشاة الامبراطور اوتون في الوسط بعد ان مهدت لهجومهم التبال المسومة . فاندفع عشرون الفاً في صفوف متراصة ومخطى ثابتة واستطاعوا ان يدفعوا بالميليشيا الفرنسية الى الوداء . وما لبث القتال ان امتد الى الغرب شاملاً الجبهة كلها .

وبعد ساعة من الزمن تغلب فن المناورة الفرنسي في القطاع الشرقي على

شطاعه فرسان الفلاندر وتقومهم السدي ، فواج الكونت « دوسان بول »
 وفرسان الخفاف يتقضون على جناحي الخيالة المعادية في حملات خاطفة ، حتى
 اضطر « فران » كونت دوفلاندر لتقوية الجناحين على حساب القلب . فاضى
 هذا التسيير الى اضعاف مسيرة العدو كلها فلم نعان خيالة الكونت « دوسان
 بول » مشقة كبيرة في استئثار نجاحها المبني ، وعجل في انهيار مسيرة الجيوش
 المتحالفة رفوع « فران » في الامر .

وفي هذه الاثناء كان القتال على اشده في الغرب من اجل جسر برفين .
 فقام السوروي وريمو دو دارفان بسلسلة محاولات جريئة ضد المسيرة الفرنسية .
 ولكن فواتها لم تنجح في بلوغ اهدافها ، لان الفرنسيين كانوا يسارعون الى
 سد الفجوات المفتوحة وفحصوا الى النهاية من العمل صفوفاً متواصلة .

تلقى قلب الجيش الفرنسي الصدمة القوية كما تقدم معنا ، فاضى تفهيم
 الميليشيا الى كشف موقع الملك فيليب . فحمل عليه العدو حملة قوية قبل ان
 يتمسح مخرجاً من الورطة . وكان يحيط به قبضة من الفرسان الاوفياء .
 فقاتلوا واحداً ضد عشرين وجندلوا سبعين المائياً قبل ان تكسر الحلقة حول
 الملك . ولما تبين فيليب الخطر الداهم انقصر على اعدائه محاولاً ان يشق
 الصفوف الى حيث كان الامبراطور اوتون برافب سيير المعركة . ولكن
 فارساً غارقاً بالحديد استطاع ان يقلب الملك الفرنسي عن جواده ، فاحاط
 المشاة بالفرنسية بيوت عليها بقذوسهم وحناجرهم وحراهم فتسخطت اسلحتهم
 على زرد فيليب وجودته . فقرروا بعد ان اعياهم الطعن ان يحملوه اسيراً الى
 امبراطورهم . الا ان الميليشيا حزمت امره في الوقت المناسب ، وكبرت بقوة
 اعادت طلائعها الى نقطة الابتداء فانتقدت الملك ، ومشت في اثره نشق صفوف
 العدو الذي اذعن له المفاجأة فانهمز كاشفاً موقع الامبراطور . ولم يتمكن ملك

فرنسا من منازل خصه لان اونون ولى الادبار خلقاً تلك جيشه تحت رحمة
سيوف الفرنسيين ، فقتل هؤلاء منهم خلقاً كثيراً وغنوا مقام عظيمة .
وقد اجتمع المؤرخون على ان معركة بوفين خطوة واسعة نحو تحقيق
الوحدة الفرنسية وخلق نواة الجيش الفرنسي . فقد برح فرسان الاقطاعية
وميليشيا العاميات والجنود المرتقة ، ساحة المعركة التاريخية يشدهم بعضهم الى
بعض اخوة السلاح تحت راية ملك انزع الاعجاب العام بشجاعته وبعد نظره .
بيد ان انتصار بوفين ومعاهدة « شينون » التي كرسه لم يضعاً حداً للنزاع
لان ملك انكلترا احتفظ باقطاع كبيرة في فرنسا الغربية ، فكانت هذه
الاقطاع جرحومة منازعات دامية .

الفصل الثالث

حرب المئة سنة

١ - قلب الجبل والمواسم العسكرية

لم تكن موقعة بوفين انتصاراً للميليشيا على الحالة ، انما كانت معركة
اقطاعية كسبها الفرنسيان ومثل فيها المشاة دوراً ثانوياً رغم كثرة عددهم ، لان
اسلحتهم وتدريبهم لم تكن كافية .

انقضى بين وفاة فيليب اوجست وجولس فيليب دوهالوا على العرش
الفرنسي زهاء مئة عام لم يطرأ خلالها تبدل يستحق الذكر على المؤسسات
العسكرية . فقد بدأت حرب المئة سنة باسطة اقطاعية . على ان المؤرخين
يجزون اثر الملك « فيليب الجليل » في الفن العسكري الذي فجلى في مواقع
عنه الحرب الطويلة الامة . وه « فيليب الجليل » هو حفيد القديس لويس واول
ملك « عصري » في فرنسا الاقطاعية . بدأ عهد الاصلاحى بتقوية سلطة
البرلمان على حساب سلطة النبلاء فاناح لميلتي الامة الجو الصالح للعمل في سبيل
المصلحة العامة . وكانت باكورة اعمال البرلمان في عهده الجديد مطالبته بتعديل
قانون التعبئة وبتقوية الوسائل الدفاعية .

ورأى الملك ان الخدمة العسكرية العامة تسليخ الشعب عن ارضه ومناصفه
فقرر ان يعفى من الخدمة من يغذي خزائنة الملكية مبلغ معين من المال . وكان

يرجع ان نعلم الحزاة بفضل هذا التغيير . الا ان المبالغ التي تجمعت فيها من هذا الطريق لم تكف لدفع اجور المرتقة من الجيود الاجانب كاللذان والابطالين والاسبان ، قالني « فيليب الجليل » قانون القتل العسكري بعد مضي عام واحد على وضعه موضع التنفيذ واعتمد اصلاحات مالية شتى ليؤمن الحزاة المال اللازم . هذا برص ضرر لب معينة على الاكثريوس وايد البرلمان على الملك رغم احتجاجات البابا ونيقاس الثامن .

وقد اتاحت المنازعات الدولية لليبيا ان يقتصر من « فيليب الجليل » بتأييد اعدائه في مادين السياسة والحرب . ولكن الملك ظل سادراً في عمله الاصلاحى ولم نصره مشاغل الحرب عن تنظيم الادارة والقضاء تطبيقاً لبعده بها عن الانطباع وروحها .

اردمي الجيش الفرنسي في عهد الملك المصلح الى منازلة الانكليز اكثر من مرة . وكان محور النزاع في الغالب دوقية « غوين » . احتل فيليب الدوقية مدة خمس سنوات ثم ردها الى ادوار الاول بموجب معاهدة « مونتروي » . وبعد دي عهد انكلترا ايد ابنته ايزابيل . بيد ان سياسة التقرب هذه لم تقض على بواعت الحلاف ، فقد اوجس ادوار الاول وابنته من بعده خيفة من نور الاسطول الفرنسي ، ومن ارتباط فيليب وابيكوسيا بمعاهدة تحالف وصداقة لا يمكن ان تكون موجبة ضد دول القارة . لهذا راح البلاط الانكليزي يشد الاصدقاء والحلفاء في الفلاندر ومانيا ، وانبرى رسله ينفرون بذور الشقاق بين الدوقيات الفرنسية سعياً منهم الى اضعاف الجبهة الداخلية .

وتخلل فترة السلم بين فرنسا وانكلترا اربعين فيليب وادوار حرب الفلاندر سنة ١٣٠٢ ، فذاق الفرسان الفرنسيون مرارة الهزيمة في موقعة « كورتري » ، لان قائدهم « روبر دارتوا » لم يحسن ادارة العمليات الهجومية .

التقى الجيشان في منطقة « غرونانيه » الممتدة بالمستنقعات . وكان جيش
الفلاندر يتألف من عشرين ألف مقاتل واجل ، يقابلهم اربعون ألف فرنسي
نصفهم من الفرنسيين . وكان الفلامان والفلانديون قد حفرُوا خندقاً عميقاً
وتغطوه بالمشايخ فانشروا على مقربة منه . وبدأ الرماة الفرنسيون يقذفون
العدو بالنبال فراجع . وعلى الارض تشتعل دواب دارتوا على رأس فرسانه
ولكنه بدلاً من ان ينقض على الجناحين تاركاً الرماة مهية تغلبه الجباله ،
اندمج نحو القلب قبل ان يستطلع حالة الارض ، سقطت الطلائع في الحندق
واستطاع دواب دارتوا والفا فارس ان يتعاشوه ، ولكنهم ايسدوا جميعاً
جنوب بلدة « كورتوه » .

٢ - حرب المئة سنة

عاقب على العرش الفرنسي بعد موت فيليب الجليل اولاده الثلاثة ، وتواروا
الواحد بعد الآخر دون عقب ذكر . ولما كان نظام الوراثه يحظر تولية
النساء فقد ارتقى العرش سنة ١٣٢٨ فيليب دوفالوا احد حفدة القديس
لويس . (فيليب دوفالوا هو ابن شقيق فيليب الجليل والقديس لويس جده
لايه) . وفي الوقت نفسه ارتقى العرش الانكليزي ادوار الثالث ، وهو ابن
ايزابيل دوفرانس حفيدة القديس لويس وابنة فيليب الجليل .

وفي آب من العام ١٣٣٧ أعلن ادوار الثالث نفسه ملكاً لانكلترا
وفرنسا ، فقام بين الدولتين نزاع استمر مئة سنة وبزبه (١٣٣٧ - ١٤٥٣) .
وقد خاض الفرنسيون غمرات هذه الحرب بجيش اقطاعي السلاح والتنظيم .
وضع النزاع في كفتي الميزان ملكين وشعبيين وجيشين قامت بينها هزوح
عميقة . الملك فيليب في منتصف العقد الخامس ، شجاع ، عادي الذكاء ،
ضعيف اليرادة . والملك ادوار في الخامسة والعشرين ذو شخصية قوية وعقل

واسمح وطموح لا حد له . وقد شجع الملك الشاب على تحدي خصه القوي عوامل منها الخارجي ومنها الداخلي . ففي الخارج ارتبط البلاط الانكليزي بحالفات مع دوقية الفلاندر والامارات الالمانية . وفي الداخل التف حول العرش النبلاء الصغاليك ، تحذوم جميعاً رغبة متفجرة في التوسع على حساب فرنسا ذات القوية الحقة والحضارة الالامعة ، فرنسا المنقسمة شعباً واحزاباً وطبقات . الشعب مع الملك ضد النبلاء ، وهؤلاء مع الملك ضد الشعب ومع الكهنة ضد الملك .

وكانت حالة الجيشين ماثلة لحالة الشعبين . ففي انكلترا كانت التعبئة مؤمنة بالخدمة العسكرية الاجبارية . فكل انكليزي حر تراوح سنه بين السادسة عشرة والسبعين ملزم بفترة النداء الا في احوال استثنائية ، كالمرض والعاهة . وكان الرؤساء يتفقون حالة الجيش مرة كل شهر في أثناء المناورات وحفلات العرض ، فتشجع لهم هذه المناسبات امتحان الاسلحة والتفت من كفاية التدريب . وافاد الانكليزي من حملاتهم ضد ايكوسيا فادخلوا على حوء نتائج تحسنات فنية على القوى المسلحة . من ذلك انهم دروا خيائهم على القتال راجلة ، وخصروا المشاة بعناية كبيرة فحصرروا الانحرط في وحدة الرماة برجال منظويين دربووا تدريباً طويلاً وامتازوا برشاقة الحركة واحكام التصرفات .

اما في فرنسا فقد اعد القوف أثناء الطبقة الوسطى عن حرفة السلاح المشقة ، وكان الانسجام والحمية مفقودين في جيش يتبادل فيه النبلاء والسوقة الحذر والبعض يتألف منه من اجانب مرتزقة . وكان الانحطاط في الحياة الفرنسية قد بدأ في عهد فيليب أوغست ، فعني فيليب السادس برفع مستواها وانسكه اغفل العناية بأسلحتها الهجومية والدفاعية فهاضت نهزات المعارك

بدروع ثقيلة ، وبحراب وسيف طويلة وفؤوس ضخمة ، وبأسلحة رملية قصيرة
فلدى كالي استعملها الصليبيون في الشرق .

اما المشاة فلم يكن منهم في الجيش الفرنسي قطعات قادرة على الهجوم
أو على الصمود . فالقوات المساعدة ما كانت تتدخل في القتال الا اذا
ضمت الميليشيا والفرسان امامها بحال التدخل . اما الميليشيا الشعبية (ميليشيا
العامة) فقد مثلت دورها ايام كان القتال فوضى والاسلحة واحدة في كل
المسكرات . فلما اضطلع في الهجوم والدفاع والكر والفر على قواعد
مينة وتوزعت الاسلحة والوسائل الدفاعية ، فقدت الميليشيا الشعبية اهميتها
كعنصر من فضائل العسكرية الاندفاع والشجاعة والثبات . ولم تكن ميليشيا
المدن والمرقعة احسن حالا . كانت اكثر تقيداً بالنظام تتلقى التعليمات
من الرؤساء وتنفذها ، الا ان التعاون كان معدوماً بين صفوفها واللغة مفقودة .
اما القادة فكانوا يتقنون فن المناورة على ارض مكشوفة لا يتطلها تنوء او
حصن او حندق ، ويفهمون المعركة انها مبارزة في ميدان واضح الحدود خال
من المزالق . ولم يكن هذا حال زملائهم الانكليز ، فقد راى احوالهم عن
الخواجز الطبيعية ليستخدموها في اغراضهم الهجومية والدفاعية ، وخصدوا الى
الحصون جعلوا منها نقاط ارتكاز .

معركتا كرسى وروانيه . — كان تفوق فرنسا البحري كالوساً ينجح على
حدر ادوار الثالث لعلله ان الاسطول الفرنسي اتاى بني لاغراض هجومية اقربها
الى التحقيق غزو انكلترا . وقد رفع الكليوس عن حصاره في موقعة « ايكالوز »
البحرية اذ دمر الاسطول الانكليزي اسطول فيليب السادس (فيليب
دوفالوا) . وبعد زوال هذا الخطر لم يلق الانكليز صعوبة في التزول على
الارض الفرنسية والتوغل في نورماندي وبريتانيا وغوين . وبعد ست سنوات

مضاهى الفرقان في كره وفر في الماطن الثلاث ، فوجت باريس ذات مساء
بالمنه الهيب تدلع من ضاحية « سان كلو » لانت الطلائع الانكليزية
وصلت اليها . فاستجد الملك فيليب تابعه وحلفائه القريبين والبعيدون وهب
على رأس جيته لدفع الخطر عن العاصمة . فالتقى الجيشان في ٢٨ آب سنة
١٣٤٦ في بقعة مجاورة لغابة كريسبي .

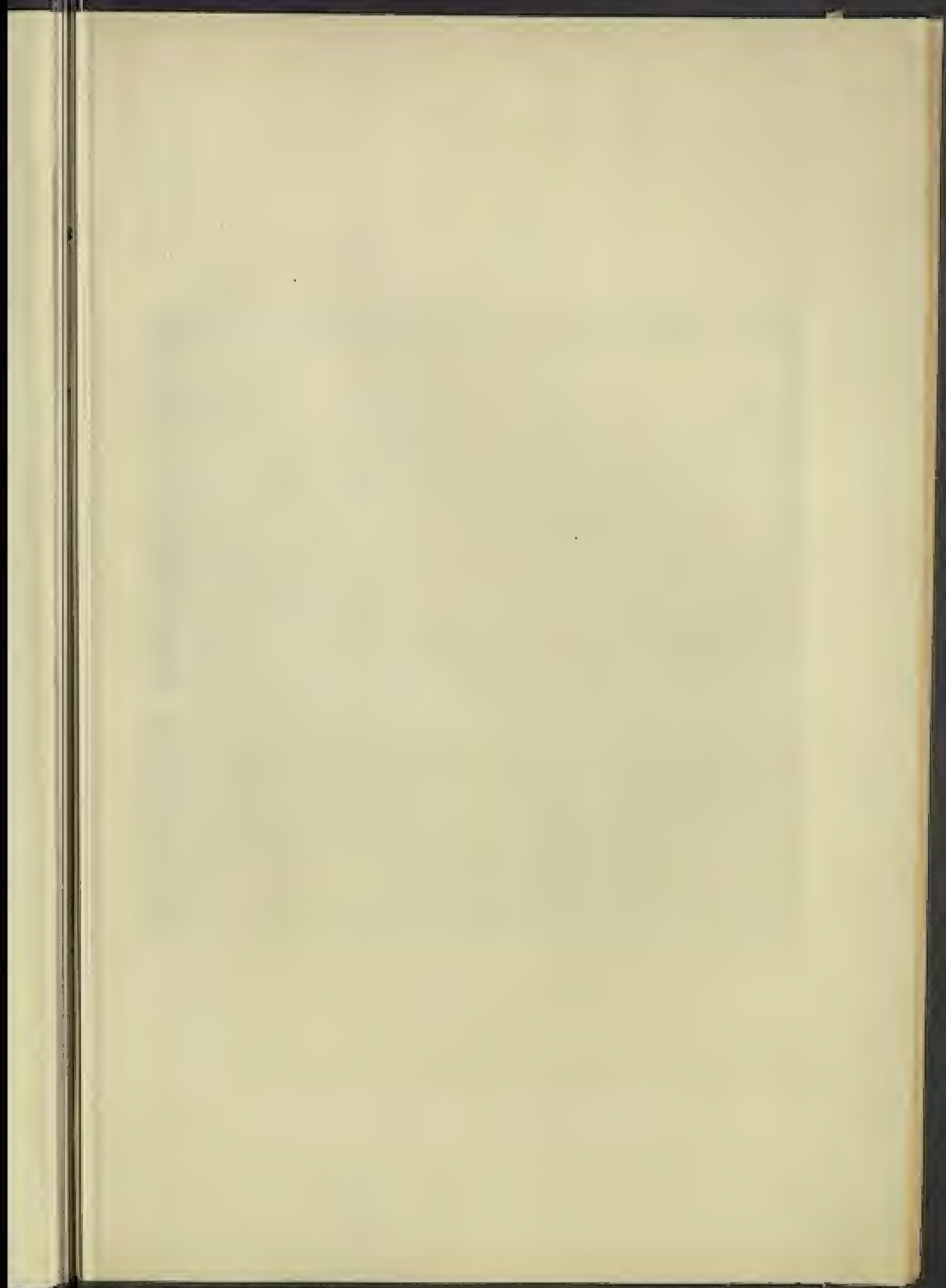
احتل الجيش الانكليزي مواقفه في اليوم السابق وعمر كزر الرماة من حلة
الاقراص خلف عضبة ، بينما انتشر الفرسان وكانوا يؤلفون الجناحين
نحسبهم قروصهم وتغطيهم نعال المشاة وروماحهم الخفيفة . واقتل الجيش
الفرنسي بتقدمه الفرسان وعلى رأسهم النبلاء ، فكان يسير دون نظام . اما
عند المحاربين تحت راية الملك فيليب فكان ضعفي المحاربين الانكليز .

ابن فيليب على الفرسان مباشرة القتال ، وناط المية بالقضبات الاجنبية
ولاسيا متطوعي جنوى . تقوئل المهاجمون بوابل من النبال وفوجئوا بقصف
شديد من حدة ثلاثة مدافع صغيرة لا عهد لهم بتلها . فارتجكوا ثم دب الذعر
الى صفوفهم فولوا الانكليز ظهورهم متسعين سبل التراجع . فامر الملك فيليب
فرسانه بانقاذ الموقف . ولكن جهودهم ذهبت سدى في فوضى الانهزام . وما
غرمت تحس ذلك اليوم حتى فقد الملك الفرنسي زهرة جيشه فانسحب تحت
جنح الظلام يحير اذبال الحية .

التقى الجيشان مرة اخرى بعد عشر سنين في « بواتيه » وكانت على رأس
الجيش الفرنسي الملك جان دو فالوا ابن فيليب ، وقد حاول استدراج الجيش
الانكليزي الى القتال على ارض مكشوفة ليسحقه تحت ثقل خمسة واربعين الف
رجل . ولكن ولي عهد انكلترا تفادى الاشتباك ، لان عدد رجاله ما كان ليزيد
على ثمانية آلاف ، فانسحب الى « غوين » واختار الصمود ارضاً ضيقة تتقاطعا



معرکے روزنامہ

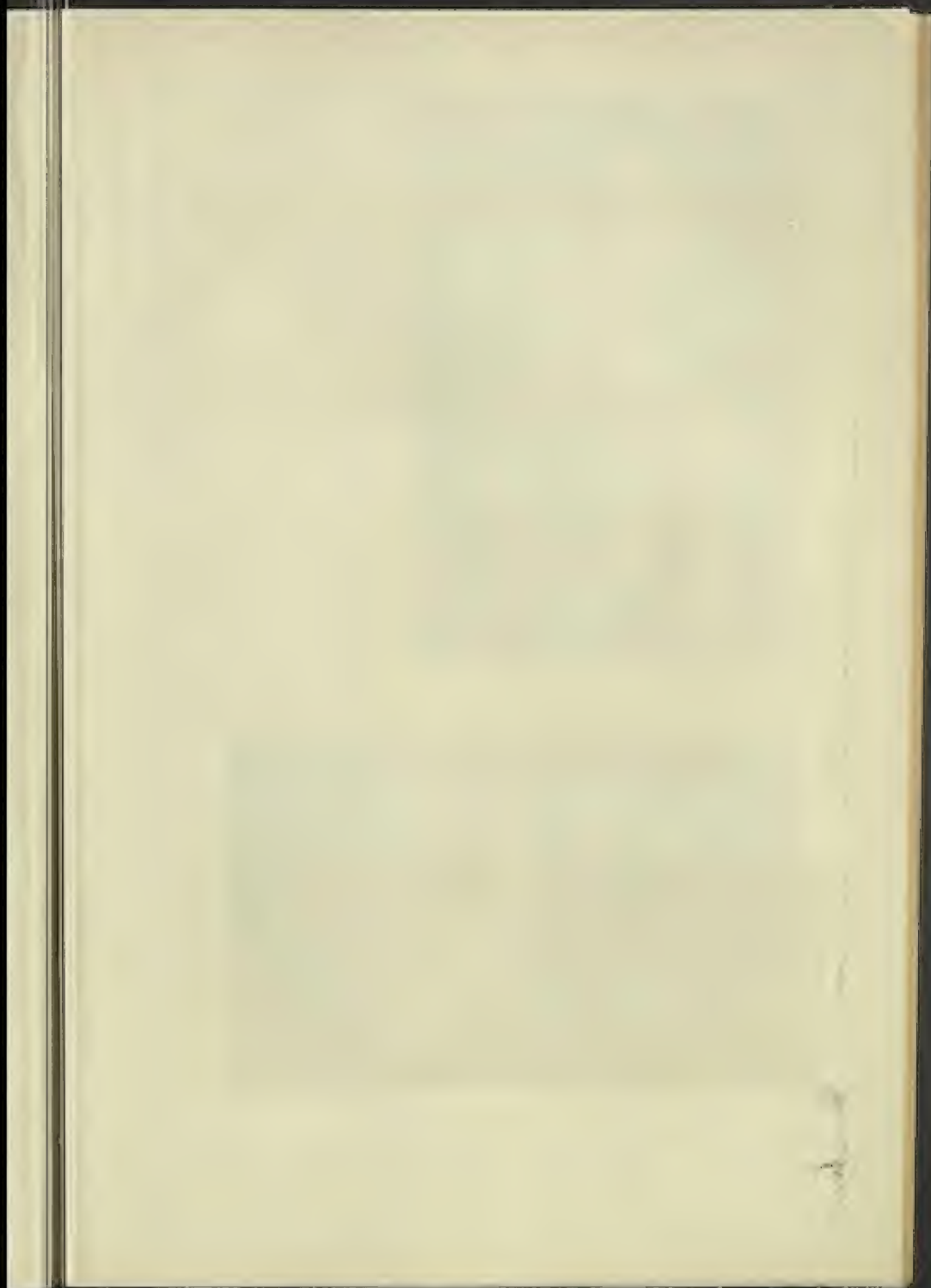


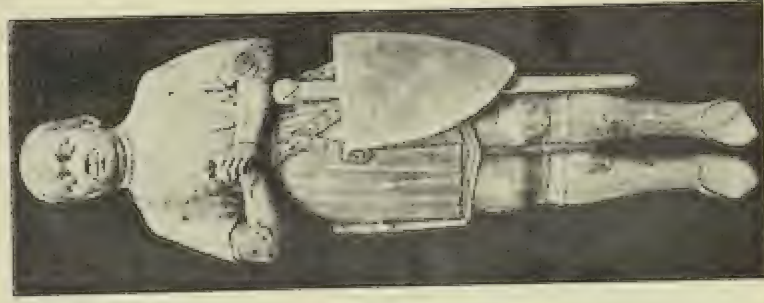


جان دارك
(بريشة ب. دي يته ا)



الجنود الفرنسيون يكرهون الجنود الانكليز على رفع الحصار عن مدينة
اورليان (نقلًا عن مخطوطة ترقى الى القرن الخامس عشر) .

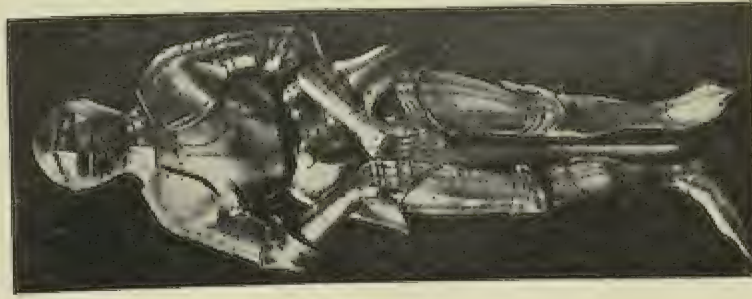




دي دوغلان كما يبدو في التمثال الذي
نصب فوق قبره في دوسان دني .



غطاء للرأس مملوك ، يرفق الى
الواخر القرن الرابع عشر .

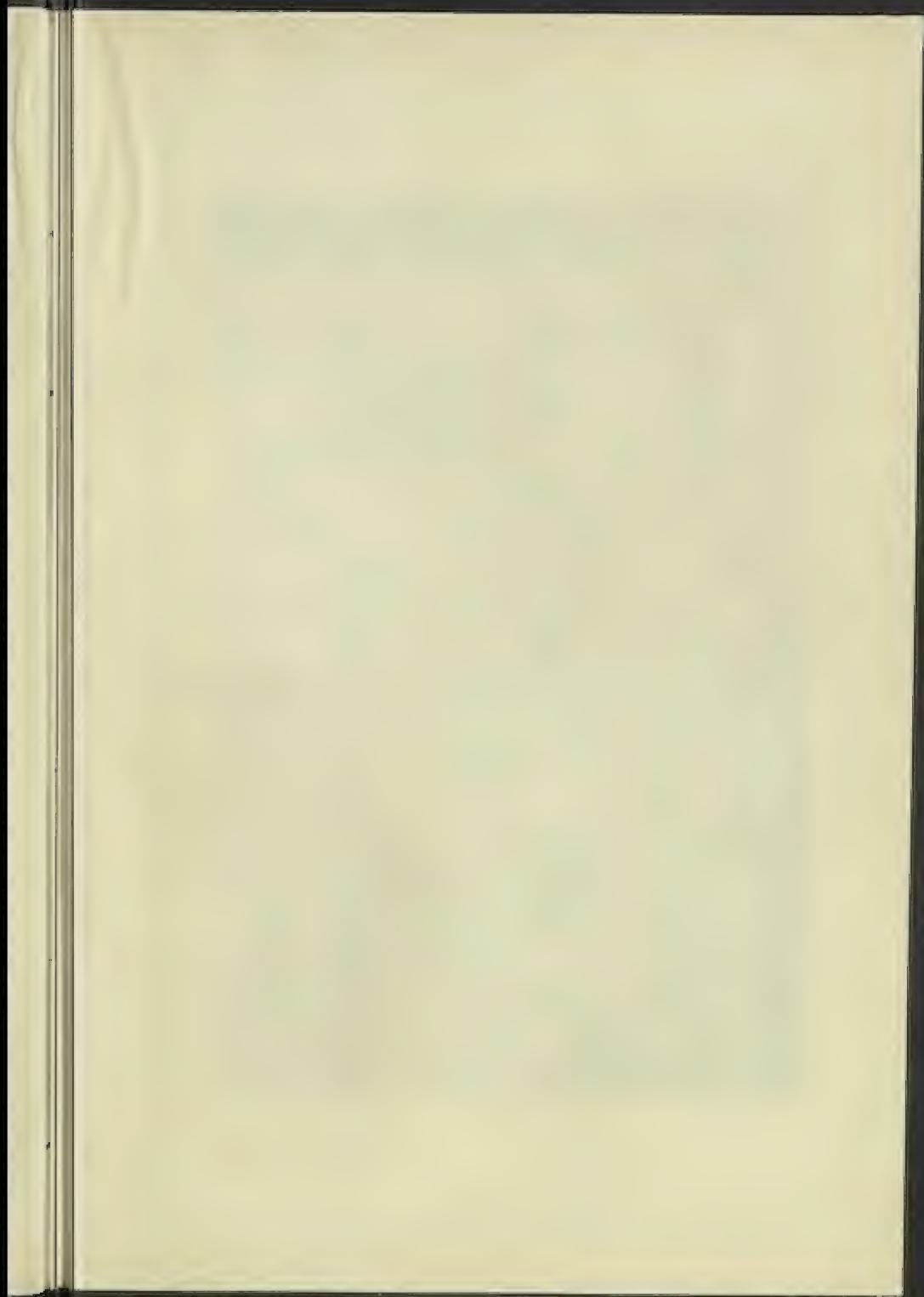


جندلي فرسي في كامل
عندته حوالي ١٤٦٠ .





مجموع على قلعة (القرن الخامس عشر)

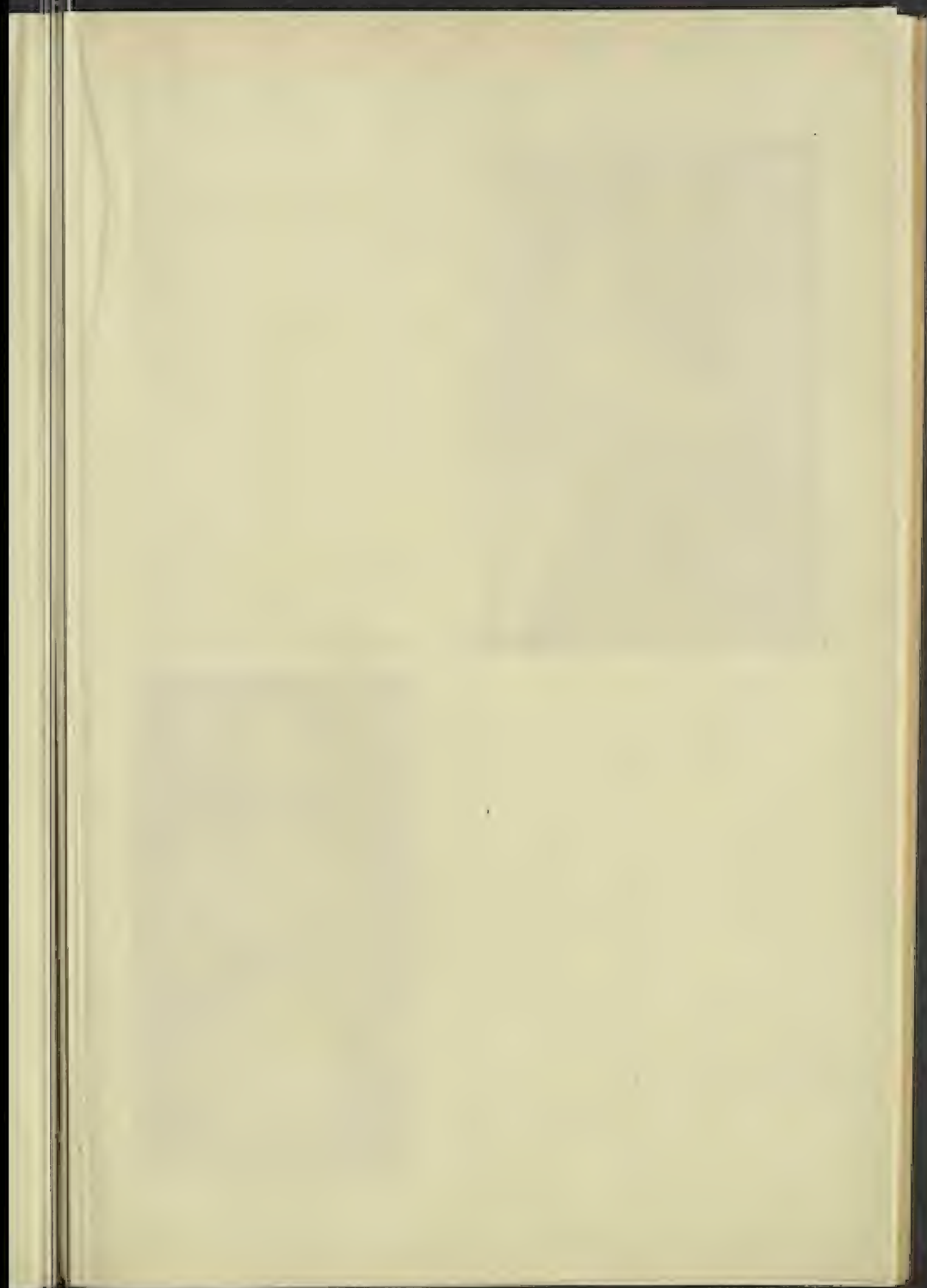




الملك لويس الحادي عشر



ادوار الملقب بالامير الاسود
(قتال مأخوذ له وهو على فراش
الموت ، والنصال محفوظ في كاتدرائية
كنتوري) .



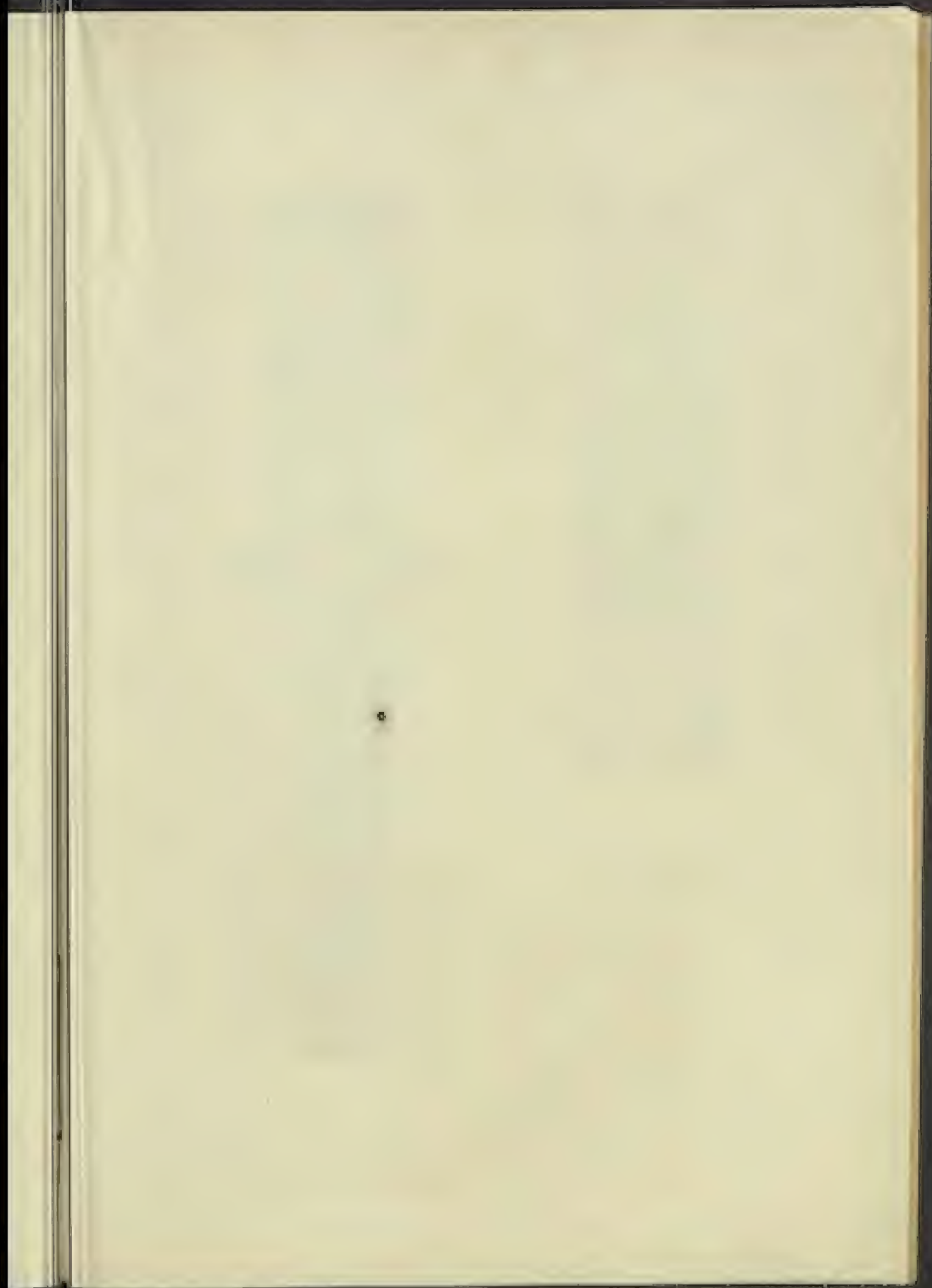


مدفع صغير



Photo. H. H. H. H.

مدفع من عهد الملك لويس الحادي عشر ، طوله متران و٦٥ سنتيمتراً ، وعياره ١٨ مليمتراً ،
وزنه ١٤٢١ كيلوغراماً .





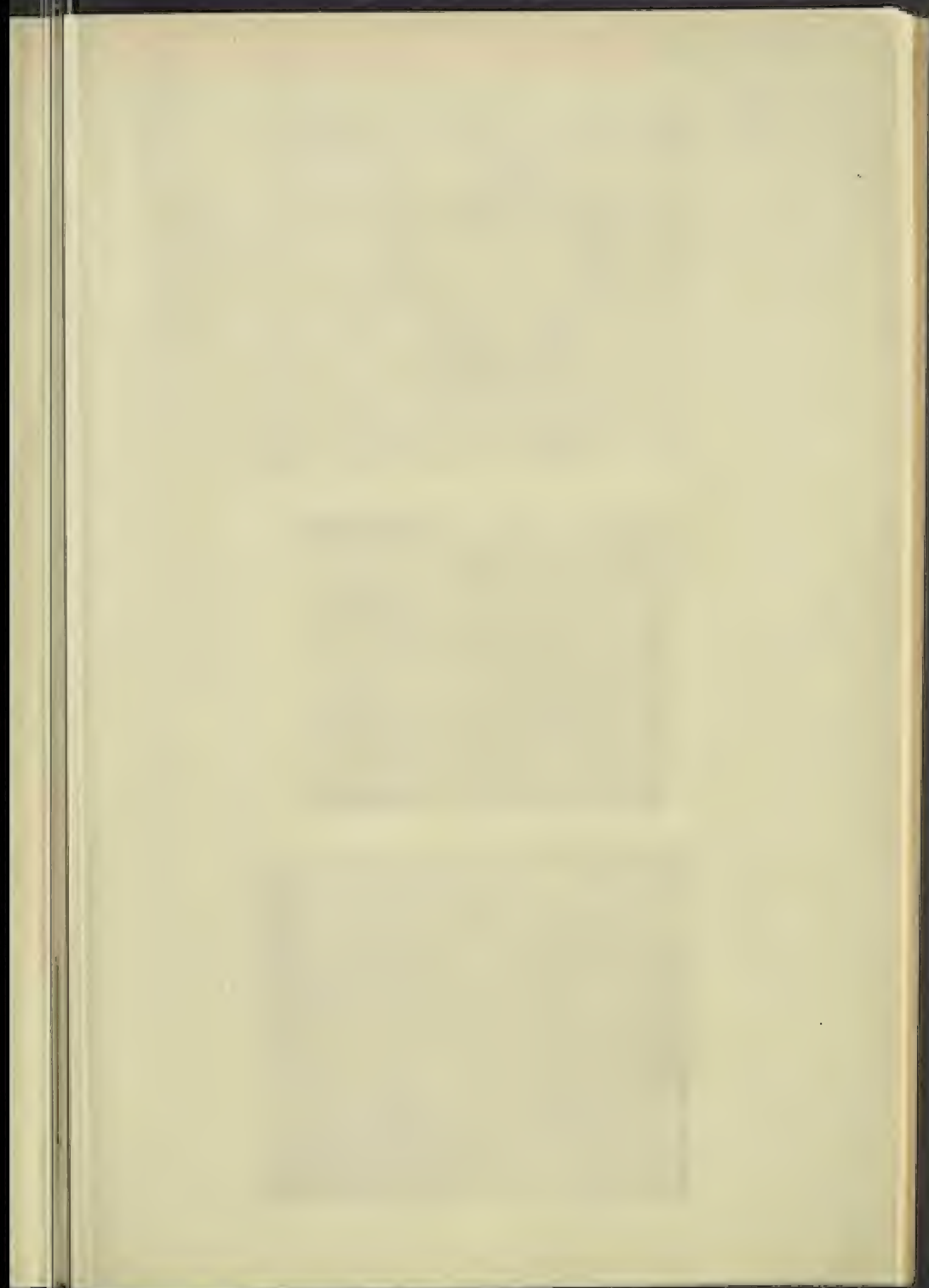
جان دي لافونتان ماريتال فرنسا .

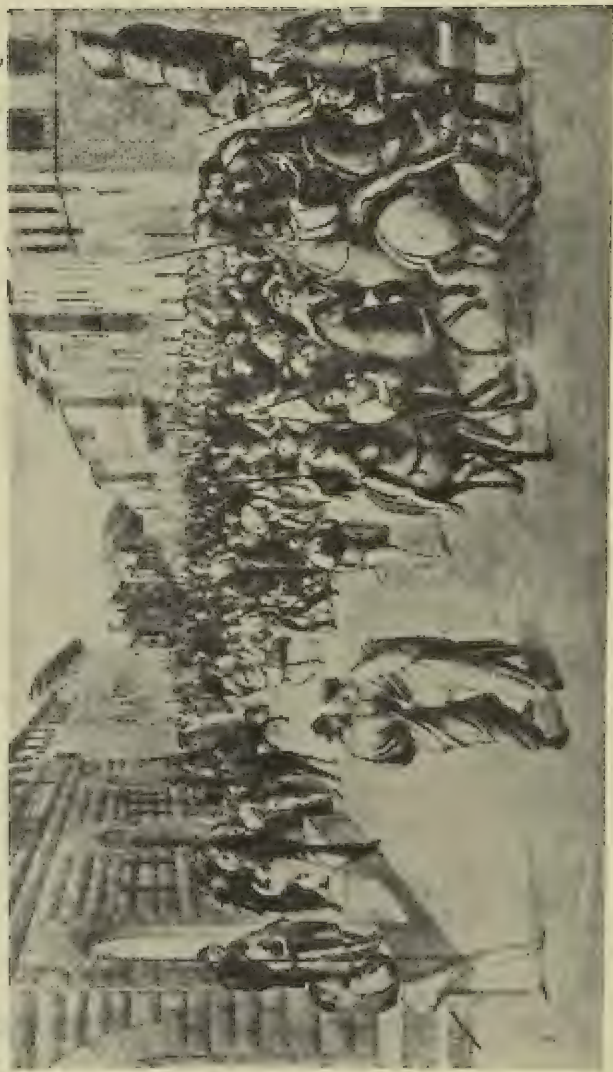


المارس بايار (صورة معاصرة) .

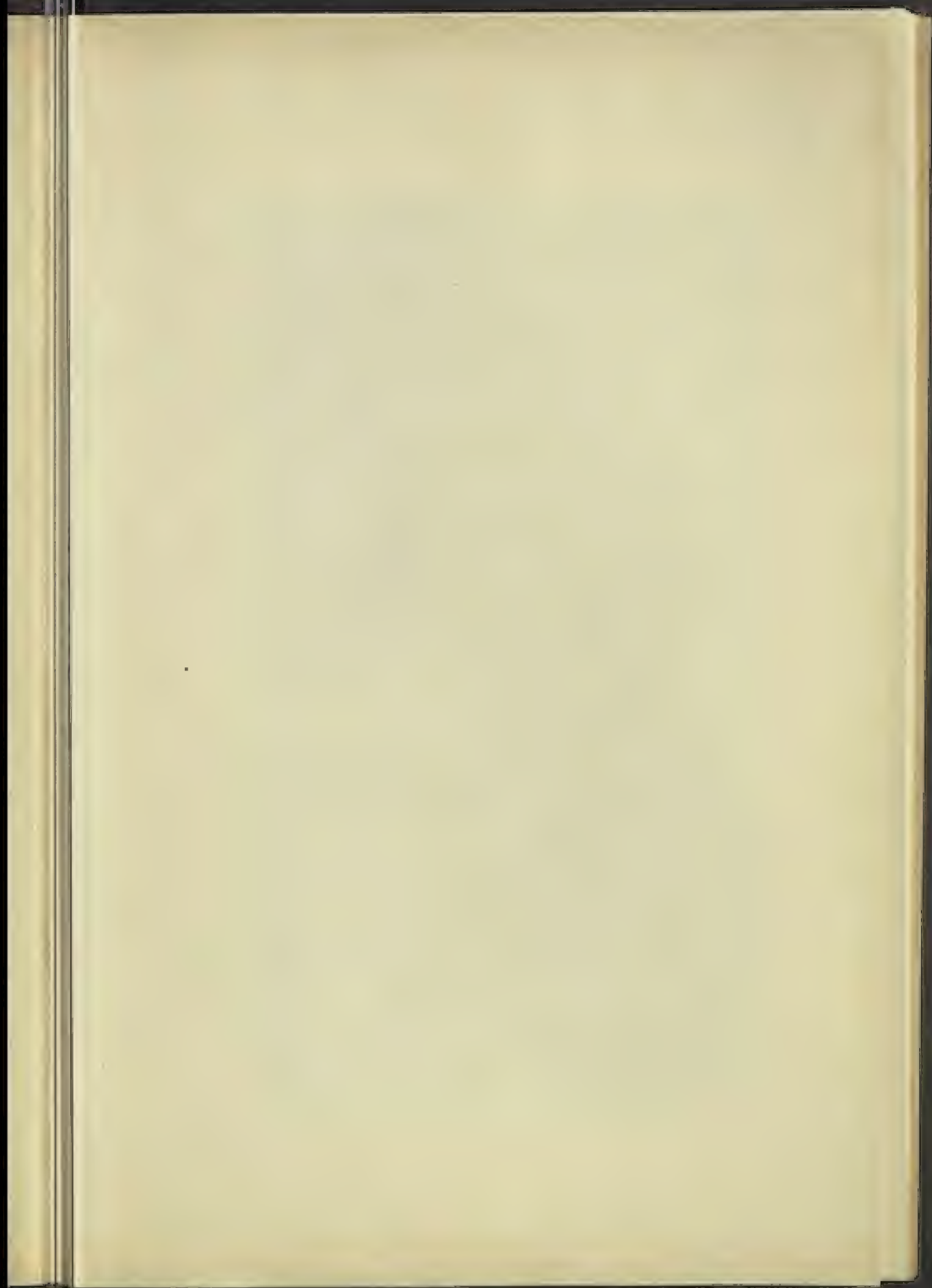


شارل السابع برتبة فوكة .





دخول شارل الثامن الى مدينة فلورنسا (صورة ترقى الى القرن الخامس عشر).



الغضب والجدران والمهاوي ليقتل على خصمه الافاضة من مبرة التفوق العندي .

وادر ك الملك جان استحال اختراق صفوف العدو بحيلة يقوم بها الجيش كله فاختار المهمة ثلاثئة فارس بقيادة كبير وزرائه ووقف هو في رأس سائر القوات استعداداً للانقضاض على الانكليز حالما تفرج صفوفهم . بيد ان حية الفرسان الثلاثئة لم تنجح في اختراق صفوف العدو . وفيما هي تنفس حرجاً من المأزق هاجم ثلاثئة فارس انكليزي الميسرة الفرنسية وبعثوا صفوفها . فغضب القلب بقيادة دوق اورليان لاجدة الميسرة . فانتهز الانكليز الفرصة وانتقضت جموعهم على الميمنة فبدتها ثم ارتدت على القلب والميسرة فلاذ دوق اورليان وخياله بالفرار . اما الملك جان فقد واصل المقاومة الى النسي فسلم ستة عشر الفاً من رجاله .

وقد اجتمع النقاد العسكريون على ان الانكليز ربحوا معركة « كريسبي » و « بواتيه » لانهم عرفوا كيف يستخدمون الارض في حرب الحركات . يضاف الى هذا انهم غزوا فرنسا بأسلحة متفوقة وبجيش يسوده النظام .

وفي سنة ١٣٦٠ كومت معاهدة « بريتي » المزام الفرنسية فاطلق الانكليز الملك جان مقابل ثلاثة ملايين لييرة ذهبية ، وتنازل السلاط الفرنسي السلاط الانكليزي عن ربع الاراضي الفرنسية بما فيه مدينة كالبه .

— شال ليامر — د ابلان

ما اكتفى ولي عهد انكلترا الملقب « بالامير الاسود » بما اخرز من مقام فوضع نصب بيليه اقدار فرنسا بحيث تظل عاجزة عن التبرؤ . وعملاً بهذه الخطة استقدم من انكلترا عصابات من الشفاذ واسلحتها نسلب ونهب وخرق القرى والديساكر ، فضيت النخوة في صدور السكان فانحد البيروجوريون والبروفة الجيش الفرنسي

أمام الخطر ، وفقدوا الذود عن أموالهم وبسائلهم الخاصة ما دلم البلاء يضنون عليهم بالمساعدة ولا يجركون ساكناً لوقف موجة السلب والنهب .

سحب السكان الى المدن حصصوها ، والى القلاع فاعتصموا فيها ، وكان رد الفعل في باريس اقوى منه في اى مكان آخر . فتولى الحكم « اتيين مارسيل » رئيس هيئة التجار واشرف بنفسه على حفر الخنادق وبناء الأسوار .

شارل الخامس . بعد وفوج الملك جان دو فالوا في الامر ارتقى العرش وفي عهد الامير شارل وكان دون العشرين . ولما نجحت حركة اتيين مارسيل في باريس حسب نفسه وصياً للمملكة ، ففر شارل من باريس الى « سليس » حيث حل فيه « وصي العرش » وانشأ مجالس قتيبة جديدة . وبعد مصرع اتيين مارسيل عاد الى عاصمة ملكه وشرع فور وصوله في الاعمال الإصلاحية ذولا عن رقبة المجالس ونحت ضغط الظروف . وقد ساعده في مهته قائد شجاع يدعى برتران دو غيكلان .

رمى شارل الخامس من اصلاح النظام العسكري الى خلق نواة القوة الدائمة . وهو ما سعى الى تحقيقه سلفاؤه ، فاعطيت مساعدهم والنظام الاقطاعي القائم . وقد بدأ الملك بالقضاء الحروب الخاصة عتظراً على البلاء . شهر السلاح لصحة قضية لا يكون هو طرفاً فيها . وبهذا حققت دماء الوف الحاربين وازداد عدد الجندين تحت الراية الملكية زبادة اوقعت الموازنة في جزاء فرض الملك ضرائب جديدة ليقضى له دفع رواتب الجنود في الاستحقاق .

ورأى شارل الخامس ان يضمن للإصلاح الاستقرار اللازم ، فاقح لوزيره الاول ولمارشالية فرنسا ان يشغلوا مناصبهم مدى الحياة ليسهر بقائهم ما تروءوا فيه في الحقلين البرماني والعسكري . الا ان هؤلاء كانوا يتبعون سب

العمل من بعيد ، وكان القيسون الحقيقيون على شؤون الجيش صباطاً يختارهم الملك ويدفع رواتبهم من ماله الخاص ، ويلبث بهم قيادة القطعات او تأمين الدفاع عن المدن الحصنة . وكثيراً ما كان هؤلاء يقومون باسم الملك بتعبئة الرجال وتدريبهم ، وتنظيم الدفاع وادارة العمليات ، وقد عرفوا باسم « الضباط المفوضين » .

وفقدت الحباله طابعها الاقطاعي بنحى التلا ، عن حقهم التقليدي باختيار الفرسان ، وتوسيع نطاق هذه المؤسسة بحيث اصبحت تضم البوارجوازيين . وقد اطلق الملك ابدي الضباط المفوضين في توزيع المجندين على قطعات الجيش المختلفة . وكان على ملكي البلاط هؤلاء ان يرفعوا اليه من وقت الى آخر اعضاء بعدد المائة والفرسان متبرين الى اختصاص كل واحد منهم . فالمجندي ذو المؤهلات البدنية يلحق بالقطعات المعدة للقتال على ارض مكشوفة وقد عرفت في ذلك العهد باسم « جيش الملك » . ويلحق سائر المجندين بحاميات المدن والقلاع . ولهذا سمي مجموع هذه الحاميات « جيش المدن » .

عن الملك للجيش الذي ينتمي اليه رواتب شهرية مقابل تعهد المجندين بالعمل المستمر مهما تكن ظروف الزمان والمكان . اما حاميات المدن فقد احتفظت بطابعها الخاص . واستطاع شارل الخامس ان يحصل ابناء الطبقة الوسطى وكثيراً من النبلاء على الانخراط فيها ، فألفت بنائهم هؤلاء ، واولئك الحياة النظامية وانقلت الى حد ما حرب الكمين خارج المدن والقلاع .

وانخذ شارل الخامس تدابير شتى لتأمين النظام ، فجعل الضباط المفوضين مسؤولين تجاهه عن مسلك قوتهم وعن دفع الرواتب في الاستحقاق . وانشأ ديواناً خاصاً اطلق عليه اسم « ديوان التدقيق » ، وناط به الدور على حسن تنفيذ الاوامر الملكية ، ولا سيما ما كان منها متعلقاً بإنشاء المدن وتدريبهم وتوزيعهم

على المناطق . واعتبر الملك بالدروس التي تلقاها الفرنسيون في المعارك الخامسة
فخص المدن والقلاع ببعض مجهوده الاصلاحى ، فطاف وكلاؤه بالمدن الكبيرة
يستحقون سكنها على تحصينها ويحيون بالبلاء ان يعدوا بناء القلاع المتهدمة
مقدمين الفريق منهم المساعدات المالية والمعونة الفنية . واشرف شارل الخامس
بنفسه على تحصين مدينة باريس فاتم بناء قصر « فانسين » بجاعلا حرسه العالى
غاية في القوة والمناعة ، وامر بانشيد « الباستيل » ذي الاسوار الثمانية . اعما
« الورفر » فقد حار في عهده قصراً فخماً دوت ان يفقد اهميته كقلعة
حصينة .

واخذ الملك المصلح بيد المدفعية وهي بعد حديثة النشأة في فرنسا . وكان
الالان والايطاليون قد استخدموها في ضرب المسدن الحصينة فاعطت نتائج
باهرة .

برتزان دوغيكلان . - اقترن اسم برتزان دوغيكلان بالهزيمة العسكرية
في عهد شارل الخامس كما اقترن بالوفائع البطولية التي غيظ بها ذلك العهد .
هو من اصل بورتوفي ، بدأ نضاله في سبيل ملك فرنسا وهو فى فى السادسة
عشرة . وبعد سقوط برتانيا بايدي الانكيز الف دوغيكلان عصابة من
مواطنيه ووطنى بلانوى المخلعين . واستطاع سنة ١٣٥٠ ان يتفرع من اعداء
بلاده قلعة « فوجيري » الحصينة . وانتهى خبر هذا العمل البطولي الى الملك
مارسل في طلب برتزان والحقه بمجتمعه .

واشترك دوغيكلان في معركة « رين » حيث قُتلت مواهبه النكيكية .
كان دور « لانكستر » محاصر المدينة فغضب البطل البورتوفي لجنحة الخليفة
ولكنه نسيب نفسه القوي فلم يحاول اختراق النطاق المضروب حول
« رين » ، بل عسكر في الضواحي وارسل جواسيسه يستلمون احوال

العدو ويحذرون من نشاط دورباته . وفي احد الايام ارسل نقرأ من رجاله لياخوا بمسيرة دوق لانكستر . وارتق هذه الحركة بفرع الطبول والضجيج ليدخل في روح الحزم انه امام هجوم كبير . وقد جازت الحيلة على الدوق فابعد بقواته الرئيسة عن اموار المدينة ليواجه العدو فانتصر دوغيكلان الفروسة ودخل « رين » الجائفة ووراءه مئة مركبة ملأى بالموث . وحاول الانكلز غاصرة المدينة مجدداً ، فاحرق دوغيكلان سورهم الحشي وعزمهم شر هزيمة . وتجددت المحاولات الانكليزية دون نتيجة . واخيراً اضطروا لرفع الحصار . وقد كوفي البطل البريتوني بنعيمه « ضابطاً مقوضاً » في « ونترسون » .

وفي العام ١٣٦٤ احرز دوغيكلان انتصاره الاول على ارض مكشوفة . فقد التقى جيشاً انكليزياً بقيادة « جان دوغراتي » في ضواحي بلدة « كوسريل » وكان الانكلز يجتشدون على مضية محروجة ، فظاھر دوغيكلان بسبق المضية ، ثم امر قواته بالانكفاء ، فطاردها الجيش الانكليزي ظناً منه انه هزمها . وما ان ابتعد عن المضية حتى اراد عليه الفرنسيون واهملوا فيه سيدهم وفؤوسهم . واستمرت المعركة حتى الغروب فارجعت كتلة الجيش الفرنسي بفضل حركة لف ناجحة قام بها الفرسان . وقد كافأ الملك شارل الخامس قائد الجيش المنتصر بان سباه دوق « لونغفيل » .

وتولى دوغيكلان قيادة الحملات التآديية الموجهة ضد العصابات التي نالفت من الجنود المرتقة بعد ان سرحها الملك ادوار الثالث . وقد وجد القائد الفرنسي نفسه امام قطعات عسكرية منظمة الى حد ما ، تغير على المديت فقتلها او تفرص عليها جزية باهظة . واستطاع دوغيكلان تطهير المناطق القريبة من هذه العصابات كما استطاع اقتاع ثلاثين ألفاً من الشاذ بالانضمام

الى حملة اعداء الملك شارل ضد « بطرس الصارم » ، منافس « هوري دورانسامار » على عرش اسبانيا . وقد احرزت الحملة الفرنسية انتصاراً اولياً في معركة « نافاريت » ، ولكن خيالة دوغيكلان تحتل عنه كاشفة جناحيه فوقع البطل اسيراً بين ايدي الانكليز مؤيدي « بطرس الصارم » . الا ان اسره لم يكن طويلاً الامد فاقنعه الملك ببلغ كبير من المال . وقد ثار دوغيكلان نفسه في معركة « مونتيل » حيث قتل « بطرس الصارم » فخلاً بصروعه الجو لمرشح البلاط الفرنسي . وبعد ان قضى عاماً كاملاً في اسبانيا استعفاء الملك شارل وعينه اميراً للجيش ، فدخل عهده بالقضاء على عصابة « روبرت كنولس » ثم حور ٩٢٦ مدينة وقلعة وحصناً من الاحتلال الانكليزي . واخذ على عاتقه القضاء على نقاط الارتكاز الانكليزية في جنوب فرنسا العربي . هالفه التوفيق واصكن مرضاً عضالاً وضع حداً لنشاطه في اثناء حصار مدينة « شانوف - واندون » ، ف قضى نحيه بيتا كانت المفاوضات دائرة لتسليم المدينة .

٥ - عن جديدة

خلق الملك المصلح شارل الخامس بامير جيته بعد مضي بضعة اشهر على وفاة دوغيكلان . وقد توارى الرجال بعد ان حروا فرنسا ووضعوا اسلحة لتتظم الجيش .

وارتقى العرش الفرنسي شارل السادس وهو دون الثالثة عشرة ، هوري الوصاية على العرش محومه . وامتد الاجل بهذا النظام لان الملك اصيب بس مرض عند بلوغه الرابعة والعشرين ، فضت سياسة الاوصياء على ثمار المجهود الاصلاحى وفي رأسها الوحدة الوطنية ، وتجدد التنافس بين النبلاء ، فشطرت البلاد شطرين ، التف اولها حول آل « ارميناك » وظاهر الآخر النبلاء من

آل « بورغينيون » . بيد ان تصدع الجبهة الداخلية لم يغفر بالفرنسيين اعدائهم
هو المائش ، لان الخلافات الداخلية دنت فزنها في انكلترا قشلت الانكليز
طوال ٣٥ عاماً عن استقرار المضارب التي كانت فرنسا تنشط فيها عائدة
القهرى عشرات السنين . ولم يحسن الفرنسيون اتفاق هذه المدة الطويلة من
الزمن ، بل فضوها في المنازعات مهلبين القواعد والمبادئ التي خلفها شارل
الحامس ودوغيكلان لتكون اساساً لتنظيم الجيش . فعادت الحياة مجرنا
الاولى : عضراً رقيقاً من فضائل الشجاعة ولكنه جاهل يقاقل كيقا كيقا الفق
ويغفر فقرات خطيرة قبل ان يبين طريقة لتجاشي المزالق والشاك .

وفي العام ١٤١٥ استنجد آل وورغينيون الملك هنري الخامس فتول على
الارض الفرنسية واحتل عارفلور . فحشد القائد الفرنسي وسكرو اربعين الف
مقاتل وسيرهم لمنازلة الجيش الانكليزي ، وكان يضم عشرين الف رجل . بيد
ان حقوق الفرنسيين العددي لم يكفل لهم الفوز ، لان القادة لم يحسوا التصرف
فاستدرجهم الانكليز الى مروضيق اسنحال معه القيام بناورات ضد الجناحين ،
وبدلاً من ان تدفع القيادة بالمشاة الى الامام حدثتهم في المؤخرة واطلقت
للضالة العنان ، فاستقبلت وابل من اليبال دون ان تستطيع مقابلة العدو
بالشل . وفي اقل من نصف ساعة فقد الفرنسيون نصف قواهم قاتر هذا
الحادث في معنويات الرماة ، فمزقت صفوفهم بعد الاشباك الاول . وكانت
تلك المعركة حاسمة بالنسبة الى الحياة الفرنسية والجيش الاقطاعي بكامله .

وبعد حروب داخلية اذكى نيرانها عمال هنري الخامس اضطر الملك
شارل السادس للتوقيع على عهدة « تروا » التي جعلت من ملك انكلترا وصياً
للعرش الفرنسي ، والورث الوحيد للتاج ، لانه ازعم خصمه على تزويجه ابنة .
وفد ايرمت المجالس الشمالية وجامعة باريس عهدة « تروا » دون ان يرفع

موت واحد بالاعراض على اقصا . ولي العهد الامير شارل الوريث الشرعي
للاج الفرنسي .

ومكثا حلت بفرنسا المنطقة محنة فاسية ، ليس لانها فقدت معركة لم
حسن خوض غمراتها ، بل لانها دخلت الحرب بجيش متفكك الاوصال ،
ضعيف ، يقوده نبلاء لا تعوزهم الشجاعة انما تعوزهم المعرفة . دخلت فرنسا
الحرب بالروح الاقطاعي الذي حارب شارل الخامس ، فاحينه دمانس عمدة
شارل السادس . فكان بديها ان يتطلب الفن الحربي الانكليزي على فوضى الحث
والقتال في الجيش الفرنسي .

• - جان دارك وشارل السابع

جات ملك انكلترا سنة ١٤٢٢ . وبعد اسابيع حلق به شارل السادس .
نودي بهري السادس ملكاً لفرنسا وانكلترا . وكان طفلاً ، فصب
« ديمورد » نفسه وصياً للعرش .

وكان ملك فرنسا شارل السابع قد انتقل الى جنوب نهر « القوار »
باسطاً سلطته على ثلث الاراضي الفرنسية . فلما نودي بهري السادس استحث
بعض النبلاء الملك الشرعي على الزحف الى باريس وطرد الغاصب واعوانه .
الا ان شارل السابع كان ضعيفاً ، متردداً ، يهاب المراكب الشنة .

جان دارك . اما الانكليز واعوانهم من الفرنسيين فقد نشطوا لاختطاع
البلاذ كلها لسلطة بهري السادس ، فهزموا الفرنسيين في « كرافان » سنة ١٤٢٣ ،
وفي « فونول » سنة ١٤٣٤ . وبعد اربع سنوات حاصروا مدينة « اورليان »
وكانت حصنة نصيباً قوياً ومجهزة بالدفعية . فاستطاعت الحامية ان ترد
عربات العدو الاولى . ووقف الفرنسيون من حصار « اورليان » موقفاً مختلف
عن مواقفهم السابقة من الفتح الانكليزي . فقد حبسوا انفسهم يرقبون نتيجة

انصراف . وهم على مثل البقي بارث « اورليان » هي مفتاح فرنسا كلها ، وان سقوطها يعني انتزاع البلاد من إقصاها الى إقصاها سلطة هنري السادس .
وفي هذه الاثناء عمد الإنكليز الى تطهير المناطق المجاورة لاورليان واحتلوا في حلة ما احتلوا قرية « دوميري » ، فنصر فلاحوها الى الاسراع والحيال .
وكانت بين القرويين الفسار فتاة تدعى « جانت دارك » ، فقرأى لها بعض القديسين ، وادعز اليها بان تسعى الى الاجتياح بالملك شارل . فانطلقت الفتاة تبحث عن الملك ، واهتمت الى مقمره في اوائل العام ١٤٢٩ . رفضه عاتت جانت دارك مشقة كبيرة في اقتناح شارل السابع وبطانته بانها ذات رسالة غريبة ، وانها مكلفة انتقاد اورليان ، والسير في ركاب الملك الى مدينة « ريمس » يسوق في كاندراقتها . فانقسم اللاط فسمين آمن احدهما رسالة الفتاة دون ما تحفظ ، واثار الآخر باستحان تقواها ودرجة ايمانها . واخيرا فصل الملك رسالة صلح جان دارك وبعث بها الى اورليان على رأس حملة صغيرة .

كانت فرنسا بحاجة الى زعيم قوي يوحد كلمتها وينسق جهودها ، فوجدت في جان دارك هذا الزعيم ، فالتفت حولها واعلنتها على الفانحين حروبا دينية انتقاما من الفرنسيين او من معظمهم بان جان هي مبعوثة العناية الالهية لانتقاد الوطن . وكان هذا الاعتقاد في رأس العوامل التي اناجت لهم انفساد « اورليان » .

اخرجت جان دارك الإنكليز من المدينة المحاصرة بها بشبه الاعجوبة . والقوات الاقطاعية التي قاتلت تحت امرها انقلبت بين ليلة وضحاها جيشا منظما لا اثر فيه للطبقات والفوارق التي كانت سبب ضعفه . فقد آمن الجميع ، ابتداء ببورجوازيين وسوقة ، ان جان فتاة ملهية ، فما وجدوا غضاظة في العمل غاشلتها وتنفيذ اوامرها . وهكذا رضي الفرسان في اكثر من مناسبة بان

بنصوا فاصحى امام حلة الاقواس بحال العمل ، لان جان ارثأت هذا التدبير .
ولم يعترض الثبلاء على اختيار القادة بين ابناء الشعب اقتناعاً منهم بان ما تراه
جان دارك حسناً فهو حسن .

وفي هذا الجيش الوطني على النظام محل الفوضى . فقد حظرت
القناة المهمة الذهب والتجديف واخذ السياج ، وكانت تسير بنفسها على
تفديد الاوامر . لم تكن ملزمة بشؤون الحرب . الا ان مواهبها
صفائد تجلت في الحقل المعنوي . هي لا تعرف منا الحرف فكيف يحجب
جنودها ؟ هي مؤمنة بحسن المال فكيف يتشام منقوسوها ؟ كان مجرد ظهورها
في قطاع ما يبعث الثقة في نفوس الفرنسيين يرشع التوضي والذعر في
صفوف اعدائهم ، الذين كانوا يعتقدون ان منظمة اورليان من عملاء للشيطان .
بهذا التفوذ المعنوي انتقدت جان دوك اورليان وفادت الحصة الفرنسية
حتى ريس حيث شهد الفرنسيون حلة تويج الملك شارل السابع وهم يحسبون
نفوسهم في حزم .

كانت رابها تخلق دائماً في الطليعة وتغرف حيث يكمن الخطر
الاعظم . لم تكن شجاعة حتى التهور ، بل كانت تزن الامور بميزان العقل .
في اثناء حصار اورليان ارثأت بعض القادة ان يرفعوا الحاربون الفرنسيون
بعد استيلائهم على ثلاث قلاع من اصل اربع ، فعارضت جان في هذا
واصرت على مهاجمة القلعة الرابعة والاخيرة ، لان الانتصارات السابقة روعت
معنويات الانكليز فيضن يقوات الملك شارل ان تواصل الضغط على اعدائنا
دون هوادة لتحول دون ردات الفعل . والانتفاضات التي قد تقلب الموقف
رأساً على عقب . وقد كان ، وجاءت الحوادث مؤيدة نظرية القناة الباسقة .
تقدم المدفعية . - لم تكن جان دارك قائداً شجاعاً ومجرماً ممتازاً بحسب

من كانت تخص اسلحة الحارب بجانب من اهتمامها ، ونصير في تعليلها هذا
الثان عن الحاجة تامة لهذه الناحية التي اهتمت مدة طويلة في حرس الانظمة
ادركت جان اهمية المدفعية ، هذا السلاح الحديث ، اشارت بنعريه -
وكان الملك شارل السابع يميل شخصياً الى اعادة المدفعية كسلاح رئيسي في
الدفاع والهجوم ، فاستعان بالآخوين « ورو » و « بييريسبور » ، وكلاهما من
اشهر مهندسي العصر ، في انشاء وحدات المدفعية الفرنسية . وقبل ان يشرع
المهندسون في عملهم استخدم الفرنسيون المدافع التي غنوها من الانكليز في
معارك « اورليان » و « باي » و « تالوت » في تلك الحصون والاسوار
وافراق السفن الانكليزية في بحر المانش .

وفي العام ١٤٣٠ جهز الجيش الفرنسي بدافع مضخة من البورز تلقى
من فوقها . وجرت هذه المدافع للمرة الاولى بحضور جان دارك قبل وقوعها
اسيرة بين ايدي اعدائها . فلاحظت ان القذيفة الخفيفة تحتاج الى طوق
حديدي ليتمكن من تهديم الاسوار والطران ، فصورت القذائف بالبلور
واعطى استعمالها شكلها الجديد ناتج بكرة .

كان مدى المدفعية الضخمة الفأ وخمسة قدم ، وكان لدى الالمان والانكليز
والاطاليين مدافع ماثلة لا يزيد مداها على خمسة قدم . وكان ثمة مدافع
تلقم من مؤخرها ، الا ان الفرنسيين لم يهتموا بالاكثار منها لان استعمالها
غير مأمون العواقب . وعند وفاة الملك شارل السابع كانت فرنسا اربعة
وعشرون مدفعاً ضخماً تجهزها المركبات ، ويتولى اطلاقها وتلقبها رجال من
ارباب الاختصاص .

وقد قلبت المدفعية الفن الحربي رأساً على عقب . وفي الميادين المكتومة
كانت المدافع الموهبة تفتح نيرانها من مسافات لا يبقى معها مجال لنشاط حدة

الاقواس من الانكليز . لهذا عمدوا الى الاعتصام في القلاع والمدن المحصنة ولكن المدفعية تغلبت بسرعة على الاسوار والحصون . فكان حصار المدينة المحصنة لا يستغرق اكثر من يومين او ثلاثة .

اصلاحات شارل السابع . - احرق الانكليز جان دارك حبة ولصنهم لم يستطيعوا القضاء على الروح الوطني الذي نفخته في بني قومها . تركت لفرنسا ملكاً عالي الهمة يحوطه شعب مؤمن بعدالة قضيه ويقدرات بلاده .

اعتبر شارل السابع بالحنن التي تولت به وبلاده فخرج سياسة اصلاحية وضعت اساسا للمجالس التأسيسية العام ١٤٣٩ . وقبل هذا استطاع ان يزوج دوق بورغونيه ، من احسان الانكليز ، وقد كان الدوق عونا للمحتلين وحليفاً معادين عليه في ازمة الحروب الاهلية واضعاف الجبهة الداخلية في فرنسا المنقسمة على نفسها . ثم الاتفاق بين الملك ودوق بورغونيه العام ١٤٣٥ ، وفي العام التالي حذر الفرنسيون مدينة باريس ومن ثم استردوا شمال المملكة دون ان يتعرضوا لخمرات معارك كبيرة . وفي العام ١٤٤٤ طلب الانكليز الصلح فرفض عليهم . واكتفى شارل السابع بعقد عدة اسبوت خمس سنوات وهي فترة لم يضعها الملك الصلح سدى بل انفقها في اصلاح النظام العسكري .

وافق عهد الملك شارل السادس انبعاث روح الشقاوة ، فانبرت عصابات الهابيز والسلايين تعبت بالامن وتقرض شريعة القوة حيث تأتس ضعفاً من بنلي السلطات العامة . وقد عرف رجال هذه العصابات باسم « العبارين » وقاتل فرنسا الامرين من تحكمهم وبطشهم . وقد عمد الملك شارل السابع الى استخدامهم في مشاويره العسكرية وحملاته التأديبية فقتل منهم في هذه الحملات من قتل وقتك القلاخون بالذين عادوا احياء لئلا يعودوا سيرتهم الاولى .

ولما اطمأن الملك المصلح الى خلو القوات المسلحة من العناصر الخبيثة تفرع
لاصلاح نظام الجيش ، يعاونه في مهمته الامراء والنبلاء وأمير الجيش
« دو ريشيون » الذي اسره الاسكندر فعاد من الاسر وقد احاط احاطة تامة
بجنونهم العسكرية .

بدأ الاصلاح بتنظيم الحياة ، فجعلت خمس عشرة سرية ، على ان تصم
السرية الواحدة سبعة رجل ، منهم مئة فارس صرغين ، وتألف ملاك السرية
من ضابط وثلاثة رئيس (كابيت) ومن ملازم اول (ليوتانت) يتولى القيادة
الفعلية ، ويعاونه صف ضابط يقال له المرشد وحامل العلم وعريف .

واحتفظ الملك بحق اختيار قادة السرايا الخمس عشرة (اي الرؤساء) ، أعطى
بعين الاعتبار وضعهم الاجتماعي وخبيرتهم العسكرية ومستواهم الثقافي . وبعد
تعبثهم استقدمهم اليه ولقبتهم الى اهمية التولييات المكلفة على عواقبهم ، ورغب
اليهم ان يكونوا امناء للعرش والبلاد ، واعلن انه لن يتدخل في تأليف السرايا
بل يدع لهم اختيار رجالهم على ان يوافوا المصلحة العامة في هذا الاختيار .
وقد ترتب على التنظيم الجديد تسريع عمده كبير من الفروقات التي لم
توفر فيهم الشروط المطلوبة . وخشي الملك ان يثور هؤلاء فانخذ تدريج
خاصة لمواجهة الفلوارى قبل ان تنشر اسماء المدرعين .

كان الرجل المدرع يعضر بطلاقة تغلفي الرأس والوجه حتى العنق ، وراف
حول عنقه طوقاً فولاذياً يوصل بالدرع والطلاقة بواسطة عقيقف صغيرة . وكانت
الدرع تغلفي نصفه الاعلى بما فيه الذراعين . اما سلاحه فكان يتألف من رمح
طوله خمسة امتار ، ومن سيف مستقيم وطويل . وكان له اربعة جياد :
واحد للقتال ، وثان يتطبه في الطريق ، وثالث يعتلي صهونه اذا سقط جواده
الاول ، ورابع يتطبه الفارس المساعد . وفرض التنظيم الجديد باث بقاتل

الفرسان المدفعيون على حدة . أما زملاؤهم غير المدفعين فقد اطلق عليهم اسم اقبالة الحظيفة ، ونظ بهم حرب الكمين واعمال الاستكشاف ومطاردة العدو المتهم . وجعل سلاحهم الرئيسي القوس والرماح المزددة ، اي الرماح التي ربط الى وسط الفارس بسلسلة طويلة فاذا رشق بها العدو امكن استردادها بجذب السلسلة .

نظيم المشاة . نظمت اقبالة بموجب البراءة الملكية المؤرخة ٢٦ ابر من العام ١٤٤٥ ولم يأت دور المشاة الا في العام ١٤٤٨ . فانشأ الملك وحدة « الرماة الاحرار » بموجب براءة خصت على كل مدينة وبلدة وقرية ان تختار امير رلم بين سكانها . فانتصبت القرى الفرنسية اربعة آلاف رلم وانتصبت المدن عددا مماثلا . وجعل سلاح الرماة الاحرار القوس والسيف القصير . اما مدافعهم الدفاعية فقد كانت تتألف من زرد وطاسة . واجري عليهم حرب شهري ودره اربعة فونكات ، ورفضت عنهم الضرائب .

كان « الرماة الاحرار » يقسمون بين الولا للملك ولا يحسبون الا تحت لواءه . وكانت نقطة الضعف في هذه المؤسسة ان الرماة ينصرفون الى اعمالهم العادية في السلم فلا تقوم بينهم رفاقة السلاح الا في فترات متقطعة . ودعم هذا ابنى « الرماة الاحرار » بلاء حسناً في المعارك التي تخطت للمرحلة الأخيرة من حرب المئة سنة .

أما المشاة العاديون فقد نظموا على اساس الفوج كوحدة مقاتلة ، ولم يمتد الإصلاح الى اسلحتهم لان المدفعية امتأثرت بالشطرنج الاعظم من اهتمام المصالحين .

انتهاء حرب المئة سنة . - انتهى التنظيم المكروي الجديد غارة المراجعة فاسرر الفرنسيون سلسلة انتصارات باهرة بعد العام ١٤٤٩ . وفي آذار من

العام التالي انزل الانكليز جيشاً كبيراً في مربورغ فهزمه الجيش الفرنسي بقيادة « ريشمون » في موقعة فورمبي حيث مثل الفرسان المدعون والنشاب (الرماة بالقوس) دوراً رئيسياً . وقد تم للهلك شارل نحرير نورمندي كلها في بضعة اسابيع وانتزع من العدو عنوة وخلال عام واحد سيقم مدينة محصنة . ولما جاء دور مقاطعة « غوين » اصطدم الجيش الفرنسي باجهزة دفاعية قوية وبغراض السكان الذين اسبغ معاملتهم في المناطق المحررة ، فاستجندوا الانكليز وكانوا لهم عوناً على مواليهم ، فضايق شارل السابع ذوئاً بهذه الحالة وفكر ان يضع لها حداً بقوات متفوقة .

وفي العام ١٤٥٣ تحدى الملك الفرنسي حصنه الانكليزي « تالبوت » بربعة حيوز نظم قبلها مدبراً على حرب الحصار دمججراً تدفعية قوية . وقد ضرب الفرنسيون الحصار حول مدينة « كاستيون » وما زالوا بها حتى عادت الجماعة سكانها ، فظاهروا ضد القائد الانكليزي وحاولوا اغياده على تسليم المدينة فهاجمت حباته في السابع عشر من قور ١٤٥٣ السور الذي يحصي طلائع الجيش الفرنسي ، ففتحت المدفعية بيرانها عليها وكان « تالبوت » اول الضحايا لانه كان على رأس حرسه .

وبعد سقوط « كاستيون » حاول الانكليز الاعصام في بورجو وديون ولاروشل . ولكن اسوار هذه المدن لم تقو على استغال وطأة القذائف الفرنسية . وهكذا جعل الانكليز عن فرنسا وبقيت شهر مدينة كاليه في الشمال .

الفصل الرابع

نشأة الجيش الملكي

١ - نظم فرنسا بعد حرب المائة سنة

اجتاز انشاء الجيش الملكي في فرنسا مرحلته الاولى خلال النصف الاخير من القرن الخامس عشر وفي القرون التي تلتها ، ودر ثلاثة عهود سياسية كان لكل واحد منها اثره في تنمية هذه المؤسسة الوطنية وتنظيمها . فقد دعم الملك لويس الحادي عشر الوحدة الفرنسية التي اتفقها شارل السابع ، وافقى اثر سلفه في الإصلاح . وكان لعمليات التي قام بها آل « فالوا » في الخارج اثرها في تقدم الفن الحربي وتطور الاسلحة . الا ان الاكتثار من استخدام المروحة من الاجانب اخر نحو وحدات المشاة الوطنية وجماعات الحروب الدينية فتحت عيون الفرنسيين على قيمة جيشهم الوطني ، وظهرت ضرورة العناية بالمشاة . وكان من نتائج تقدم الاسلحة النارية ان وضعت قواعد جديدة لحرب الحركات ، ورائق التوسع في الحقل والمرامي السابعة التوسع في النظريات الاستراتيجية .

لويس الحادي عشر . - نجحت شخصية لويس الحادي عشر القوية وهو عدو ولي عهد المملكة . ففي العام ١٤٤٣ وكان في الرابعة عشرة من سنه ، اتقد مدينة « دباب » وكانت على وشك السقوط بأيدي الانكليز . ومثل وهو ولي

لعهد دوراً كبيراً في المساعي التي بذلت للخلاص من عصابات العيارين
فاغرى ثلاثين الفاً منهم بالاشتراك في الحملات التي جهزها على سرسرا فقتل
معظمهم . وقد تزوج لويس من ماري دوبرغونية فلم يرض أبوه الملك عن
هذا الزواج ، فابتعد العروسان عن البلاط وأقاما في قصر دوق بورغونية ،
بانظار تامل المملكة .

كان لويس الحادي عشر حاد الذكاء ، جم النشاط ، خصب الخيال .
ولكنه كان سيئ الظن بالناس ، شجاعاً ، شديد الوطأة على خصومه ، غير وفي
لاصدقائه . لم يستعن في تصريف شؤون المملكة بمستشارين أفاضل وقادة
مروحين ، بل كان يختار بطائفة بين الرجال المقهورين فيجعل من « جان
دولوكان » ، وهو من العيارين ، مارشال فرنسا . وقرب « أوليفيه لودام » وهو من
أصل وضع وقد جابه في مستهل عهده خصوماً أقوياء ولاسيما « عصبة المصلحة
العامة » وشارل الملقب بالجنود بدعها ملك انكلترا ادوار الرابع .

استطاع الملك الفرنسي التغلب على هذه المصاعب بالحرب حيث بدت له
كثرة راجحة ، وبالمناوشة حيث كان خصومه أقوى منه . وقد خدسه الحظ
هزوني خسه شارل الجنود (دوق دوبرغونية) وحلفت له بعد مدة فصيح
ابنته ماري زوجة لويس الحادي عشر ، فتخلص الملك من خصم عنيد وروث
دوقته وجماعات وفاة « شارل داليجو » تضيف الى ممتلكات التاج الفرنسي
مناطق واسعة وغنية .

وبقول المؤرخون ان عهد لويس الحادي عشر الذي استمر اثنين وعشرين
عاماً قد خلا من الفترحات الكبيرة والانتصارات المشرقة . ولكنه عزز
السلطة الملكية الى حد كبير على حساب الاقطاعيين وبدأ جلود فرنسا الى
جبال الالب والپيرنه لان الملك « المسالم » كما كان يسمى خصومه اذراء .
الجيش الفرنسي

عرف كيف يرفع اعداء المملكة على احترامها بتعزيزه الجيش الفرنسي جاعلا منه اداة تحريف تهيبها جيوش الطامعين .

م . بين لويس الحادي عشر بالحيلة غايته بالمشاة . اكتشف تفوق الاولى وعجز الثانية في موقعة « جسر شارانتون » وامام مدينة « نيل » . وقد قام سنة ١٤٦٩ بمحاولة الاولى لرفع مستوى « الرماة الاحرار » ، قسم البلاد اربع مناطق اقليمية بمسكن في كل منها اربعة آلاف رام بقيادة رئيس عام « كايك جنرال » . ووزع هذه القوة على ثلثي وحدات ، وعهد الى الرئيس العام بقيادة اولاهما . ولفظ قيادة الوحدات السبع الباقية بضابط من رتبة رئيس . وانشأ في كل منطقة من المناطق الاربع مراكز للقيادة تسمى الرؤساء العامون يتفقدونها متحققين من تنفيذ الاوامر ومسير اعمال التدريب .

الا ان هذا الاصلاح لم يزد الى رفع مستوى الرماة الاحرار فكشفوا للرؤساء في موقعة « عنفات » سنة ١٤٧٤ عن جيش يعوزه النظام . فما كانت الحيلة تدفع في اثر العدو حتى تفرق اربعة عشر الف رام دون ان ينتظروا اوامر قادتهم . وقد كانت هذه الامثلة كافية لاقناع لويس الحادي عشر بان الوقت لم يحن بعد للاستغناء عن المشاة الاجانب ، ولإسبا المشاة السويسريين الذين غلبوا منذ عهد فيليب الجبل بالشجاعة والاخلاص ونكرات الذات . وقد اتبع لذلك ، وهو بعد ولي العهد ، ان يتعرف من كتب الى فضائل السويسريين العسكرية ، فقرر بعد تربيته على العرش ان يمد يده الى هؤلاء الاعضاء الاخوياء ، فعقد وياهم معاهدة صداقة حولها فرنسوا الاول الى تحالف حقيقي استمر العمل به نحواً من ثلاثة قرون .

اخضع المشاة السويسريون لاهدافهم وجيرانهم ، فكانوا خداماً انشأ لهم عرش ينودون منه بحماسة وعزيمة صادقة . وقد اجمع المؤرخون على رد

الفضل في ابواب الدور الذي يمكن المشاة فيه في الهجوم إلى
الغصائر السويسرية في الجيش الفرنسي الذي قبض له أن يعني حرب المئة
سنة نهاية حسنة . ففي المعارك التي خاض الانكليز غمراتها قبل جلائهم عن
الأرض الفرنسية ، تخطى السويسريون العرف العسكري وتركوا مراكزهم
يسشوا إلى المدافع المعادية ويستولوا عليها ، أو ليلقوا حوفاً بتاورات باردة .
وهذا كان العرف المتبع أن يلزم المشاة مراكزهم ولا يسشوا إلى لقاء العدو ،
تركيز هذه المهمة للخيلة . وقد فتح محل السويسريين العيون على أهمية المشاة
كمصدر متحرك في ميدان القتال ، وعلى الدور الذي يمكن هذا العنصر أن
تؤدي إذا استظم في افراض هجومية ، وكان حسن التنظيم ، ومجهزاً بالأسلحة
اللازمة .

السويسريون يدربون المشاة الفرنسيين . - بعد أن تم لبوس الحياضي نشر
منح مقاطعة « فرانش كونه » بواوارة السويسريين ، استقدم إلى فرنسا ستة
آلاف من هؤلاء بقيادة « غليم دوديسالغ » وعهد إليهم بتنشئة قواته وتدريبها
وفقاً للأساليب السويسرية . وقد اختار الملك نواة جيش المشاة الجديد من
« الرماة الاحرار » فبلغ عدد المتخوين ثمانية عشر ألفاً .

ورعت هذه القوات على كتابت نظم الواحدة منها ألف رجل ، وانخفضت
في كتابتها قرب « روان » لنظام قاص ، ولكنها عوملت معاملة ممتازة من
جنت تجزيها ودفع مرتباتها . ولم يطل بها الأمر حتى اخذت عن السويسريين
أساليبهم في حرب الحركة وقبضت منهم فنون اللب والدوران والمناورة
الطوية النفس . وقد انتهت مهنة المتدربين بعد ستة أشهر فعادوا إلى بلادهم
ومكث الفرنسيون في المعسكر زهاء عشرين انفقوها في التمارين العسكرية .
ولم يرحلوا نكتانهم الا عندما شعر الملك بدنو اجله فأمرهم باحتلال نكتات

« بيكارديا » و « ارتوا » فسميت كتائبهم « عصابات بيكارديا » . الا ان مؤرخي العصر اجمعوا على انها نواة جيش المشاة المنظم والدائم .

٢ - الحروب الخارجية

في اواخر العام ١٤٩٩ اجتاز الملك شارل الثامن جبال « الالب » مبتعداً بالجيش الفرنسي الى ما وراء الحدود . وفي العام ١٥٥٩ وضعت معاهدة « كاتو كامبريزي » حداً لعمليات الفرنسية في الخارج . وقد تعاقب على العرش خلال هذه المدة ثلاثة ملوك هم شارل الثامن ولويس الثاني عشر وفرانسوا الاول . وجاء بعدهم هنري الثاني الذي جرت وفاته المبكرة الملكة الفرنسية الى كارثة كادت تقضي عليها .

الجزيرة الإيطالية . - ارتقى شارل الثامن العرش حدثاً فتوات الوصاية الملكة حنه « دو بوجو » ونعت فرنسا في عهدها بالمدى والسكنة والزفافة . وما ان بلغ الملك رشده السياسي حتى راح يتطلع الى شبه الجزيرة الإيطالية فقد ترك « ربه دائجو » ممتلكات يسيل لها اللعاب ، وحق البيت الفرنسي المالك بالتوكا صريع .

كانت إيطاليا منقسمة على نفسها وانكفوا مشغولة بحرب ايكوسيا ، فشنع هذان العاملان شارل الثامن على المطالبة بنابولي مع علمه ان بادرة كهذه قد تغضب النمسا . وكانت اقوى الممالك في اوروبا الوسطى ، كما قد تغضب اسبانيا .

كان شارل الثامن رجلاً شجاعاً وحزوماً . ولكنه كان قصير النظر . حدوده الذكاء ، خيل اليه ان احتلال نابولي سيكون نعمة عسكرية ومنها يقفز جيشه الى النمطانية . وكانت الفتوحات التوكية قد فتحت الميون على أهمية الموجة المتصاعدة من الشرق ، فلافقت فكرة الملك تشجيعاً في

أوساط الكنيسة التي شافها تجديد الحملات الصليبية .

وقد اختلف المؤرخون في تعليل سرعة الزحف الفرنسي في ايطاليا فأرجع فريق منهم الفضل في ذلك الى التدابير العسكرية الحكيمة التي اتخذها شارل الثامن . وذهب فريق آخر الى عطف الايطاليين على الحملة ظناً منهم انها جاءت لتحررهم .

ومما يمكن من امر فقد حذر الملك على ايطاليا حملة كبيرة مجهزة بدافع عبدة المدى . واستطاع جيشه ان يمتاز شبه الجزيرة من الشمال الى الجنوب في حصة اشهر . ولكن الشعب الايطالي ما غم ان ذاق ذوقاً بالفاتحين ، تسع عنهم المؤن وكانوا في اشد الحاجة اليها ، لان الملك لم يعن بتأمين الزاد لقواته . وقبل ان يتفادى العداء قرر شارل الثامن الانسحاب مكتفياً من الغنيب بسلاب ذات قيمة ضئيلة واثيرة . وقد غدت عملية الانسحاب بسرعة ولم تعرض الايطاليون للصعلة المتراجعة الا مرة واحدة امام قلعة « فورتو » حيث قد الجيش الفرنسي ضاحكه الطيبة .

ولم يعط لويس الثاني عشر ثمة جرته خفة سلفه على فرنسا ، فما انت ارفع العرش العام ١٤٩٨ حتى وضع نصب عليه احتلال ميلانو و نابولي ، وما بحاجة الاولى . وقبل ان يزحف الى الاخرى سعى الى تأمين حياض ايطاليا الوسطى . ولكن ملك اسبانيا كان له بالمحصاة ، فاتفق وايام على اقتسام مملكة نابولي . وما طال الامر بالشريكين حتى تخاصما فاضطر الفرنسيون للجملاء عن نابولي بعد معارك طاحنة تميز في احداها البطل الفرنسي « بايار » موقعة مير غاريليانو (١٥٠٣) .

وفي العام ١٥٠٧ تدخل لويس الثاني عشر في ايطاليا مجدداً ابان ثورة جنوى . ثم حالف البابا يوليوس الثاني ضد البندقية ، وهزم جيشها في موقعة

«أنيابيل» . وقد ذكر المؤرخون ان الملك لاحظ ان المعركة تضعف جوده امام يوان المدفعية المعادية فصاح بهم : « من كان منكم خائفاً فليقف ورائي » . ان ملك فرنسا لا يموت بتدنية مدفع .

وقد كان هذا الموقف انبل مواقف الملك القائد في ساحة القتال . ولما يكن الحظ قد خانته في الحرب لجهل فتوحها واعتماده آراء مستشارين اعمام الغرض ، فقد كانت له في الادارة مواقف مشرفة ، فعني باصلاح مائة البلاد ، وسهر على اقامة صروح العدل ، وكان يطوف الدساكر لسمع الى النظام ويرفعها ، حتى لقبه الشعب بحق بـ « الملك الطيب » وبـ « ابي الفرنسيين » .

اخفقت حملات لويس الثاني عشر في ايطاليا لان مطامعه فيها حوصكت مطامع النمسا واثارت خيرة اسبانيا ومخاوف البابا الذي نسي يد الملك الفرنسي عليه ، فجالت خصومه الاقرباء .

ويروي المؤرخ الايطالي « فانتيني » ان البابا يوليوس الثاني نصح لويس الثاني عشر بان يتنازل عن حقه في ميلانو وفابولي ، على ان يثير هذا الحق مجدداً حالما يأنس ضعفاً من امبراطور النمسا الذي كان يحبه يتألق في سما اوروبا واسمه تتصاعد في بلاط ملوكها ومحافلها السامية . الا ان روايه المؤرخ الايطالي لا تجد ما يؤيدها في ما دونه مؤرخو العصر الفرنسيون عن الخلاف الذي ذو قرنه بين ملك فرنسا والبابا ، وود معظمهم وقوف يوليوس الثاني في صف اعداء الملك الطامعين مثله بايطاليا الى رغبة البابا في ابعاد الخطر الظاهر بمساعدة العدو المقتنع .

تميز في الحملة الايطالية « غاستون دوفوا » ابن شقيق الملك وودق نيمور ، فقد استطاع هذا الامير الشاب ان يفسد خطط العدو بتناورات بارعة ادت الى انتاذه بولونيه ، وكانت جيوش البابا قد اطبقت عليها من ثلاث جهات . وفي

موقعة « برسيا » هزم جيش البندقية بفضل حركة لف حريشة . وفي العام ١٥١٢ هزم الاسبانيين في « رافين » ، ولكن هذا الانتصار كلفه حياته فقدت فرنسا بطلاً مغواراً وقائداً ثانياً ، وبدأ الخط يتجهونها ، هزمت غواتينا في « الشافار » واضطرت الحملة الفرنسية في ايطاليا للتخلي عن مغانها . وتوالت المحن اتخذاً بعضها بوقاب بعض . فنزل الاسكندر في كاليه وانتصروا في موقعة غينغات على قوات هزيلة ، منككة العرى . وكان السويسريون قد قبلوا لويس الثاني عشر ظهير المجن فاضوا الى اعدائه وحاصروا مدينة دييجون . ولم يعم النسيون ان انقضوا على فرنسا بدورهم ولكن الجيش الفرنسي سد المنافذ دون جفاف الاعداء فاسجاً امام الملك بحال الانتقاد بفاوضة الطامعين .

وقد اعاد لويس الثاني عشر تنظيم جيشه وفي نيته ان يقوم بمحاولة جديدة في ايطاليا ، فادركه الوفاة قبل ان تستكمل استعدادات الحملة . وارثه ابنه هنري الاول العرش ، وكان شجاعاً ، ذكي الفؤاد . ولما الى القاهرة ، فاجتاز جبال الالب على رأس الجيش الجديد ودشن عهده بانتصار رائع في « مارينيان » ، حيث تغلب اربعة آلاف فارس فرنسي على خمسة وقلتين ألف سويسري . وعقب هذا الانتصار مفاوضات بين الغالب والمغلوب موقع السويسريون على عهدة « السلام الدائم » . وجاءت العهدة في الوقت المناسب لان خطراً عظيماً كان يرقص بفرنسا .

فرنسا الاول وشارلكان . كانت موقعة « مارينيان » املاً حياً لقوة فرنسا العسكرية ، فادرك خصومها ان سلماً طويل الامد تنعم به كقول بان يجعلها اقوى دولة في أوروبا ، فقرروا اضعافها بتقطيع لوصالها . وجاء قرار مجلس « فونكنغورت » سنة ١٥١٩ يضع في يد شارلكان حجة

يعبر بها اعتدائه على فرنسا . فقد جعله القرار وارت ابيه في النمسا والبلاد المنخفضة ودوقية « فرانش كونته » ، ووارث أمه في « الكاستيل » ، ووارث جد في اسبانيا والممتلكات الاميركية . وكان شارلوكان يتطلع الى مقاطعتي بورغونية وبيكارديا لأنه حفيد شارل الحصور . وهكذا كانت ممتلكاته وسطاحة تضرب حول فرنسا نطاقاً خطراً .

وشعر فرنسوا الاول بالخطر هراج بقرب من الانكليز . ولكن شارل الثامن مد يده الى شارلوكان وكتب ان يولي الملك الفرنسي ظهوره . فوضع بهذا امس السياسة الانكليزية ازاء العداء الفرنسي الجرمناني الشاغل ، وهي سياسة تقضي بتأييد الفريق الضعيف منعاً لطغيان الفريق القوي .

بدأ النزاع بانقطاع جيش شارلوكان على مدينة « ميزير » في محاولة جريئة لاجتياح مقاطعة شامبانيه . فعهد فرنسوا الاول الى القائد « بايلر » الذي اشرف على تنظيم الجيش الجديد ، بحملة الدهاق عن المدينة المهددة ، فاعصم في داخلها على رأس قوات منضوية وانشأ حولها اسواراً اضافية وحفر خنادق ومهاوى بين السور والآخر .

وفد ذكر المؤرخون ان الجرمنان هاجموا « ميزير » بأربعة وثلاثين ألف مقاتل استندوا على صفتي نير الموز بقيادة « ناسو » و « فرنسيسك » . وقبل ان يبدأ الهجوم الذر ناسو القائد بايلر يوجب تسليم المدينة فرض القائد الفرنسي التسليم . وعلى الارضت المدفعية الجرمانية خمسة آلاف فذيفة على المدينة . واعرك « بايلر » ان الحامية لن تستطيع الصمود طويلاً امام ثيران العدو الكثيفة ملجأ الى حرب الاعصاب لينذر بذور الشقاق في صفوف القوات الامبراطورية وكان يعلم ان بين ناسو وفرنسيسك منافسة قوية ، فارسل الى اولها من يمس في اذنه ان زميله يفاوض الفرنسيين شراً ليكون له شرف دخول « ميزير »

اولا . واورد الى « فرنسيسك » من اهل في روعه ان « ناسو » يسفر معه وينتقد خطته . وسرعان ما سادت العلاقات بين القائدين وامتد الخلاف الى قواتهما ، فانقضت مشاة ناسو وفرنسه وعددهم عشرون الفاً على قوات فرنسيسك ، وانتهز بيار الفرحة وفتح على خصومه نيران مداهمه فقتلت منهم خلقاً كثيراً . وفي اليوم التالي انسحب الجرمان وارسل ناسو الى الامبراطور شارلكان بصح « مزيير » بانها قلعة حصينة عزيزة المآل .

غير ان انتصار بيار في « مزيير » لم يبعد الخطر عن فرنسا . ففي سنة ١٥٢٢ خاض السلطنة المقدم في امراء البيت المالك وانضم الى « شارلكان » وهزم الجرمان القائد « لوتريك » في « بيكوك » وقتل « بيار » في موقعة « انيسكروسو » واجتاح العدو مقاطعة « بروكسس » فانقضت فرنسوا الاول برجيلا واجتاز الالب في اثر العدو المهزوم . ولكن ميلانو اجتذبت فككت عن مطاردة العدو وتحول اليها ، فحضر موقعة « في » سنة ١٥٢٥ ووقع شتيراً بعد ان جرح مرنين . وحاول شارلكان ان يسلم الوصبة على العرش « لويز دوسافوا » والدة الملك الاسير ، فاشترط لاطلاق الملك اقتطاع اراض معينة وفوضت الملكة الام التنازل عن شبر واحد من الارض الفرنسية ، وايدتها في موقفها راي عام اعتاد النضي من الملكية المستضعفة ، فدعها هذه المرة مدلا على رغي قومي عظيم . وكانت انتصاراته شارلكان قد فتحت عيون الانكليز على الخطر ، وفوض هنري الثامن في صف المناوئين للمتصمر . وعذا حضروه ملك اوروبا الوسطى وسلطان العثمانيين ، فتمس فرنسوا الاول الصعداء فخل معاهدي مبرسة وكمبرج .

الكاتب . - اضطر فرنسوا الاول لاستخدام المحاربين الاجانب في حملاته على طلاق واسع . الا ان هذا لم يقعه عن العناية بالجيش الفرنسي ، فاختضع

للتدريب جامبات المدن الحصينة . ووزع فرق المشاة على اربع مناطق ، هي
بيكارديا وشامبانيه في الشمال وغويين وبيسون في الجنوب . واصبح لكل
واحدة من الفرق الاربعة تقالدها وشاراتها ، ولصحتها ظلت تعرف باسم
« العصابات » رغم نموها وحسن تنظيمها .

ولاحظ فرنسوا ان هذه العصابات لا تكفي للقيام بميليات حربية على
جبهات متعددة ، فقرر انشاء جيش مشاة قليل التكاليف سيأ ، واكثر اخلاصاً
للعرش وللوطن من الجنود المرتزقة ، على ان يتم تدريبه بسهولة حالما ضاع
الحرب اوزارها . وفي تموز من العام ١٥٣٤ صدر مرسوم بانشاء القوات
الجديدة وفرض الملك على كل من المقاطعات الكبيرة نفقة كتيبة قوامها
ستمائة الف رجل . فجمع لديه سبع كتاب . فقسم كل كتيبة ست سراي
تضم الواحدة منها الف رجل بقيادة كاتبين (رئيس) . وقسم السرية الواحدة
فصلتين تضم الواحدة منها خمسة رجل بقيادة ملازم اول (ليونان) .

ولكن التنظيم الجديد لم يعط النتيجة المشوخة . فاللحمية التي اشدها فرنسوا
الاول من تقوية سلاك الضباط ظلت مفقودة . وتكشفت الميليشيا الجديدة في
الحربين التيمن اختتم بها الملك عهده عن قوات مفككة العرى « عمدة النظام ،
ففسدت فرنسا مقاطعاته السافوي في الحملة التي سبقت لاحتلال ولاية ميلانو .
وتراجعت قواتها امام جيوش شارلكان وهنري الثامن ، فاحل الانكليز بولوني
لبوسوا فاعتنهم في كاثي . ووصلت جيوش الامبراطور الى شانوتييري ، ورغم
هذا استطاع دوق الميخين انقاذ شرف الجيش الفرنسي العام ١٥٤٤ في موقعة
« سريزول » وكان اعداء فرنسا قد ملوا القتال عرضوا بفاوضة ملكها فاستغوت
فرنسا السافوي واحتفظ الانكليز ببولوني لمدة ثلثي سنوات يعيدونها بعدها الى
فرنسوا الاول مقابل مليوني ليبرا ذهبية . اما شارلكان فقد احتفظ ببلاد .

هنري الثاني والحدود الشرقية . - لم يكن الصلح سوى هدنة مسلحة .
وقد أدرك فرنسوا الاول ان الدولة الجرمانية ذات القوة المتزايدة يوماً بعد
يوم ، لن تسكين حتى تخضع اوروبا لسيطرتها . هذا عمل على تعزيز نظام
المحالقات الفرنسي . ولسج على منواله خلفه الملك هنري الثاني الذي انقضى
العرض في العام ١٥٤٧ ، فعمل على تقوية اواصر المودة بين فرنسا وتوركييا . ولم
يفت هنري الثاني ، وهو ناشد في القاهرة حلفاء اقوياء ، ان ايطاليا عدو قديم
الخطر ، وان المطالب الفرنسية في شبه الجزيرة تأتي في الدرجة الثانية بعد الحدود
الشرقية حيث يربط عدو قوي الشكينة ، شديد المراس ، واسع المطامع .
ولم يشأ الملك استتارة خصومه قبل ان ينظم جيشه التنظيم اللاتني . فبعد
بالقيادة الى ضابط لامعين امثال « بوساك » و « سكوليني » . وادبر
سلسلة مراسم باصلاح نظام التعبئة والتدريب . ولما اطمأن الى تهيئته جيشه
الجديد ، تحدى شارلكان ببيات اعلن فيه عن عزمه على استرداد ملكه
« اوستراريا » وعن رغبته في توسيع حدود فرنسا حتى نهر الرين .

وقد فعل اسم الرين في نفوس الشبيبة الفرنسية فعل السم ، فخرجت الى
التكاثرت تعرض سواعدها : « شاق الفرنسيين كباراً وصغاراً ان يستبدوا الى
لقاء العدو ورؤية نهر الرين العزيز على قلوبهم . » (من افوال المارشال دو
فيڤيل عن الحملة) .

احتل هنري الثاني متر ونول وفردون دون ما صعوبة . وقد اتفق جنوده
في نهر الرين العام ١٥٥٢ . ولكن الحملة اصطدمت والعدو امام غراسبورغ
واستطاعت ان تقذف به الى داخل المدينة الحصنة . وخرج شارلكان لاسترداد
متر وكان يقود حاميتها الفرنسية ضابط نبيل ذو مواهب هو « فرنسوا دوغيز » .
فاغتنم في المدينة وازعم الامبراطور على فك الحصار بعد قتال شرس استمر

سهرى . وبعد عامين تنازل شارل كان وخلفه ابنه فيليب الثاني زوج « ماري بورد » وهرجه الإنكليز على اجتياح فرنسا عبر الأراضي المنخفضة ، ومنها رحل إلى « سان كاتان » وكان يدافع عنها « كولوني » فانتصر الجرمان انتصاراً نهائياً ، وكان في وسعهم التوغل حتى باريس ، ولكنهم لم يفعلوا فكانت غلبة استراتيجيتهم انهم لم يستجمعوا قواهم . وبعد سنة واحدة على موقعة « سان كاتان » (١٥٥٨) هزم فرنسوا دوغيز الإنكليز أمام « كاليه » وانزعج منهم المدينة المأمنة . وغلب هذا الانتصار معاهدة « كاتو - كامبريزي » (١٥٥٩) التي اعطت لفرنسا بحدودها الطبيعية في الشرق ورددت إليها « كاليه » نهائياً .

الجيش الملكي . - وصف الكونت « رايون » ، وكان معاصراً لهيوي الثاني ، الجيش الملكي في منتصف القرن السادس عشر قال :

« اجتمع أمام مقر سنة ١٥٥٢ جيش عظيم ، فكان هناك من المشاة ثلاثة خيالي مربعة ، أولها يضم قدماء المحاربين الذين ابتلوا بلاء حشاً في « بيسون » و « شامبايه » و « بولوني » . وكان عدد رجال الفيلق ستة عشر ألفاً مسلحين بالسيف الطويل والقدارات والخناجر . وكان الفيلق الثاني يتألف من الفاسكونيين واجنات « الباسك » و « البروفانس » و « اوفرنه » ويضم اثني عشر ألف مقاتل . أما الثالث فكان يضم ثمانية آلاف للماني بقيادة الكونت « رانغروف » وكان الالمان مجهزين بأسلحة صنعت في بلادهم .

أما الخيالة فقد انتشرت على أجنحة فيلق المشاة وكان كل صف منها يضم ألف فارس وانباعهم من حملة الأقواس . أما الجياد فقد جي بها من تركيا وإسبانيا . وجعل الفرسان بأسلحة خفيفة منها السيف والرمح والناس ، وتدرعوا بدروع فولاذية رفيعة نسبياً . وكان عدد الخيالة الحقيقية براوح بين

ثلاثة وأربعة آلاف فارس .

« وعند وصول الملك حينه مدفعيته التي نصبت في الكروم بين الدوالي وكانت تألف من ست عشرة قطعة ، منها ستة مدافع طويلة المواسير ، وستة مدافع متوسطة ، وأربعة مدافع من طراز جديد ، وعلى الجبله أفضت في ذلك اليوم تمام مدينة متز كل العناصر التي تؤلف الجيش الفرنسي الدائم . »

٣ - الحروب الدينية . - هنري الرابع

انتشرت تعاليم « كالفان » في فرنسا واعتنق المذهب الجديد كثير من المفكرين والزعماء وسواد الشعب ، فادى التنافس بين المذهب الجديد والمذهب القديم اى الكاثوليكي الى انقسام الملكة على نفسها . فقام فيها حزبان بل معكران . فترغم فرنسا دوغيز ، وكان قد بلغ قمة الجهد ، المعسكر الكاثوليكي ، وترغم « انطوان دو بوربون » والقائدان « كونه » و « توليني » المعسكر البروتستنتي .

آخر ملوك آل فالوا . - في عهد فرنسوا الثاني الذي لم يعمر ملكه سوى بضعة عشر شهراً كان الدوق دوغيز عم ماري ستيوارت صاحب الامر النهي في فرنسا فقمع بقسوة مؤامرة « امبواز » ، وكان البروتستنت في حيلة مذبوحة .

وبعد وفاة الملك تولت كاترين دوميسيس الوصاية على العرش ، معتمدة على الوزير « دولويتال » الذي نهج سياسة معسدة ازاء البروتستنت ، فانضبط بعد هذا السلطة الملكية ومهد لوصول شارل التاسع الى العرش .

وفي سنة ١٥٦٢ بدأت الحروب الدينية ووجد كلا الفريقين حلفاء له في الخارج . فد فليب الثاني الاسباني يد المساعدة الى الكاثوليك ، ووعدت

البيانات ملكة انكلترا البروتستنت بشد ازعم لقاء وضعهم مبنائي الحافز
وكالية تحت تصرفها كصفحة .

وقد تخلصت السنوات الثماني التي انقضت بين ١٥٦٢ و ١٥٧٠ ثلاث حروب
دوية . وقتل الدوق دوغيز في اولها بعد انتصاره في معركة « درو » . وفي
الحرب الثالثة اخبر الكاثوليك انتصارين باهرين في موقعي « جازناك »
و « مونكوتور » بفضل براعة المارشال « دوتافان » .

وضعت براعة « سان جرمان » حداً للنزاع بينها البروتستنت اربع مدن
حصينة بأمنون في داخلها شر خصومهم الافوا . وقد اغضبت هذه التسوية
غلاة الكاثوليك فجاءوا البراءة الملكية واستمروا في اضطهاد اتباع المذهب
الجديد ، تشجيعهم كاثوليك دو ميسيس مرا .

وكان عهد شارل التاسع ، ثاني المجال كاثوليك وشقيق هنري الثاني ،
حافلاً . على قصره ، بالحوادث الدموية . فقد خضع الملك لوالدته خضوعاً اعمى
وجاءها في اضطهاد البروتستنت فكانت مذبحة « سان برتلي » المشهورة .

ونوفي شارل التاسع وما يقص على ارتقائه العرش ثلاث سنوات ، فظفقه
شقيق هنري الثالث . وكان يتربع على عرش بولونيا . فوجد البلاد في غلبان
وقد راد الثقة اتساعاً بين الكاثوليك واتباع « كالفان » قيام العصبة
الكاثوليكية برئاسة الدوق هنري دوغيز ، وكان ذا شعبة عظيمة . فحاول
الملك الجديد ان يوفق بين مصلحة البلاد وهي تقضي باصلاح ذات البين ،
وبين مصلحة البيت المالكة وهي تقضي بمسيرة الاغلبية . وكان ملك اسبانيا
يغذي الخلاف ويشجع « العصبة » على الامعان في اضطهاد البروتستنت ، فلفت
هنري دوغيز (الملك هنري الرابع فيما بعد) الملك هنري الثالث الى تدخل
الملوك الاجانب تحت ستار الدفاع عن الدين ، وناشته ان يضع حداً لنشاط

دوغيز وعصبة ، فانجاز هنري نهائياً الى جانب ملك النافار ، فطرده الباربيون من عاصمة ملكه ، قنار لنفسه يقتل هنري دوغيز وتحالف وهنري دونافار . ولكنه لم ينعم بالملك اذ اغتاله راهب متعصب .

هنري الرابع . - كان هنري الثالث آخر ملوك آل فالوا وبوته انتهى العرش الى هنري دونافار او هنري الرابع ، وكان برونسلياً ، فرفضت « العصبة » الاعتراف به ، وقاضيه العداة طيلة عشر سنين ، اضطر خلالها لان يفتح مملكته قسراً .

شكرت أغلبية الشعب الملك الجديد لانه برونسلي ، وشهدت في وجهه السلاح بدافع التعصب من جهة وبتهريض من الدول الكاثوليكية من جهة اخرى . وقد استعان كلا الفريقين بالأجانب ليظاهروا ضد خصمه . مضى هؤلاء يعمون في فرنسا الجريح طعناً ، وقد كانت مصالحهم في ان يقضوا على حيوبنها . وساعدهم الفرنسيون في هذا لان الملكية ، حانقة الوحدة ، فقدت نفوذها وضال شأنها بتضاؤل الشعور الوطني وامام موجة الدولة الدينية الطاغية .

كان هنري الرابع ذكياً ، مرناً ، واسع الحيلة . فادرك منذ اللحظة الاولى ان طريق العرش طويل وشاق فعمل على استمالة الشعب بالاصلاح والحزم . وخدمه الحظ ، فقام زراع بين الاسبانيين أعدائه الأقوياء وبين الانكليز حلفاء البرونسنت الفرنسيين وأعداء فرنسا التقليديين . فافاد هو من هذا النزاع كما افاد من ثورة البلاد المنخفضة على السلطة الاسبانية ، لان فيليب الثاني ملك اسبانيا سفل بالخرين عن مظاهرة الكاثوليك الفرنسيين ، فانهز هنري الفرصة وسدد الى العصبة ضربتين شديتين في موقعي « آرك » و « ابفري » ، ولكنه عجز عن دخول باريس رغم الجهود التي بذلها في سبيل اقتحامها طيلة ثلاث سنوات . وانجبراً افترق المذهب الكاثوليكي ، ففتحت له العاصمة ابوابها . ولما

اطمان الى مئاة الدعائم التي يقوم عليها العرش ، أعلن الحرب على ملك اسبانيا واستطاع ان يطرد الجيوش الاجنبية خارج فرنسا .

وفي العام ١٥٩٨ أصدر الملك براءة « نانت » وعقد صلح « فرغان » فبعت بها الوحدة الفرنسية . وكانت العرامة اول وثيقة اوروبية اعترفت للاقلية الدينية بحرية العبادة .

انشاء الكراديس . - تمكنت عرى الجيش في الحروب الدينية وفقدت فرنسا زهرة خيائها . ورغم هذا لم يكن ذلك العهد عهد الخطا من الوجهة العسكرية . فقد حفل بالآتي البطولية وبالابتكارات . وفيه خطت فرنسا اوسع الخطى نحو انشاء الكردوس .

كان انشاء هذه الوحدة العسكرية نتيجة الفراغ العظيم الذي أحدثته الحروب في صفوف القوات النظامية . فقد حاول دوغيز ان يلم شتات كتائب بيكارديا ، وبيسون ، ليواجه بها اتباع المذهب الجديد ، فلم يلبث القضاء سوى ثمانية آلاف رجل من غالبية عشر الفأ ، فاططر دوغيز لان يعد تنظيم هذه القوات على اساس الكردوس ، فاسجأ بها على منوال الاسبانيين والاسبوسيين والبروتستنت الفرنسيين ، وجعل قوام الكردوس الواحد ثلاثة آلاف رجل .

بلغ عدد الكراديس في عهد شارل التاسع ثمة ، واطلق عليها اسم « الحرس الفرنسي » . وطراً تحول اساسي على نظام القيادة . ففي العهود السابقة كانت الوحدة العسكرية الكبرى تعمل في الحرب تحت امره قائد لم نعرفه في السلم ولا ثبت ان تتصل عنه حالاً تنتهي الحملة . فضاء التنظيم الجديد يضع الكردوس في السلم والحرب تحت امره قائد واحد ، يعرفه رجاله واحداً واحداً كما يعرف اختصاص كل منهم .

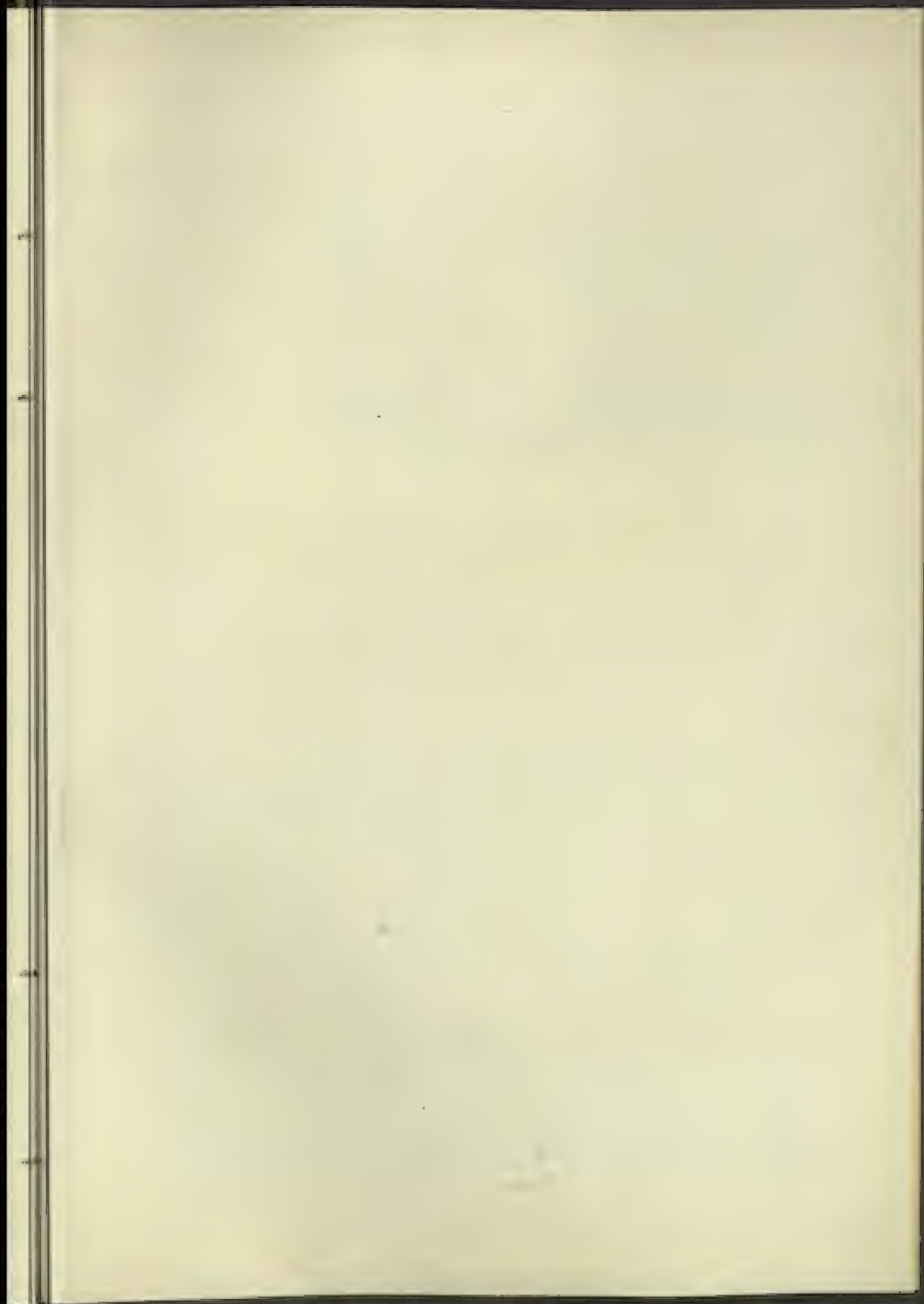
ولاح التنظيم على اساس الكردوس لقائد ان يستخدم نفوذه الشخصي في

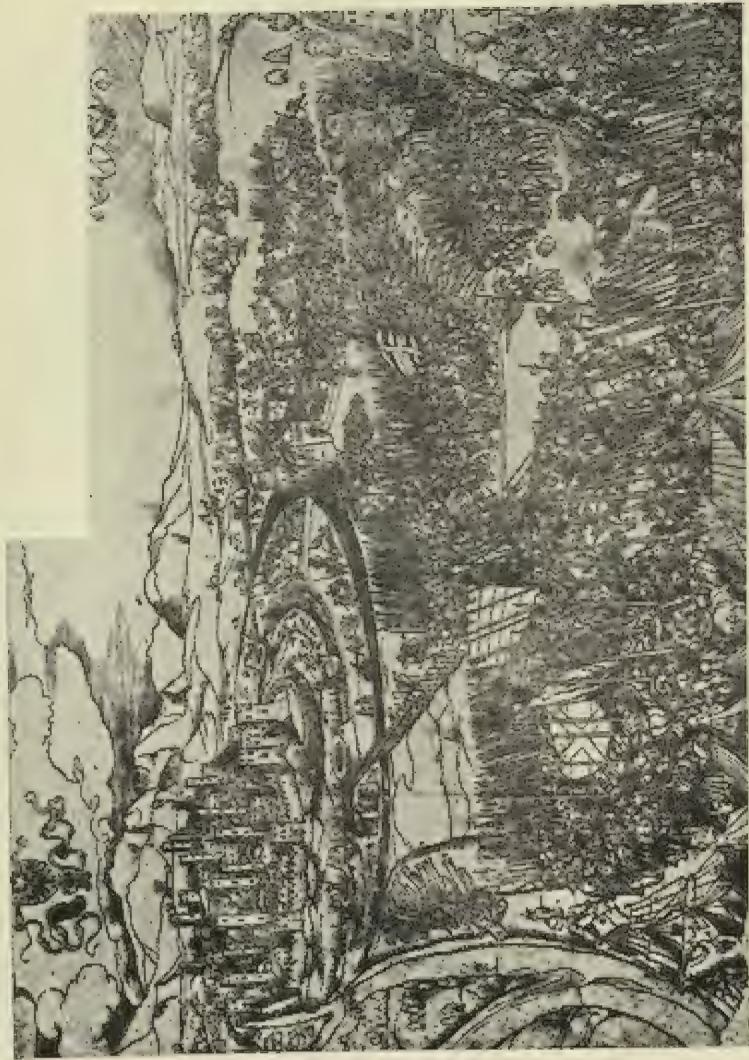


الملك لويس الثاني عشر
 يترك قلعة «است» في
 طريقه الى تسليجنوي.
 (تفصيلاً عن مخطوطة
 معاصرة.)

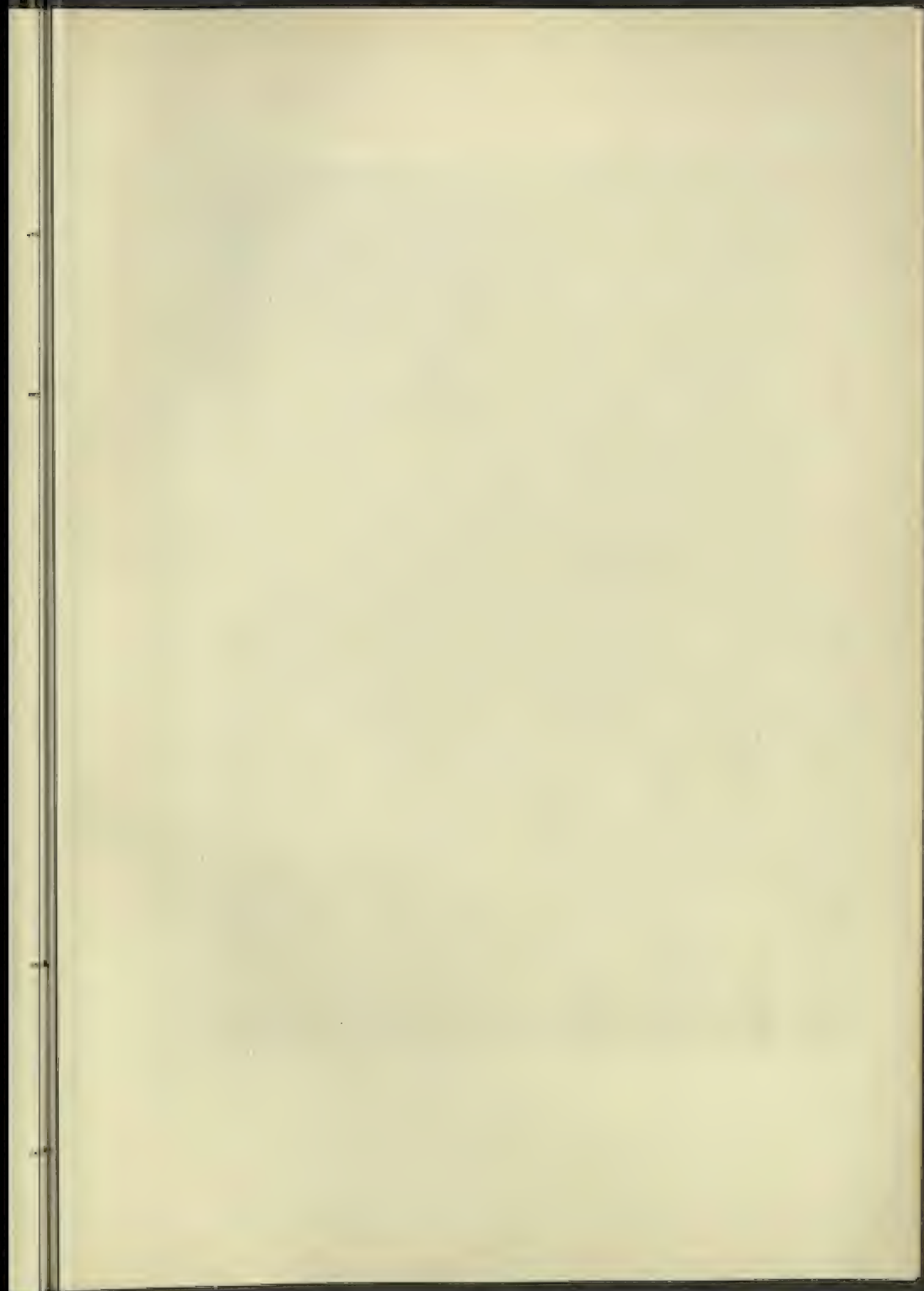


شارل الجسور



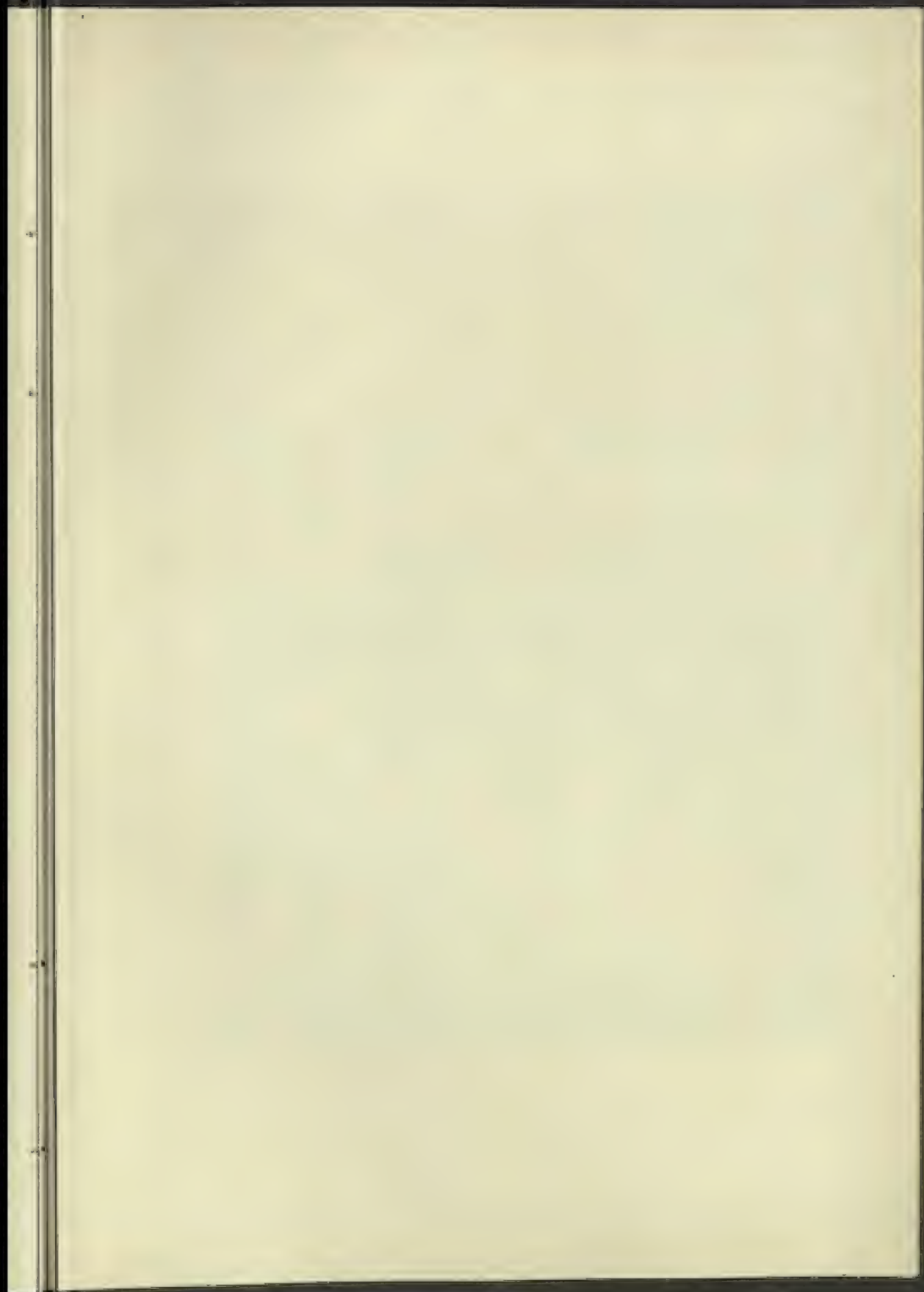


معركة باني ، وهي من أريته مصور الماني في القرن السادس عشر .





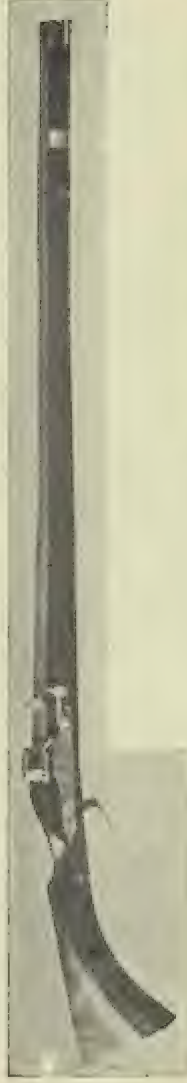
ابتداء الهجوم في معركة ودربر

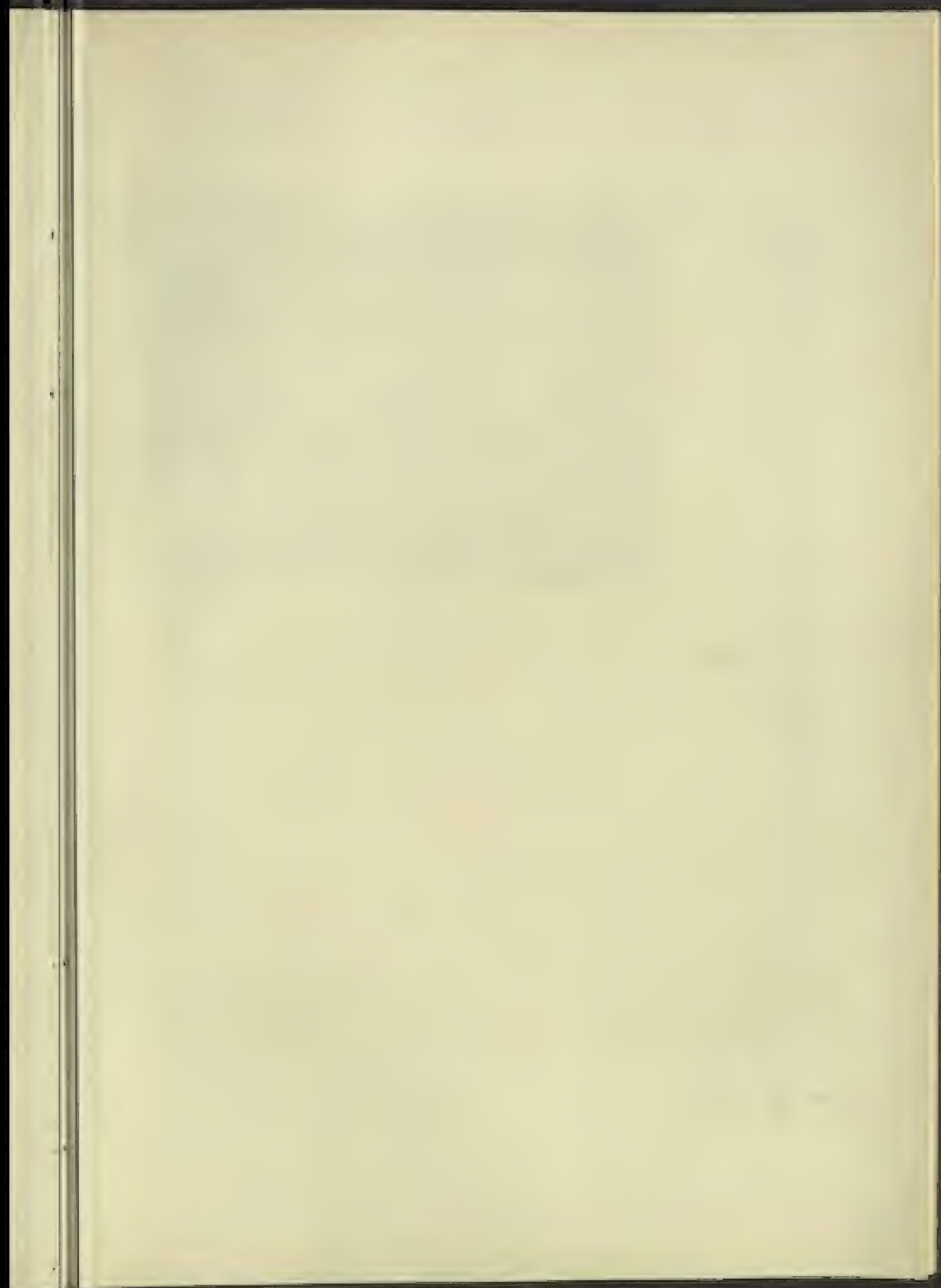




صوري الرابع

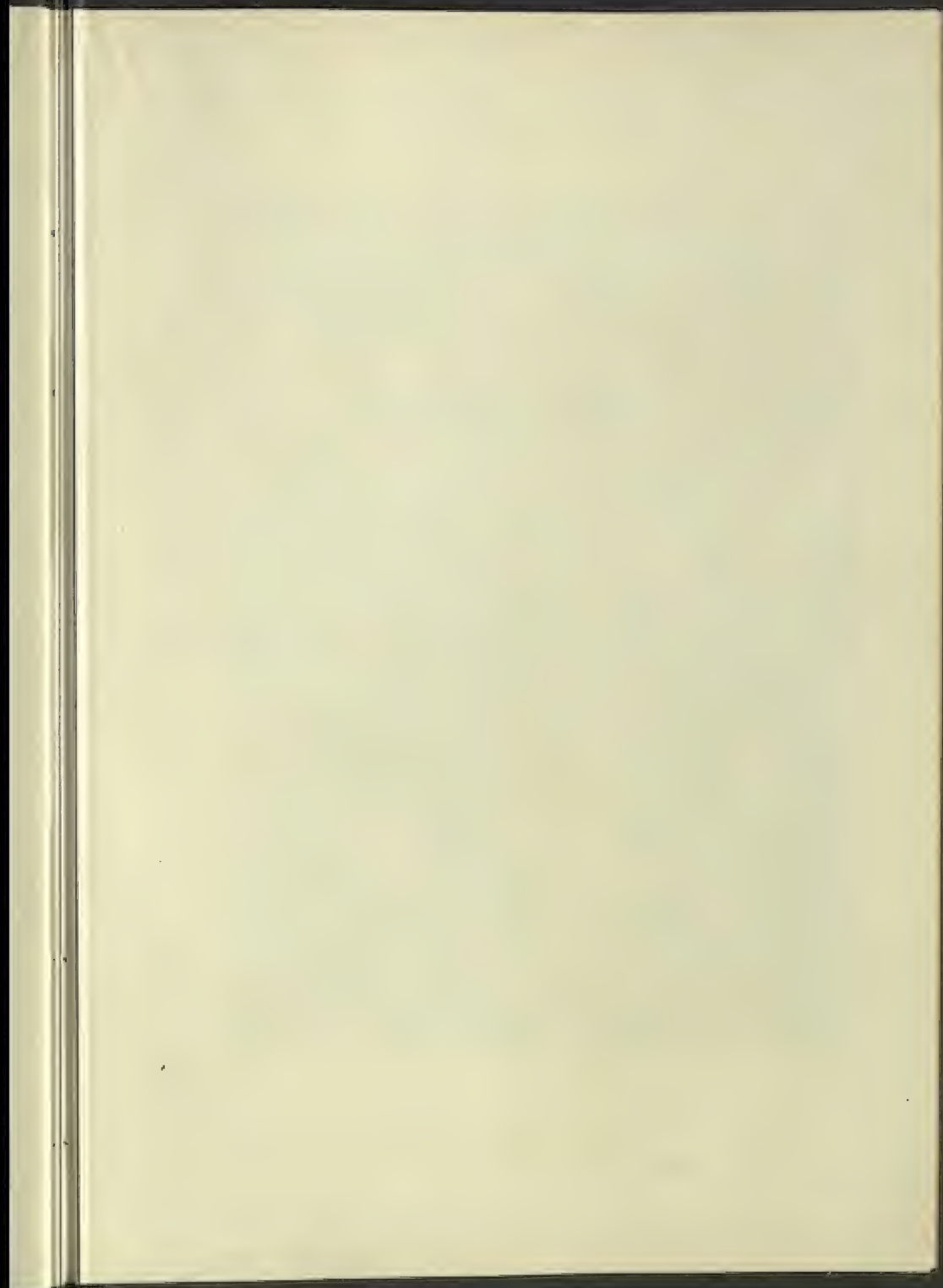
بندقية ذات قنبل







بجيش يزحف وقد اخذت كل فرقة مكانها من الصفوف .

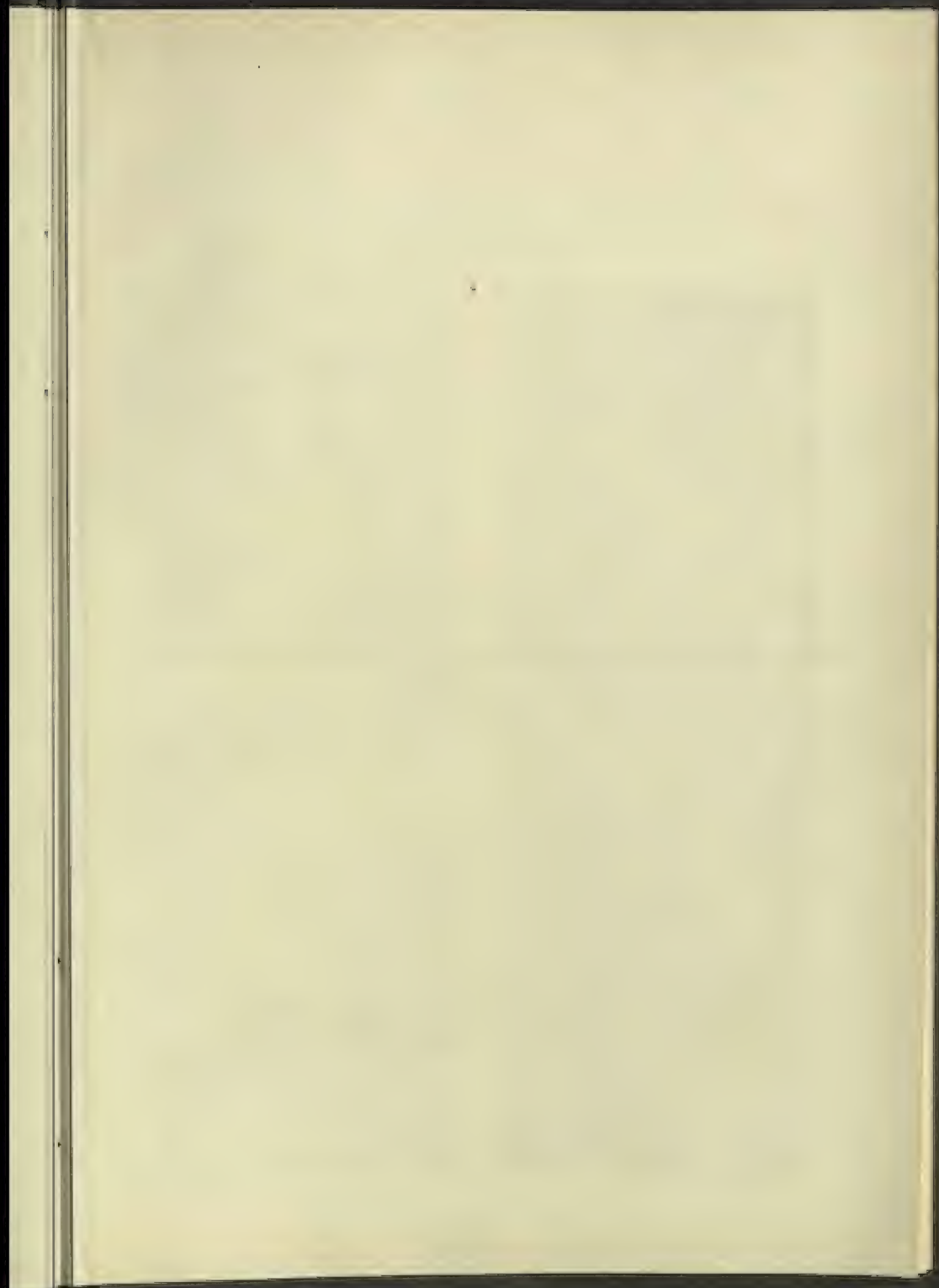


المراحل التي يمر فيها
استعمال البندقية ذات
القتيل . (من الشمال
الى اليمين) .



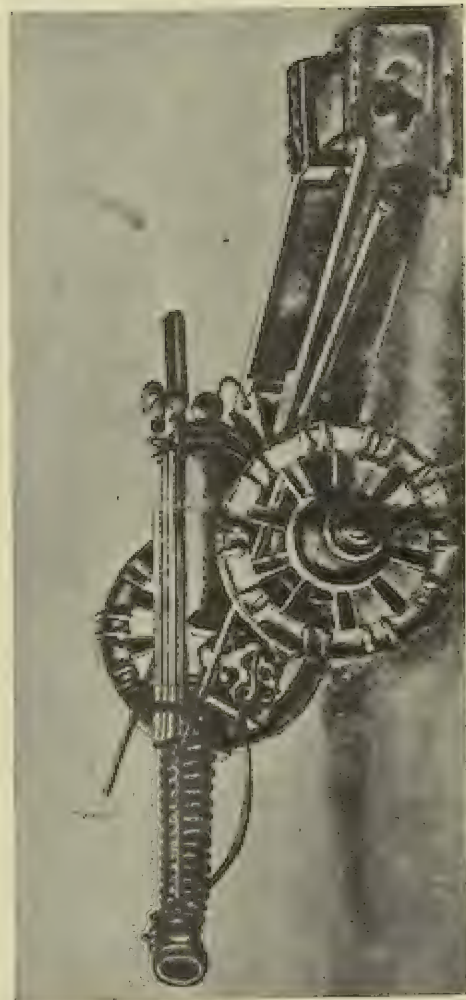
اعطام بين الفرنسيان .



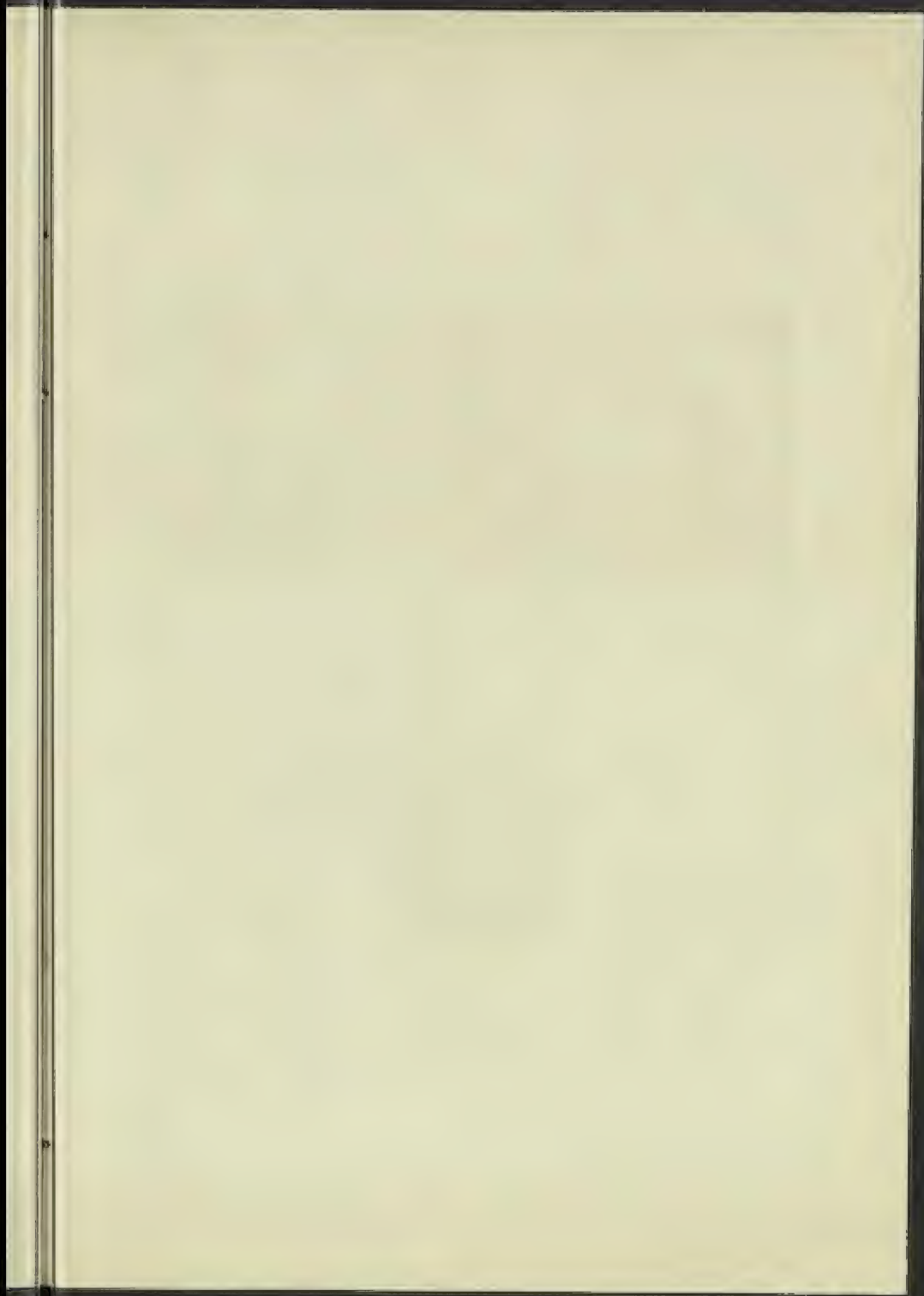




بندقية من عصر لويس الرابع عشر



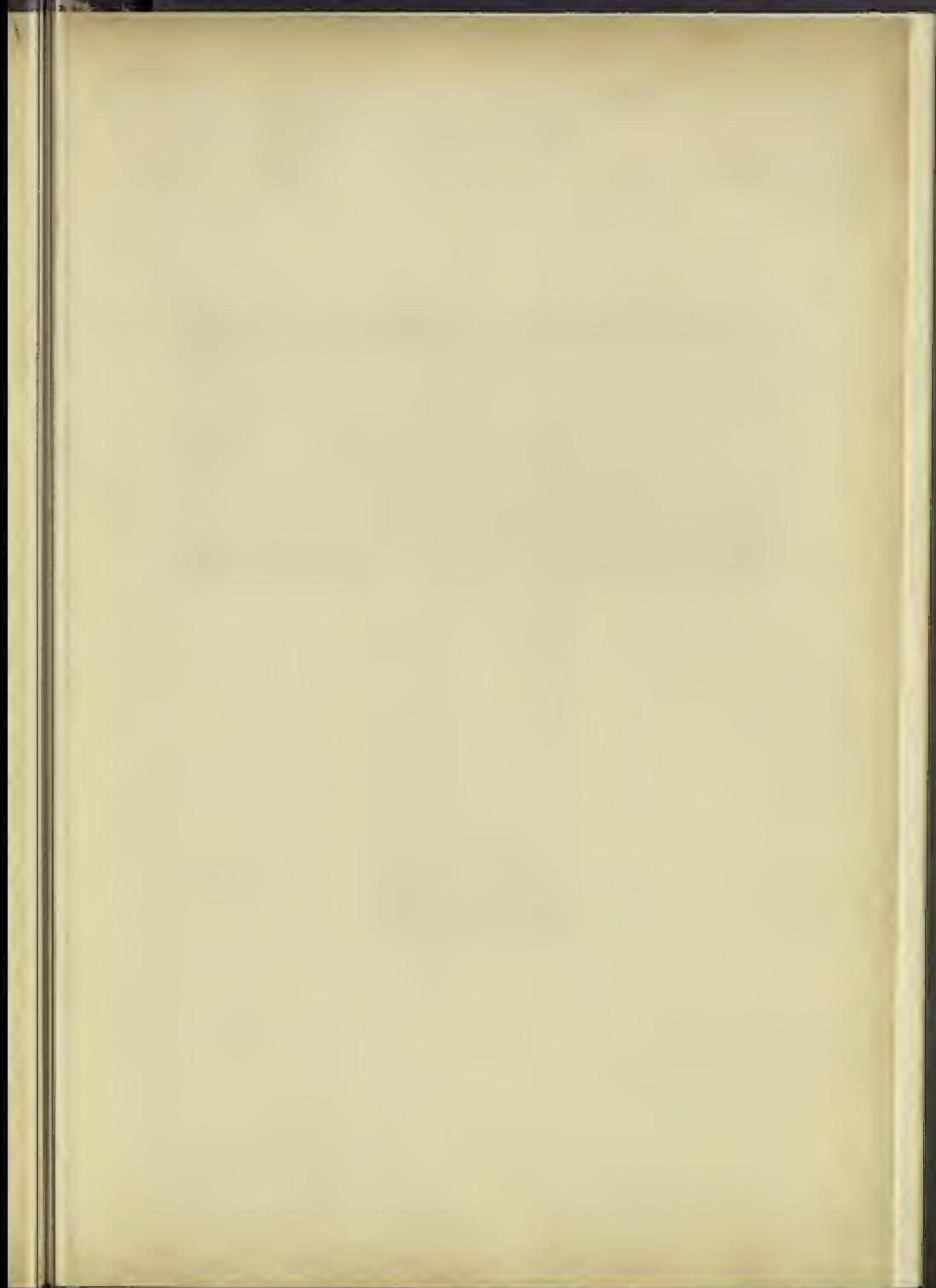
مدفع مجهز بجميع ممتلكاته ووزنه ٨٤٢٠ رطلا .





الى جانب : خودنات من
جديد عادي .

فوق : خودنات من جديد
مخمراتان و منهبستان .



تأمين الصحة والانسجام في وحدته . أما هذا النوع فكان يستمد من أعمال بطولية تصدر عنه في الحرب ومن تدابير موفقة يتخذها في السلم . ومن هنا نشأ ما يسمى العسكريون « روح الصلابة » أي التنافس بين الكراديس على تحدي الخطر وإحراز الانتصار .

أما الحالة الفرنسية فقد ظلت معزلة عن الإصلاح والتنظيم ومثلها المدفعية .

٥ - انتهى في أواخر القرن السادس عشر

السلاح . - قلبت الأسلحة التارية قواعد التكبيك رأساً على عقب . ولكن الفرنسيين ترددوا بعض الوقت في استعمال المدفعية ذات القنبل . وكانت حجبتهم أن هذا السلاح الذي يقتل من مسافة طويلة لا يشرف الإنسان وينزل الشجاع إلى مستوى الجبان . وقد هدد القائد بابلر مستحق كل من يحمل سلاحاً قارباً . أما الحواري فعلموا على المدفعية ثقلها واستحالة استعمالها في الأيام المظلمة .

الآلة التي اتبع للفرنسيين أن بنينوا أهمية السلاح الجديد في الحملات الإيطالية وفي أثناء حروبهم الدفاعية ضد الألمان والإسبانيين ، واعتمدوا المدفعية سلاحاً رئيسياً في حرب الكمين وفي مهاجمة القلاع والحصون . ولم يصر طويلاً حتى عم استعمال البنادق القصيرة (غراينيه) وهي ذات قندق (عسكار) . وكانت ثقيلة عند ظهورها ثم خفف وزنها تدريجياً وحل الكبسول محل القنبل وضعف مدى القذيفة وأصبحت قوة اختراقها ضعيفة . وكانت دقة الرصاصة أربعين غراماً ومدى انطلاقها أربعة مئة متر .

وبظهور المدفعية برزت أهمية المدفع ، يعني الملك لويس الحادي عشر بزيادة مدى المدفعية الفرنسية . وفي عهده حلت القذيفة المعدنية محل القذيفة الحجرية . وظهرت المدافع البرونزية في عهد شارل الثامن . وقد جهز حملته على إيطاليا

الجيش الفرنسي

بنة وأربعين مدفعاً برونزياً منها أربعون قطعة من النوع المعروف باسم «الاقصى» وهو من عيار متوسط ، ولكنه بعيد المدى نسبياً . أما لويس الثاني عشر وفرنسوا الاول فقد جهزا الجيش بدافع خفيفة تدار بسهولة . غير ان تفوق مدفعية الالمان الثقيلة حمل هنري الثاني على مهر قواته بدافع من كل وزن وعيار .

وفي مطلع القرن السادس عشر قام في فرنسا أربعة عشر مصنفاً لانتاج البارود والمدافع والقذائف . وفي الثلث الثاني من القرن المذكور عهد بالدولة سلاح المدفعية الى ارباب الاختصاص . وتطور فن الرماية تطوراً نوعياً به «مونتوك» في وصفه حصار «سبيج» قال : «بدأت مدفعية الجرمان تصب حمها على قاعدة السور منبهة ما كان العدو يحسبه نقطة الضعف ، على امل ان ينفار الجدار . ولما انقضى نصف النهار على غير طائل شرعت المدفعية تصوب قنابلها الى وسط السور . وما عنت حتى هضمت فيه عدة لغرات . » التكبيك . ظل التوج ، حتى موقعة «بالي» ، يؤلف وحدة القتال ، وكان قوامه ستة آلاف رجل يسيرون الى لقاء العدو في مجموعة واحدة متقدمين بقواعد معينة . وعند نشوب المعركة تنف القوات الرئيسية في مكانها وينشر الرماة بالبنادق مؤلفين الطليعة والجناحين . فلما تطور القتال نحو الالتحام انسحب الرماة قاصدين المجال امام الرماحين وحملة الخراب .

في «بالي» اعتمد المشاة الاسبانيون بقيادة الماركيز «دوبسكو» تكبيكاً اشاع الارتباك في صفوف الحباله الفرنسية . فقد انتشر دفعة واحدة الف وخمسة رجل من حمه البنادق وراحوا يتاورون ضد قلب الحباله الفرنسية وجناحيها بخفة ورشاقة ، غير متقدمين بالقواعد المدرسية التي تحدد من النشاط الشخصي ، ويجعل من البلود آلات طليعة بيد القائد .

وعندما كانت باقي الخطوة الأولى نحو الغاء تشكيل قديم يقضي بأن يقاتل المشاة مجموعة متوافقة ، الكف على الكف . وأدرك الخبراء الفرنسيون على ضوء تلك الموقعة ان اللصة الحقيقية لا تقوم على التكتل المادي في ميدان المعركة ، انما تقوم على فهم الجنود المهمة المشتركة المتوقعة بهم ، وعلى تفهم سلاحهم . وقد جرب الفرنسيون هذا التشكيل في موقعة « سبوزول » ، عند القائد « مولوك » على رأس قائمة رجل زهاء أربع ساعات في وجه سبعة آلاف ايطالي . ويقول المؤرخون المعاصرون ان « مولوك » استطاع اثبات أن قواته حملت متقوفة ، تكر هذا وتكر هناك ، وتشن حملات موقعة على نقاط الضعف في صفوف العدو .

وفي الحروب الدينية عمل القادة : « كولبي » و « كوند » و « ناسو » على تصغير وحدات القتال ، ليسنى لها الانتشار بسرعة وانقاذ لحيات العدو . وقد استبدلوا من المربعات العادية مربعات مستطيلة يضم الواحد منها عشرة صفوف .

وفي أوائل النصف الثاني من القرن السادس عشر بدأت الحياة تنحصر الى تشكيل الاندفاع في صفوف محيطة على اساس الكوكبة كشوعدة قتال . وقد سبق الامان الى تسليح حياتهم بالبنادق فكان الصف الاول يتقدم فيطلق النار ثم يتقهقر بسرعة فاسحا المجال امام الصفوف التالية ليؤلف هو المؤخرة . وقد سبقت هذه الحركة « الدورة » ، لان الفارس كان يدور بفروسه ليؤم مكانه من المؤخرة . واضطرت الحياة الفرنسية هذا التشكيل واستبدلت من الرماح والتصال الاسلحة الثابتة ابان الحروب الدينية .

وتطورت العدة الدفاعية تبعاً لتطور السلاح الناري . فمع استعمال الدروع وحدات المشاة والحياة ، وضوعفت حداثة الدرع فوجدت المطايا تحت ثقلها

وفقدت الحياة الحقة المرونة التي كانت تسيل بها .
 اما وضع الجيوش في ميدان المعركة فقد ظل هو اياه : وحدات القتال في
 الوسط بينها جناحان وقوات احتياطية متوارية خلف مرتفع او في غابة .
 اما المدفعية فتركز على الخط او وراء الجناحين مباشرة . ففي موقعة
 « كوتراس » نصب ملك النافار مدافعه على هضبة عالية وحشد خلف الهضبة
 بضعة ألوية من المشاة وثلاث كتائب من الفرسان . وكان يغطي ميسرته حوز
 « بالار » . اما الميسرة فكان يحاذيها خندق كمن فيه خط من الرماة بالبنادق .
 ذكر المؤرخون ان الجيش البرونستي في هذه الموقعة كان معادلا للجيش
 الكاثوليكي بقيادة الدوق « دو جوايوز » . فتحت مدافع البرونست النار واولا
 هزمت مدفعية الكاثوليك من مراكز مكشوفة ، فارشحت الومفات العدو الى
 مواقعها ولم يطل به الامر حتى اخرستها مدافعه . ولما تضايق جيش
 « دو جوايوز » من نيران البرونست حمل على هؤلاء حملة قوية فهدا
 المجهوم بداية حصة شجعت الدوق على ازالة احتياطه الى الساحة ، فوجه
 بتدخل القوات التي كانت تتوارى وراء الهضبة ضد ميسرة جيشه وبخروج
 الرماة بالبنادق من مكانهم للانقضاض على ميسرته . وقبل ان يتدارك
 « دو جوايوز » الموقف انقض عليه الجيش البرونستي وسحق قواته سحقاً في
 موقعة لم تسر اكثر من ساعة ، قتل خلالها ثلاثة آلاف جندي كاثوليكي .
 وقد اجتمع المؤرخون على ان ملك النافار كسب الموقعة بدموية نصيب
 في الموقع المناسب وبمعرفة التامة الارض واستخدامه ايها استخداماً بارعاً .
 سياسة واستراتيجية . — سارت الاستراتيجية والقضايا السياسية جنباً الى
 جنب . ففي القرن الخامس عشر كانت هذه الوحدة الفرنسية خصوم دوز
 مطامع رنكرة على حقوق اقطاعية . وكانت لهم في فرنسا نفسها ممتلكات

وفواعده . أما حروب القرن السادس عشر فقد وضعت فرنسا امام اخطار خارجية ، فبنت تدافع عن حدودها باذلة المجهود الأكبر ضد العدو الأقوى . وتأزوت الاستراتيجية والسياسة لحل هذه المعضلة الكبرى ، وهي النضال ضد الخمرانية .

تميز في الحروب التي خاضت فرنسا غمراؤها في القرن السادس عشر قادة عظام امثال « غاستون دو فوا » ، « لابلانس » ، « كوليني » ، « تاغان » ، « دوجر » ، « برساك » ، « دولانو » ، « بيار » .

قال المؤرخ « برانتوم » يصف بيار : « كان كبار القادة يتنازعون بيار لان الحملة التي يشترك فيها هذا البطل هي حملة ناجحة . كان بيار محارباً شجاعاً واسع الحيلة ، وقد تجسست فيه سجايا الفارس الفرنسي : الاخلاص والصدق والشجاعة والكرم . كان له في موقعة « مارينيان » شرف تكريس ملكه فارساً . »

روصف « برانتوم » القائد « مونلوك » قال : « كان فظاً ، ظاعماً ، مسكاً ، ولكنه كان بطلاً جديداً . التحق وهو دون الثامنة عشرة بمرتبة الرماة التي كان يفوقها الملازم « بيار » . وبعد خمس سنوات اشترك في الحملة الإيطالية وجرح بها ثلاث مرات فرقي الى دنية رئيس . وبعد موقعة « ميروزول » عين قائد اقليم واشترك في معظم المعارك التي تخللت النصف الاول من القرن السادس عشر . وقد جرح « مونلوك » وهو في الواحدة والسبعين من سنه وبعد سنتين سمى مارشال فرنسا . »

يقول مؤرخو العصر ان الملك هنري الرابع كان قائداً متفوقاً واستراتيجياً من الطراز الاول . عاب عليه « فارنيز » حماسته واندفاعه الجنونيين في موقعة « ايفري » ووردها الى قصر نظره ، ولكن تكتيكه في موقعة « كوتراس »

أظهر بجلاء مواهبه الفنية ، كما أظهرت مواهبه السياسية مرونته في معالجة الأزمات
الداخلية وقوله للذين غابوا عليه اعتناقه المذهب الكاثوليكي : « ان بلويس
تساوي قداساً ! »

الفصل الخامس

جورج المهر الذهبي

١ - لويس الثالث عشر ورشيليو

ظل آل هابسبورغ (البيت النمساوي المالك) حتى مطلع القرن السابع عشر بطموحات الى التوسع على حساب جيرانهم ، متأثرين في هذا خطى الامبراطور شارلكان . وقد وضع هنري الرابع نصب عينيه الوفوف في وجه هذا التوسع ومنع آل هابسبورغ من التوسكز على الضفة اليسرى لنهر الرين . وبعد وفاته شغلت المشاكل الداخلية خلفه عن متابعة هذه السياسة . ولكن لما ان تم لورشيليو القضاء على « اعداء الطبائفة العامة » حتى قام بسعى الى جعل الرين سدا متيعاً في طريق الجرمانية ، وبسط حدود فرنسا بحيث تعود اليها الاراضي التي كانت تؤلف قديماً بلاد الغول .

ولم يفت ريشليو ، وهو رجل الدولة العظيم ، ان مشروعاً كهذا يقتضي تحقيقه ان يكون لدى فرنسا جيش قوي ، وان هذا الجيش لا تقوم له فائقة الا اذا احسن تنظيمه وتدريبه وقيادته . وقد سجل التاريخ الفرنسي للكردينال الوزير جهوداً عثرون عاماً في هذا السيل ، كما سجل جهود الكردينال مازارلان وازر لويس الرابع عشر والوزيرين « له تيليه » و « لوقوا » .

وانصف التاريخ الملك لويس الثالث عشر فذكر انه شجع جهود ريشليو

وساندها . وبفضل هذا التأييد تمكن الكورديال من القضاء على الفتنة الدينية ، ومن اخضاع النبلاء الذين حاولوا بعث النظام الاقطاعي وازعاج سلطة الملك . وفي الخارج كانت حرب الثلاثين سنة شغل اوروبا الشاغل . فقد ازاحت فتوحات آل هابسبورغ الستار عن نياتهم ومطامعهم . بيد ان التدخل الفرنسي ضد الامبراطور فردريان ظل مقصوراً على العمل الدبلوماسي حتى العام ١٦٣٣ . ففي العام المذكور رفض ريشليو بدء من المشاكل الداخلية واحتل « ناني » و « اللورين » ، وعقد محادثات مع « دوق ساكس » وامارات الشمال ، وحل اسودج على التنازل لفرنسا عن المواقع التي كانت لها في الاراس .

وبعد ان اطمان ريشليو الى مركز فرنسا السياسي والاستراتيجي ، أعلن الحرب سنة ١٦٣٥ على النمسا المهزومة واسبانيا المنهزمة . على ان اضطراب الجيش الفرنسي للقتال في الاراضي المنخفضة والمانيا واسبانيا ، مضافاً الى المجهود البحري الذي قامت به فرنسا لتأييد هولندا ضد الاساطيل الانكليزية والاسبانية . لم ينجح ريشليو ان يختار جبهة رئيسية يجعلها ميداناً للعمل الحاسم . وقد بدأت الحرب بداية سبعة فترات الاعداء . باريس ، ولعسكن الفرنسيين استجمعوا قواهم وردوا الاسبانيين عن ابواب العاصمة ، واستردوا بناتهم وصمودهم المناطق المفقودة .

موقعة « روكروا » . - في اوائل سنة ١٦٤٣ احتشد جيشان فرنسيان على الحدود الشمالية لمواجهة مجموعة الجيوش المعادية بقيادة « دون فرانسيسكو دو ميلو » التي كانت تهدد « روكروا » و « لاندريسي » و « اراس » . احتشد الجيش الفرنسي الاول على الضفة نهر « السوم » وكان بقيادة « لويس دو بوربون » ، دوق الهيجان (الامير كوندé فيما بعد) ، وقد اتخذ الدوق

من المارشال « دو لويستال » مستشاراً عسكرياً . وعسكر الجيش الآخر في وادي نهر « الواز » بقيادة « دو برونان » . وفي منتصف ايلول حشد دوق النجيان قواته حول « اميان » وكانت تلتهم حماسة وادفاعاً ، ولكنها كانت عديمة التنظيم . فبذل فائدها يعاونه « ميرو » و « غاسيون » مجهوداً جباراً في سبيل القضاء على الفوضى قبل نشوب القتال .

كانت خطة « دوميلو » ترمي الى احتلال « روكروا » قبل وصول الفرنسيين . وفي ١٦ ايار انتهى الى دوق النجيان نعي الملك فعرض جيشه في اليوم التالي امام مدينة « فرغان » ، وكان هذا الجيش يضم خمسة عشر الف راجل وستة آلاف فارس ، فهتفوا له معربين عن حنينهم الى القتال . ولكن المارشال « دو لويستال » أصبح بالتعب فضرب الدوق بالصبح عرض الحائط وشافه ان يهاجم . الملك الجديد يعمل عسكري باهر .

اجتاز الجنرال « غاسيون » بسرعة المرتفع الذي كان يقوم بين الحصنين مغطياً هذه الحركة القوات الرئيسية التي عبرت بدورها النهر لتنتشر قبيل الغروب امام العدو على جبهة طولها كباومتوان ونصف الكيلومتر . وقد عهد الدوق الى « دو برونان » بقيادة القلب ، وكان يضم خمسة عشر فوجاً ، والى « ميرو » بقيادة الاضياط الذي تجمع وراء القلب وكان يضم ثلاثة افواج من المشاة وحمل كنان من الفرسان . اما الجناحان فكانا يتألفان من الحباله فوجعت القيمة تحت قيادة « غاسيون » والمبصرة تحت قيادة المارشال « دولويستال » والجنرال « لاهيرون » .

وانتشر الاسبانين في الجبهة المقابلة على النحو الآتي : احتشدت الحباله مؤلفة الجناحين بقيادة « البركرك » و « الزنبورغ » وشغل القلب ثلاثة كراديس من المشاة ، يضم كل منها ثلاثة صفوف لا فاصل بينها ، واحتفظ الاضياط

وراء القلب .

أرضى الليل سدوله قبل الشروع في القتال ، فاستولى « غاسيون » على
 فجر اليوم التالي على غاب بفصل بين الجائلين . ثم حمل على مبصرة حصن
 حقل قوية اشاعت الفوضى والارتباك في صفوفه . ولكن حدث في الوقت نفسه
 ان كبرت مبينة العدو كوة قوية على المبصرة الفرنسية التي هاجمها فارغمها
 على الانكفاء كاشفة المشاة ، فانقض عليها فرسان « إيزبورغ » وغنموا بضعة
 مدافع . الا ان لواء « الليمون » استطاع كبح جماح الجالة المعادية ، وبالوغم
 من هذا خيل الى القائد غاليج مساعد « دوروبان » ان الموقف خرج فأم
 فواته بالتفكير ، ووافق دوروبان على هذا التغيير .

كان دوق انجيان رقب سير الحركة والى جانبه ضباط اركان حربه ،
 فتمسحوا له بوقف دفعة المبينة لينجدها بمبسنه المهددة . فلم يفعل ، بل التحق
 بـ « غاسيون » وقاد الجالة حتى آخر خط من خطوط العدو ، ثم ارتد على
 الاحتياط وكان يتألف من الالمان ، فبعثر صفوفه وراح يهتد مؤخرات جباله
 إيزبورغ ، فاضطر هذا لوقف هجومه ومواجهة الخطر الجديد . وبعد قتال
 عنيف شقت خيالة غاسيون طريقها وسط صفوف الجالة الاسبانية بعد ان
 استردت المدافع المضربة ، وانضمت الى المشاة الذين كان « سيرو » قد اعاد
 النظام الى صفوفهم . حصل المشاة الاسبانيون والالمان حملة قوية فودتهم
 المدفعية الفرنسية على اعتقالهم ثم انقضت الجباله على العدو قبل ان ينسجم
 قواه المسترة ، فقتلت منه خلقاً كثيراً ولم يمت سبعة آلاف رجل وغنمت
 متي راية . وكان الكونت « دو فونتين » قائد المشاة في الجيش الاسباني في
 عداد القتلى .

ومع ان انصار روكروا أحرز بعد موت بريشليو بضعة أشهر ، فاجتمع عليه

أن الفضل في احرازه يعود الى الإصلاح العسكري العظيم الذي تحقّق في عهد الجيش في عهد لويس الثالث عشر ورشيليو . - ثمّ الملك لويس الثالث عشر خطى ابيه هوري الرابع في السياسة والحرب . فواصل سياسة التطهير في الداخل والتوسع في الخارج . وعي بالجيش حملة منفصلاً . لانه لصق بالخدمة منذ عوامة الظفارة والى جوار الثكنات ، فثب على حب ما كان يسمى بحق « ساج الملكة » .

وقد ذكر المؤرخون المعاصرون ان لويس الثالث عشر كان يعنى بالكيفية والصغيرة من شؤون الجيش ويقضي ساعات الفراغ بين رجال كودوس الحرس الخاص فيدرهم وبوأكلهم ويسر وايامهم . وباله يعود الفضل في إنشاء وحدات الكتيك واقتباس قواعد المتاوره المولندية ، وفي استبدال البندقية القصيرة ذات القنفذ من البندقية الطويلة ذات القنبل . وفي عهده بذلت محاولات جدية لتوحيد البوة العسكرية ، وانتشت الكراديس السوداء لتسج على منوالها - اتر القطعات ، وارتفع عدد الكراديس الاقلية من ستة الى اثني عشر .

ولا ينكر اتر الوزير رشيليو في كل هذا . تسلم الكاردينال زمام الحكم وهو دون التاسعة والثلاثين فوضع نشاطه ودكاهه في خدمة مولاه والوطن ولكن وفرة المشاريع التي اخذ تحقيقها على عاتقه لم تنع له الوقت السكافي لاعادة تنظيم الجيش تنظيمًا اساسياً . ومع هذا كان نصب هدفه للمؤسسة الوطنية من نشاطه الاصلاحى كبيراً الى حد .

قبل رشيليو كان الوزير الاول في البلاط وامين سر الحرية او وزيرها يتنازعان الصلاحيات فوضع الكاردينال حداً لتجاوز الوزير الاول على ما يخرج من دائرة اختصاصه وصلاحيته . وعني في الوقت نفسه باختيار وزراء الحرية بين رجال الحرب ، واناح لهم وسائل العمل النظم ، وانشأ مكاتب

الحرب ، وعين لدى الجيش موظفين اداريين مهمتهم تأمين اعاشة الجنود ودفع مرتباتهم .

وعمل ريشليو على تعزيز السلطة المركزية ، فاصبح قادة الكراديس مسؤولين ازاء امير الجيش عن النظام في وحداتهم ، وصار القائد العام (اي امير الجيش) يتلقى التعليلات من وزير الحربية . وبفضل هذا التنظيم قام نوع من التنافس بين القادة على رفع مستوى كراديسهم اجلاباً لرضا القائد العام وخوفاً من العقاب .

وفي عهد لويس الثالث عشر كان الجيش الفرنسي يضم ربع مليون رجل . وقد ادرك الكورديال ريشليو على ضوء الحملات الاولى ان لا تفي فرنسا عن المؤونة من المحارير الاجانب ، فاستقدم الوف الرماة والفرسان من سويسرا وهولندا واسكوتلندا وارلندا وبولونيا .

وبعد عهدة « البعوضة » (١٦٣٥) صار الجيش الملكي يضم قاتين كرومياً من الجبال الاجنبية ، فضلاً عن جيش « وبار » الذي اشتره ريشليو من الدوق « برن دوساكس وبار » بموجب عقد بضع في خدمة ملك فرنسا سنة ١٦٣٧ فارس والتي عشر الف راجل كامل عدتهم ، بقيادة الدوق نفسه لقاء مبلغ اربعة ملايين ليوة ذهبية بتقاضاها الدوق سنوياً .

وبعد وفاة الدوق (١٦٣٩) تولى قيادة جيش « وبار » المارشال « دوغويون » ثم بولاها « بورين » . وفي سنة ١٦٤٧ غرقت الكراديس الويغارية فقسم القائد الفرنسي الكبير هذه الحركة وانشأ بدمج كراديس الفرنسيان في الجالة الفرنسية .

٢ - حادثة لويس الرابع عشر - مازاران وريشليو .

كان على الكورديال مازاران الذي خلف ريشليو في الحكم ان يبرم ما

بدأه سلفه العظيم . وفي عهده وضعت حرب الثلاثين السنة أوزارها ، واندمت بزوان الحرب الاهلية ، ونشب نزاع مسلح بين فرنسا واسبانيا .

حرب الثلاثين السنة . - استهلّت فرنسا المحاربة العام ١٦١٨ استعلالاً حسناً . ولكن احظ لم يحالفها الى النهاية . فقد قتل القيائد عبروات في موقعة « دوتيل » بعد ان احرز انتصاراً باهراً وخان الحظ خلفه وانقرو ، فولي القيادة المارشال تورين . واحرز القائد الجديد انتصاراً كبيراً على الدانوب ولكنه لم يوفق الى اخذ هولند . ومن سقوط « هربورغ » ندما هاجمها السنة التالية حتى القائد « مرسى » . وقد خف « كوند » لجنده « تورين » واستطاع ان يتفرغ نصراً كبيراً للتكاليف بعد صراع جبار استمر اياماً .

وفي سنة ١٦٤٥ فوجئ جيش تورين بحملة معادية بقيادة « مرسى » على مدينة « مارينثال » وكان العدو التفوق العددي الساحق ، فخف « كوند » لجنده زميله . واتى القائدان العظيمان من ضروب الشجاعة والمهارة مساً آمن لها الفوز . فحق جيش « مرسى » في « تورلجن » وقتل قلده .

وقبضت الحملات التالية بمناورات بارعة قام بها « تورين » وامت له السيطرة على المانيا من « ماينس » حتى جنوب بافاريا . وكان العام ١٦٤٨ حصراً بالانتصارات على مجمل الجبهات : ففي غطلونيه احتل شومبيرغ « تورنوزا » وكسب تورين معركة « لائس » في الفلاندر فحصلت هذه الانتصارات بدفع آل هابسبورغ الى عقد الصلح . وقد كرس عهده وسفاليا انتصار السياسة الفرنسية وقضت على الوحدة الالمانية . اما اسبانيا فقد رفضت المصالحة طمعاً منها بالحصول على شروط ملائة ضد فرنسا المنخفضة بمجواذك داخلية جسام . الحرب الاهلية . - لم يخطى حدى السياسة الاسبانية فقد اندلعت في فرنسا بزوان الحرب الاهلية وامتلئ القائدان تورين وكوند المسام ضد

الملك . ولكن اولها ما عزم ان ادرك خطاه ووضعه سيقه في خدمة مولاه . وما ان عاد البلاط الى باريس حتى دعي نورين الى طرد الاسبانين من فرنسا ، وكانوا قد احتلوا جزءاً منها بقيادة كوند . وفي الوقت نفسه نشطت الدبلوماسية الفرنسية فاستطاع الكردينال مازاران ان يحالف الهولنديين والامراء المانيا ، وان ينال مساعدة كومونل مقابل تعهد بالتنازل لانكلترا عن دنكرك حالما يتم اجلاء الاسبانين عنها . وهو تنازل لم يكن منه بد لانه لم يكن لفرنسا اسطول بحري يستطيع منازلة الاسطول الاسباني القوي ، واستجد مازاران الاسطول الانكليزي .

وخان الخط « كوند » هزمه « نورين » في آراس حيث خسر الاسبانون اربعة آلاف رجل واربعة وسعين مدفعاً . ثم هزمه في « دون » وفي مواقع اخرى . واضطرت اسبانيا في النهاية لطلب الصلح . فاحتفظت فرنسا باقليم « بييرول » وخولها معاهدة « بيداسوا » حتى احتلال اللورين واعطتها حدود « اليونيه » . واحتفظ الاسبانون بـ « ليل » و « سان اومير » و « لابس » . وتنازلت فرنسا لانكلترا عن دنكرك . وهكذا ظلت حدود فرنسا الشمالية مشرعة الابواب .

نورين وكوند . - سمي « نورين » مارشال فرنسا بعد ان ساهم في ثلاث عشرة حملة وابل فيها بلاء حسناً . وقد وصفه معاصروه بأنه « القائد المتحفظ ذو الضمير الحي والاعصاب القويلاذية » . وقال فيه نابليون انه « القائد الوحيد الذي نأ فيه الاقدام مع كسر الاعوام ، وتراكم التعارب والاختبارات » . وامل ابرز صفاته معالجة المواقف الطارئة بحكمة واتزان وحزمه في الحالات التي لا تنفع فيها التدابير العادية وانصاف الحفول .

اما كوند ، ذوق الحيان ، فقد تألق نجمه في موقعة « روكروا » وبرهن

مد ذلك عن مواهب تكتيكية دفعته الى مستوى كبار القادة الذين اخذ منهم
 نابليون السرعة في التصميم والحزم في التنفيذ . كان سريع الحائط ، ولم بالموقف
 الطاويز . سرعة عجيبة ، وهي موهبة لم يكن لتورين مثلاً . يعنى الشير المواقع
 التي يجبها بعد « روكروا » - « فريبورغ » - « نورلينجن » و « لانس » .
 ميشيل له تلميذ . - تولى ميشيل له تلميذ في عهد « مازازان » وزارة الحربية
 بعد ان شغل مدة طويلة وظيفة مفوض الاعاشة في الجيش . وقد لاحظ الوزير
 ان عدة القادة في الجيش كبير جداً وان النظام الرتبوي معدوم . فقد كان
 « مارزان » يكثر من تعيين القادة اجتلاباً لرضا النبلاء ، فاضى للجيش الواحد
 عدة آثرين من رتبة واحدة وصار هؤلاء يتولون القيادة كل بدوره ، فنجح عن
 هذا محاذير حجة منها تشابه الصلاحيات وانعدام الانسجام والاستقرار في
 رسم الخطط وتنفيذها . ففى الفلاندر كان المارشالات « تورين » و « لافرنه »
 يتوليان قيادة الجيش الفرنسي ، كل بدوره ، فامر اولها بانشاء استحكامات تغطية
 غاطم معينة . وبعد اسبوعين وبلى القيادة « لافرنه » فامر بازالة الانشاءات
 التي امر زميله باقامتها . فكان هذا الامر المضاد حيباً في فرد قطععات
 الجيش التي ساءها ان تؤمر بهم ما انفقت في ثباته مجهود بضعة عشر يوماً .
 لم يحقق ميشيل له تلميذ اى اصلاح اساسي في الحرب . وقد بدأ باقامة
 النظام الرتبوي على اسس قوية ووضع قواعد معينة لتسلسل الرتب ، فالتقى
 وظيفه امير الجيش . وبعد عدة « الديوبه » عين لويس الرابع عشر القائد
 تورين مارشالاً عاماً لجيوش الملك وتكتياته وسمي في البرائة الملكية « المتقدم
 في مارشالية فرنسا » فانضبط هذا الاثنان وملاء تورين وفقام فريق منهم ستة
 ١٦٧٢ بحركة غلبت عن استبدالهم وسيت « النزاع بين المارشالية » فتدخل
 الملك لحسم الخلاف . وبعد هذا الحادث صار البلاط يختار لكل حملة قائداً

عاماً اتخذاً بعين الاعتبار مواهب القائد وقوة نفوذه وأقدميته في السلك .
وانشأ « له تيلييه » ، بناء على اقتراح « تورين » ، رتبة أمير لواء (بريفاديه)
في الخيالة . وشجعه نجاح التجربة على أحداث الرتبة نفسها في جيش المشاة .
وكان لواء الخيالة يضم أربعة كراديس ، أما لواء المشاة فكان قوامه خمسة
افواج واجباتاً سنة .

والقى الوزير المصلح وظائفت « مارشال الميدان » و « منكب المعركة »
Sergent de Bataille ، والرعايا العامين Colonels Généraux واحتفظ
تورين بلقب « زعيم عام الخيالة » ، ولكن مشاغله الكثيرة صرفته عن الاضطلاع
بهذه الوظيفة اضطلاعاً فعلياً فعين « له تيلييه » مقوضاً عاماً للخيالة وأخلفه
بالوزارة ليكون صلة الوصل بينها وبين الالوية . وما عتد المفوض العام حتى
أصبح الموهب التالي على الخيالة الفرنسية .

وعني « له تيلييه » غنابة خاصة بالنسب الرتبوي في الكراديس : فعهده
بقيادة الكردوس الى ضابط كبير يونيسة زعيم (كولونيل) يعاونه عقيد
(ليوتان كولونيل) فكبير المقدمين (ماجور) فرؤساء (كابين) فملازمون
اولون ، فملازمون ثانون .

وفي اواخر العام ١٦٥٩ حدد موسم مهمة الكراديس في القتال ومرتكزها
في حفلات العرس . وجعلت هذه القطعات فئتين : الكراديس الدائفة
والكراديس الموقوفة . وكانت هذه تخرج فور انتهاء الحملة . وجعل المرسوم
نفسه من الفوج قطعة اساسية تضم الف رجل ، وقد كان في عهد لويس الثالث
عشر قطعة تكتيكية . وجعل عدد الافواج في الكردوس الواحد يراوح بين
اثنين والاربعة .

وانشأ « له تيلييه » فليلاً مستقلاً للدفعية اختار ملاك ضباطه بين ارباب

الاختصاص . واستغنى عن خدمات المهندسين الأجانب بإنشائه فرقة الهندسة العسكرية . وأبطل عادة كانت متفشية في العهود السابقة ، وهي شراء الرتب العسكرية بالمال أو بخدمة خاصة يبدىها الطامح للترقية الى الرئيس ذي السلطة . ولكن اصلاح « له تلبه » لم ينجح في القضاء على اساليب الخداع والتزوير التي كان يعتمد عليها الضباط المكلفون التفتيش ، طبعاً منهم بالبيع . فقد كان هؤلاء بأنون يحنود مستعارين من كردوس مجاور ، كلما احتسوا فسادهم المقتش . وكان الكردوس المعبأ حديثاً غير كامل . فاذا دعت الحاجة الى خروج الكردوس للقتال انتفى الضباط الفضيحة بتزوير شهادات تثبت وفاة المتعيين او مرضهم .

و « له تلبه » هو اول من فرض نظام الخدمة في الكتلة ، وحتم على الضباط الإقامة الجبرية فيها ، وانضغ الاجازات للمناوبة ، بحيث لا يتضيق دفعة واحدة اكثرو من نصف الضباط . وحدد اياماً معينة في الشهر للتدريب ، ووضع نظاماً خاصاً لحفلات العرض وللمناورات ، وحدد صلاحيات المحاكم العسكرية بعد ان وضعها تحت سلطة مفوضي الاعاشة الاقليميين المباشرة . وعنى الوزير المصلح عناية خاصة باعاشة الجيش فاقضها لنظام المناقصة والتزيم ، وضاعف عدد المخازن الدائمة ، وانشأ دائرة خاصة للوازم الجند ، ووجد مرئياتهم ، وعهد بدفعها شهرياً الى موظفين اطلق عليهم اسم « عمال الملك » . وفي عهده انشئت مستشفيات ثقالة تحت اشراف مفوضي الاعاشة ، ومستشفيات ثابتة في المدن الحصينة . وقد كمل الوزير « لوفوا » ، وهو نجمل « له تلبه » ، ما بدأه ابوه ، وكان لويس الرابع عشر قد بلغ سن الرشد الباسي ، فاشرف بنفسه على الاصلاح .

٣ - لويس الرابع عشر ونوموا

لم يعين لويس الرابع عشر خلقاً للكرسيال مازاران لانه قرر تصريف شؤون الدولة بنفسه . اما وزارة الحربية فقد عهد بها الى « لوفوا » وكان دون الثانية والعشرين من سنه .

حرص الملك منذ توليه السلطة الفعلية على اجتلاب محبة الجيش باحداث ما فات « مازاران » و « لـ لـ لـ » احداهن ميويد اليه المؤرخون عمليين عظيمي هما انشاء « الانفايد » لايواء الضباط والجنود الذين تشوهم الحرب ، او الذين تدهمهم الشيخوخة وهم فقراء ، او ينعدهم مرض عن خدمة العرش والبلاد . اما العمل الآخر فهو انشاء وسام القديس لويس لمكافحة الضباط الذين يلعون بقطع النثر عن مركزهم الاجتماعي .

ولم يقل لويس الرابع عشر عن سلفه اهتماماً بتدريب القطعات وعرضها . ولا سيما قطعات « الحرس الفرنسي » والحرس الملكي الخاص . وكان يقضي ايضاً مستقلاً بين التكنات ليصف بنفسه على سير الامور ويقدم ملاحظاته الشفوية او الخطية الى وزير الحربية .

اما « لوفوا » فقد كان سعة ذكاء وكثرة اعصاب . غاب عليه خصومه كبريائه وشدة وعظائه على مرؤوسيه . ولكن المؤرخين ردوا كراهية البعض للوزير العظيم الى حقده عليه ، لانه كانت ابعد الناس عن التحيز ، ينزل بالمسيء العقاب الجارم ابداً كان مركزه وشعراؤه .

اهتم « لوفوا » باكمال الاصلاح الذي بدأه ابوه « ميشيل لـ لـ لـ » . وسرعان ما وضعت قسوته حداً للفوضى وروح التمرد ، فكانت العقوبات التأديبية التي تنزل بالمخالفين عن اداء الواجب والمتقدمين ببيانات كاذبة والمتلاعبين باعاشة الجند تراوح بين الجلد بالسباط والتعذيب بالحديد الحصى . ولم يتردد الوزير في

طرد الضباط الذين أقدموا على إساءة الأتباع ، أو انفقوا مرتبات الجند في غير الوجوه المعينة لها .

وحسن «لوفوا» نظام دفع الرواتب ، فصار الجند يتقاضى مرتبه الشهري ثلاث دفعات . وشدد الرقابة على المسلمين شؤون الإغشة . وفي عهده خطا مشروع فوجد لباس خطرة واسعة نحو التنفيذ ، فجعل لباس الخوس الفرنسي أزرق اللون . أما سائر قطعات الجيش فقد اختار لها «لوفوا» اللون الأحمر .

ورضع «لوفوا» حداً نهائياً للبقية الباقية من امتيازات الأقطاعيين ، فلم يبق كرم الجند شرطاً لبلوغ المراتب العالية في الجيش . وجعلت الأقدمية والأعمال الباهرة أساساً لتفريق .

ساعد الوزير في ميسنة قادة لامعون أمثال «مارتية» و«فوريل» و«دومتز» . وقد سقط ثلاثهم في ميادين الشرف بعد أن أدوا لوطنهم أجل الخدمات .

عهد «لوفوا» إلى «مارتية» في العام ١٦٦٨ بتفتيش جيش المشاة فخره على الخطوة الموزونة وادخل تحسيناً على أساليب التدريب ، واقترح تجهيز البنادق بالخراب . وأله يعود سهر كل كردوس من الكراديس بسوية من حملة الرمايات . أما «فوريل» فقد كان أمير لواء في الحيلة فعينه «لوفوا» مفتشاً عاماً لهذا السلاح . فنظم قواعد المناورة وأنشأ الكراديس الدقة وعددها سنة وستون ، كما أنشأ أربعة عشر كردوساً من الفرسان «الدرافون» .

وتولى «دومتز» قيادة قطعات المدفعية ثم عين مفتشاً عاماً لهذا السلاح وصنشاراً فنياً للوفوا . وقد أبطل «دومتز» عادة تلزم إنشاء البطاريات واستعمالها من قبل أشخاص لا خبرة لهم . ومهر فيلق المدفعية الذي أنشأه له تبليه «برجال

من ارباب الاختصاص . فاعطى هذا التدمير نتائج مشجعة في مواقع الفلاندر ،
ولم يفسد طويل وقت حتى اضحى فيلق المدفعية جديراً باسمه .

حروب الثلاث الاخيرة من القرن السابع عشر . - نعمت فرنسا بالسلم زهاء
ثلاثي سنوات . وعندما نشبت حرب المواريت كان الفرنسيون مستعدين لها ،
ولكنها لم تكن سوى حلقة في سلسلة حروب طاحنة .

لم يتخلل حرب المواريت اي ظاهرة عسكرية جديدة بالذكر . ولكنها
قربت ، سياسياً ، بين هولندا وانكلترا . فكانت من هذه الناحية علة
المشاكل التي تحيطت فيها فرنسا بعد عهدة « اكس لاشابيل » (١٦٦٨) ، وهي
العهد التي عقدت دون نزوح . وسرعان ما ادرك ملك فرنسا ان حدود بلاده
ما تزال مكشوفة وان هولندا تشكل خطراً لا يجوز اغفال شأنه . وقبل ان
يعلن الحرب على الجارة الشمالية الشرقية ، حالف شارل الثاني ملك انكلترا
وملك اسبوج وامراء المانيا . وفي سنة ١٦٧٢ عبر جيش فرنسي من مئة
وعشرين الف رجل عبر الرين قرب مدينة « تولوس » منفذاً خطة بالجمعة
لـ « تورين » ، وكان الهولنديون يمتدنون على النهر في حامية بلادهم ، فاسقط في
ايديهم وطلبوا الصلح . ونصح « تورين » الملك والوفوا بمصالحة العدو ، ولكن
« كوندé » وعددها بانتصارات سريعة وقليلة التكاليف . وطال الانحد والرد
فاقاده الهولنديون من هذه الفترة فحطموا سدودهم ليغرقوا ارض الوطن
بالفيضان . وفي الوقت نفسه عمد رئيسهم « غلبوم دورانج » الى حث ملوك
اوروبا على كبح جماح الجيش الفرنسي قبل قوات الاوان . فعالته ملك
اسبانيا وامير براندنبورغ وامبراطور المانيا . ورغم هذا احتل الجيش الملكي
« فرانتش كوندé » بينا كان « تورين » بناور شعب الالمان من التدخل .
وبعد موقعة « سيف » التي انتصر فيها « كوندé » انتصاراً غير حاسم ،

انجبت الانتظار مجدداً الى نهر الرين . فانتقدت حملة تورين الشتوية بلاد الازراس
وكان لتاورات المارشال اثرها في بلوغ هذه النتيجة . ففي الخامس من
كانون الاول ١٦٧٤ قام جيش « تورين » من « هانغو » و « سافيون » فبحر
جبال الفوج المكسوة بالثلج وعبط منحدراتها الغربية متجهاً جنوباً ، بينما كانت
جيوش الحلفاء منطوية على نفسها في السافوي العليا بانتظار الربيع .

وفي ٢٧ كانون الاول دخل الجيش الفرنسي الازراس من ثغرة يفور
وزحف الى « موفوز » . فاسقط بايدي الاعداء وارنيكت حفوفهم فمزهم
تورين قبل ان يتخذوا التدابير اللازمة لمواجهة الحالة . وقد قتل القائد العظيم
في موقعة « سالزباخ » بينما كان يراقب مواقع العدو استعداداً لتدبير
الضربة القاضية اليه . واصيب معه الضابط « سان هيلير » بجرح ثخين ، فأكب
لحل الضابط فوق ابيه يئلاً وجهه بضموعه فقال له « سان هيلير » مشيراً
الى جثة « تورين » : « جوتي لا تخسر فرنسا سوى واحد من ابنائها ولكنها
خسرت بموت « تورين » قائداً فذاً وجندياً عظيماً . »

وقد تولى القيادة بعد « تورين » تلميذه « كوريكي » فاعتمد تكذيب استاذ
وراصل مطاردة الالمان داخل بلادهم . وفي هذه الاثناء كان جيش آخر
بقيادة الملك يضرب الحصار حول المدن المحصنة فاحتل « بوشان » و « كوندي »
و « آير » سنة ١٦٧٦ . وفي العام التالي احتل « فالانسين » و « كامبره »
و « سا » اومبر » و « غان » . وفي البحر هزم الامبرال الفرنسي
« دو كير » عمارة « روبرت » في « باليرمو » وتغلب « دسفري » على « ترومب »
في مياه « الانتيل » . وفي العام ١٦٧٨ رفع الحلفاء على عهدة « نيمغ »
فاحتفظ لويس الرابع عشر من فتوحاته ، بولاية « فرانش كوتيه »
و « كوندي » و « فالانسين » و « بوشان » و « مويج » و « كامبره »

و «سان اومير» و «كنسل» .

وفي العام ١٦٨١ احتل الفرنسيون «استراسبورغ» ، والى الملك لويس الرابع عشر براءة «ثانت» التي منح هنري الرابع البروتستانت بموجبها حرية العبادة ، فأثار النديون نفقة الدول البروتستنتية وقلق جيران فرنسا ، فتألفت «عصبة او كسبورغ» العام ١٦٨٨ من ألمانيا واسبانيا والنمسا وانكلترا ودوقية سافوى . فضايق الجيش الفرنسي غمرات حرب دفاعية استمرت ثلثي سنوات واستطاع ان يقف في وجه أوروبا وان يهزم الجيوش المتحالفة في البر : في «فلوروس» و «ستافارد» و «ستانسكيرك» و «مرساي» و «تروندن» . ولكن القائد تورفيل الذي كسب موقعة «بوفورز» البحرية اخذت زمام النصر من يده في موقعة «هيرغ» ، فكان هذا بدء الخطاط الاسطولي الفرنسي . وقد تميز في هذه الحرب الدفاعية قائدان كبيران هما المارشال «دولو كسبورغ» والمارشال «دوكاتينا» . كان «دولو كسبورغ» حديقاً حياً للوزير لوغوا ، قضى بضع سنوات في البلاط ، بات خلالها عملاً مشغولاً . وقد نجلى نشاطه ومواهبه في ميادين القتال . ولقبه معاصروه بـ «كونه الثاني» لانه كان سريع الخطى والبدنية ، مقداماً كسلفه القائد العظيم . ومن اشهر المواقع التي ربحها «فلوروس» و «ستانسكيرك» و «تروندن» . وفي هذه الموقعة الاخيرة نجحت مواهب «دولو كسبورغ» التكتيكية . فقد حشد مقابل مائة العدو اثنين وثلاثين فوجاً بدعها خمسون مدفعا . فهدت المدفعية فصوص المشاة ، ولكن العدو صدم ثلاث مرات متوالية ، وكانت المدفعية في كل مرة تفتح نيرانها فويداً للهجوم ، وفي المرة الرابعة انفرق المشاة صفوف الانهيار وكسب «دولو كسبورغ» المعركة .

اما المارشال «دوكاتينا» فقد هزم الحلفاء في موقعي «ستافارد»

و «مرساي» . وكان متواضعاً يترك العمل الصامت ولا يقدم الا بعد درس طويل . وكان يقول للذين لم يعجبهم نياطوه : « افضل ان ابلغ الخسوف في شهر بافل كلفة ممكنة على بلوغه في يوم بشن باعظ . »

وقد وضعت عهدة «ريزويك» (١٦٩٧) حداً للحرب ففرجت فرنسا عنها سلبية واحتفظت بـ «استراسبورغ» وبالحدود الشمالية .

الجيش . — كانت قوة الجيش تقاس بعدد المحاربين . اما العناد فكان يأتي في الدرجة الثانية . ففي العام ١٦٩٨ لاحظ الوزير «لوفوا» بسور ان فرنسا غابت سبعين الف راجل وخمسة وثلاثين الف فارس . وقد ارتفع هذا الرقم تدريجياً الى ذلك حتى بلغ قبل صلح «نيسيف» ٤٠٠ الف رجل . وكان «لوفوا» يسرح حصين بالملحة من المجندين بعد كل صلح ليمنف عن كاهل الحرب .

وبلغ عدد المحاربين الفرنسيين في العام ١٦٩١ نصف مليون رجل ، منهم ثلاثة وتسعون الف راجل . وبعد صلح «ريزويك» سرح لثام .

كانت القاعدة المتبعة في زيادة عدد المجندين ان يزداد عدد الكراديس او ان يزداد عدد الرجال الذين تتألف منهم . وقد تبنى «لوفوا» على القاعدة التالية ، وهكذا ظل عدد الكراديس على حاله ، ولكن زيد عدد السرايا في كل منها . وبعد موت «لوفوا» اعتد لويس الرابع عشر المساعدة الاولى فأنشأ بين ١٦٨٦ و ١٦٩٦ مئة وسنتين كودوساً جديداً منها اربعون الجنيا .

كان عدد المتطوعين يتناقص بعد كل حملة ، فاضطر «لوفوا» لتجديد السجاء بعد الغاء برامة «نات» ، لبسد النقص الذي أحدثته هجرة البرونستنت من البلاد . وفي العام ١٦٨٨ انشأ الميليشيا الاطليبية . كانت رجال هذه الميليشيا مختارون بالقرعة لمدة سنتين ، ويشرف على تدريبهم محاربون قداماء .

وفي أربعة أشهر نجح لدى «لوفوا» تسعة وعشرون كرددوساً تعهدت الاقاليم اعاشتها وتجهيزها ، ولم تكلف الدولة طلساً واحداً .

السلاح والتكتيك . - تأثر تكتيك وحدات المشاة في الجيش الفرنسي بما حمله اليها «برناردوساكس» و«بار» من تعاليم غوستاف ادولف . فقد اضمد الملك الاسويجي اساليب جريئة في المناورة ، واولى قوة النيران واستمرارها عنابة خاصة . فشر مشاة صفوفاً سنة ، ثلاثة منها في الخط الامامي وتليها الثلاثة الباقية . ف يطلق الخط الاول النار على العدو ثم يشغل الخط الآخر القوة التي يستغرقها لتقيم البنادق بطلقات منقطعة ، وهكذا ينقل النار مواصلة الى حد ما . وقبل هذا كانت الصفوف تفرغ بنادقها دفعة واحدة ثم تنصرف الى تلقيها ، فيستمر العدو فترة الهدوء لاختاذ الاوضاع الملائمة او لشن حملات خاطفة على الاجنحة .

نحس «ورين» للتكتيك الجديد ولكنه لم يطبقه على نطاق واسع ، لان افواج المشاة ظلت حتى اواسخ القرن السابع عشر تخرج للحرب وسلاحها الاساسي الرمح . وكان للسرية الواحدة عدد محدد من البنادق يراوح بين اربع وست . ولم يستبدل المشاة الفرنسيون البندقية من الرمح الا العام ١٦٩٩ ، فجهزوا بنادق تلحم بمشك محشوة باروداً وحملت اطربة المثبتة فيها محل الرمح . وتخلت المشاة نهائياً عن العدة الدفاعية كالزرد والدرع والطاقسة . ولكنهم لم يالفوا التكتيك الجديد الذي فرضه السلاح الناري الا بصعوبة . فقد اعتادوا الانقضاض على العدو والاتحام واياء ليعملوا فيه استجهم القاطعة ، فطبعي الا يلقوا بسهولة عن عادة متأصلة يلزموا مراكزهم ويطلقوا النار من مسافات معينة . ولا يستعملوا حراهم الا اذا ولى العدو الادبار ، او بات عاجزاً عن اطلاق النار باحكام .

ولم تتبع الخيالة الفرنسية تكتيكاً معيناً بعد موقعة « روكروا » ، فكانت تارة تعتمد الاسلوب الاسوجي الذي اعتمدته المشاة ، وطوراً تنقض على العدو بالسلح الابيض ، وهو الاسلوب الذي اعتمدته « كرننده » في معظم المواقع التي كسبها .

المدفعية . - عني « فوبان » ، اعظم مهندس عسكري انجيزته فرنسا ، ضاية خاصة بتنظيم المدفعية ، فانشأ بطاريات ثقيلة لحرب الخصار ، وضاعف عدد مدافع الماون ومدافع الميدان ، وجيز كل كرادوس من كراديس المشاة ببطارية تضم عدداً من القطع يراوح بين اربع وتسع . وكان مدى مدافع الميدان يراوح بين ٤٥٠ و ٦٠٠ متر . وكان المدفع عيار ٢٤ يطلق ١٥٠ طلقة في اليوم .

قبل المارشال « توريين » كانت البطاريات تصب امام الجناحين فصارت في عهده تتخذ الصفوف . ونحا المارشال « دولوكسيمبورغ » هذا النحو دون ان يتخلى عن قيادة المدفعية . وهو اول قائد فرنسي ادرك اهمية هذا السلاح اذا استخدم على نطاق واسع .

وعني « فوبان » ، في جملة ما عني به ، بوضع قواعد معينة للدفاع عن المدن الحصينة ومهاجمتها . على ان شهرته لم تقم على النظريات فصص ، بل قامت على نجاحه خلال النصف الاخير للقرن السابع عشر ، في تنظيم الدفاع عن المدن التي اشرف هو على تحصينها او حصنها سواه ، وفي الاستيلاء على فلاع العدو واختراق اجيزته الدفاعية المتناكفة .

وفوبان هو اول من قال بتغطية المدن الحصنة باجهزة خارجية عميقة ليكون الدفاع طويل النفس ، واول من اعتمد في حماية المدن على الحصون المستقلة ، والجنادى المحفورة خارج الاسوار . وكان يولي التواني في المنشآت الدفاعية عناية خاصة ، لانها نقاط الضعف في الجهاز ، وعليها يصب المهاجم معظم

مجهوده . وكان يعتمد في مهاجمة المدن الحصينة تكتيكاً ما يزال له انصاره الى يومنا هذا : يحشد امام اهداف قطعان مختارة تدعمها مدفعية قوية . وقبل الشروع في العمليات تقوم دوريات الاستكشاف بسج غور المكان الحصين لتبين نقطة الضعف . وفي هذه الاثناء ينصرف الجيش المحاصر الى حفر الخنادق وانشاء جدار يمكنه الاعتصام فيه اذا طأته تطورات القتال الى التزام موقف دفاعي . اما الهجوم فيشرع فيه نهائياً شاذياً للاخطاء ، ولعواقب الفوضى . وبفضل هذا التكتيك قاد « هوبان » بنجاح حصار خمسين مدينة منها عشرون حوصرت تحت اشراف الملك وولي العهد .

الاستراتيجية . - اجتاز فن « الاستراتيجية » خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر مرحلة انتقال بطلي من حرب تدور رحاها بين جيوش صغيرة الى حرب تلافى في ميادينها جيوش جرارة . ذلك انه بالرغم من تزايد الجيوش ظلت مضاربة الخصم وهناك قواه بحرب الحركات والاندازات الطويلة النفس ، شغل الاستراتيجيين الشاغل ولم يعتمدوا المعارك الفاصلة لاجراز النصر الا في حالات نادرة .

وقد تعارضت نظريتان في ادارة العمليات : نظرية تقول بافضلية حرب الحصار والخنادق (الجبهة الثابتة) ، واخرى تقول بحرب المبدات . والفرنسيون هم اول من بشر بها في عهد هنري الرابع ، واعتقها « تورين » و « كوكسي » و « فيلار » . عندما يؤمن لنفسك السيطرة في الميدان يمكنك ان تحول القرى الى حصون تتركز عليها في مهاجمة المدن الحصنة . (من رسالة بعث بها « تورين » الى « كوند ») .

اما لويس الرابع عشر الذي كان شديد الحرص على قيادة جيوشه بنفسه ، فقد بنى النظرية الاولى ، وجاراه وزيره « لوفوا » . وكانت حجتها ان حرب

الحصار مأمونة النتائج مما يظل امد المقاومة . اما حرب الحركات فالنور فيها دهن مشبة الحظ . وقد قاد الملك جيوشه بنفسه في معارك هولندا . وبعد سنة ١٦٩٣ حار بوسم الحطوط وبيع بها الى القادة . فكانت المعززون منهم امثال « نورين » و « كرونند » و « كاتينا » يطبقون خططهم الخاصة ، ثم يعبرون نجاحها الى صاحب الجلالة . اما القادة غير اللامعين فقد كانوا ينقادون بالوامر الملكية حتى اذا فوجئوا ابلان المعركة بعصر جديد ، اسقط في ايديهم ، وكتبوا الى الملك يتسوسون تعليات اضافية . وقد تروى على تدخل لويس الرابع عشر بإدارة العمليات على النحو المتقدم ، فباع فرس ثينة لاجراز نصر حاسم ، وتعيد اجل النزاع لمصلحة العدو .

على ان نسبت لويس الرابع عشر بقيادة العمليات بحيث تكون مهمة القادة مقصورة على التنفيذ ، لم يمنع « هوبان » من فرض نظرياته وتطبيق خطته في حرب الحصار . وقد اخذ الملك ذن تردد بآراء المهندس العظيم ، واطلق يده في نقطة شمال البلاد وشرقا بتحصينات قوية اقامت للجيش الفرنسي ان تستمر جنوباً وغرباً ، وهي مطيئة الى قوة الجنادرين الذين اقامها « هوبان » حاجزين بين فرنسا وجاراتها هولندا والمانيا .

المستحضرات الحصنة . - رد المؤرخون نجاح المراكز الحصنة في صد المهاجمين خلال القرن السابع عشر الى الظروف الصعبة التي كانت تلابس العمليات الهجومية في ذلك العهد . فقد كانت الطرق نادرة الوجود ، والحصائل ، فتقف هذه امامها مترددة بين الاقدام والاحجام . فان هي اقدمت تأخر الحقل عن بلوغ الهدف الرئيسي ، لان القضاء على مقاومة الحامية عملية شاقة تستغرق وقتاً طويلاً وجهوداً جبارة ، وان هي واصلت تقدمها بحركة

ألف ناجحة تكون قد تركت وراءها عدواً يهدد مؤخرتها ويعوق قوتها .
ولم تكن جيوش القرن السابع عشر كبيرة لدرجة يمكن معها تخصيص
قوات معينة لتجديد حامية القلعة القائمة في الطريق ، ولتأمينها من أيذاء المؤخرة
وقوافل النقل ، لهذا لم يكن بد من محاصرتها . فإذا امتد الحصار إلى فصل
الشتاء اضطر المهاجمون لوقف كل نشاط بأنظار الصحو ، وانتهز المدافعون
الفرصة لیسدوا الثغرات المنفوخة ، ف يعود الحصار إلى النقطة التي بدأ منها .

كان « فوبان » يقول أن الحصون والقلاع هي الوسيلة الكفيلة بتدجيل الحرب ،
وقد عاب النقاد العسكريون على هذا المهندس تسميته في زوال أهمية المراكز
المحصنة بإدخاله على الهجوم تحسيناً لم يدخل مثله على الدفاع . بيد أن المؤرخين
الذين انصفوا « فوبان » ذكروا أن الرجل اقترح سد هذا النقص بتدابير
معينة ، فاعمل اقتراحه جزئياً في جنه ، ثم اتخذ أساساً للتحسين الذي أدخل
على الأجهزة الدفاعية الثابتة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

ويقول الذين دافعوا عن « فوبان » أن التحصينات التي لم يكن يتعينها
تبعاً لتعيين التكتيك الهجومى استطاعت خلال حرب « المواريت » أن تصد
سلسلة هجمات عنيفة ، وأن تكبح جماح العدو وتحول بينه وبين الوصول إلى
باريس . وإذا كانت المراكز المحصنة قد أثبتت عجزها إبان الحروب التي
نشبت في أواخر القرن السابع عشر وخلال القرن الثامن عشر ، فالمسؤول عن
هذا العجز هم قادة الحاميات لأنهم لم يحسنوا إدارة العمليات الدفاعية .

ويقول مؤرخو القرن السابع عشر أن معسكرات المهندسين الفرنسي كانت
جزءاً متكاملاً للمعسكر الكبير ، تحميها مدفعية وبفطها خط متأسك من الخنادق ،
يحتله جيش من عشرة آلاف رجل ليحول دون تسلل العدو بين
« المعسكرات المحصنة » .

حتى الفرنسيون مدينة دنكرك وراء جهاز من الطراز المتقدم عندما هوجمت في العام ١٧٠٦ ، فاختلق العدو في اختراق الخطوط الدفاعية ولم يستطع التسلل بينها نظراً لكثافتها وعمقها . و « فويان » هو اول من ارتأى انشاء المعسكرات المحصنة . ففي مذكراته عن حملة باريس يقترح انشاء سور خارجي علاوة على السور الداخلي ، يتاور خلفه جيش متحرك قوامه ثلاثون الف رجل من جنود الخط الاول ، وعشرة آلاف يعبأون في باريس نفسها . فاذا قبض العدو لاختراق السور الخارجي ارند الجيش الفرنسي الى ما وراء السور الداخلي وانضمت اليه الحامية المؤلفة من البورجوازيين .

وكان « فويان » يعتقد ان العدو سيستغمد بجهوده الاكبر في محاولته ذلك الجهاز الخارجي ، حتى اذا تم له ما اراد وجد نفسه امام جهاز آخر لا يقل عن سابقه مناعة ، فاما ان يتهب الموقف ويرتد او ان يهاجم ريثم بالاختناق . وقد عزأ نابليون الى المهندس « فويان » فكرة انشاء القطاء الحصن على الحدود فجاء في مذكراته ما يلي :

« حول » فويان « مناطق معينة الى معسكرات محصنة تغطيها الانهر والقضائات والحصون والغابات . ولكنه لم يقل ان الحصون وحدها تستطيع حماية الحدود ، بل رعى من هذا الجهاز الى تأمين الحماية اللازمة لجيش ضعيف ضد جيش قوي ، فوضع تحت تصرف الاول ميداناً للعمل يتيح له الصمود وعرفقة تقدم العدو وشن كرات ناجحة ، كما يتيح له كسب الوقت بانتظار وصول المدد . »

٥ - قضية الدرش الاسباني

بعد « ريزوبك » امر لويس الرابع عشر بالقاء كراديس الميليشيا وبخفض عدد الافواج والسرابا . ولكن موت الملك شارل الثاني الاسباني سنة ١٧٠٠

طرح مسألة الوراثة على بساط البحث ، فلم يسع الملك الفرنسي الا العمل على تقوية الجيش لينتفى له ان يلهم حق حفيده بالعرش الاسباني بقوى مسلحة قادرة على مواجهة جيش آل « هابسبورغ » الذين لم يرقهم تبرع امير فرنسي على عرش اسبانيا ، فقرروا احباط المشروع بأي وسيلة .

كان الجيش في العام ١٧٠٠ يضم تسعين كاردوساً غارتقع الرثم في عام واحد الى مئة وعشرين . وفي منتصف العام ١٧٠٢ حرج الملك امام سنيري انكلترا وهولندا بان فرنسا على استعداد لمواجهة الطوارئ ، فقد غابت ٢٢٢ الف جندي منهم خمسة وثلاثون الف فارس .

وعند نشوب الحرب واجهت فرنسا اعداءها بمئة واربعة واربعين كاردوساً . وانتهى النزاع وها جيش قوامه ٣٥٠ كاردوساً . الا ان نحو هذا الجيش خلال سني الحرب صادف عقبات كأداء اهمها عجز الخزانة عن تأمين مرتبات الجند وامان الاعتماد ، مما حمل كثيرين على التهرب من حمل السلاح وتقديم البديل نقداً او عيناً ، اي ان يقدم الخاضع للخدمة مبلغاً من المال او شخصاً يحل محله . فانغوط في الجيش رجال لا يصلحون للخدمة وقتبات سلخوا عن مقامه الدرس ليدبرهم النقص في الصفوف ، ولمكنهم ما عثموا ان فروا من الجيش ، فقد زجوا في المعركة قبل ان يعدوا لمعاداة النار الاعداد اللازم .

اما اعداء فرنسا فقد البوا ضدها جيوشاً بجرارة . فحشدت انكلترا اساطيلها وذهبها وخمين الف محارب . وعبا امبراطور النمسا مئة الف رجل ، وهولندا قرى معاداة ، وحشد امراء المانيا ستين الف محارب . ونولى قيادة الجيوش المتحالفة رجلان موهوبان هما دوق « مارنبورغ » والامير « اوجين » . قرر لويس الرابع عشر للضمود امام العدو في « الفلاندر » مرتكزاً على

الحصون التي أنشأها « فويان » . وكان يرجو ان تسع له محالفته عامل بأفاربا ان
ضرب في وسط ألمانيا ضربة تقوض الحلف الموجه ضده ، ولكن خطته هذه
كانت تتطلب تمركز المجهود الفرنسي في قطاع واحد ، وكيف يتم هذا
التركز والحرب في كل مكان : في « الفلاندر » ، على « الرين » و « الدانوب » ،
وفي « البرول » وإيطاليا ؟

وبعد نضال شاق استمر أربع سنوات أحرز خلالها « فاندوم » في إيطاليا
و « برويك » في اسبانيا و « فيلار » في ألمانيا انتصارات باهرة ، ختم القائد
الانكليزي « مارنغو » المرحلة الأولى بأحراز انتصار كبير في « هوشيد »
(١٧٠٤) ، فحصر الفرنسيون في الموقعة ثلاثين ألف رجل كما خسروا خليفهم عامل
بأفاربا . وتوالى التكتبات منذ ذلك . ففي سنة ١٧٠٦ تراجع الجيش الفرنسي
في « الفلاندر » وأخرجت لمولت « توران » جيش « فاندوم » من إيطاليا ، وفي
السنة التالية هزم دوق « مارنغو » جيش دوق « بورغونيا » في « أودرنك » واحتل
مدينة « ليل » ، وهكذا حطم العدو الجهاز الدفاعي واندفع في داخل فرنسا فسقطت
مدينة « فان » و « بروج » وساد الذعر والفوضى البلاد . ولكن نجاح « برويك »
في اسبانيا و « فيلار » في « السافوي » ووصول جيش شارل الثاني عشر الاسباني
الى « ساكس » انعش الآمال بعض الشيء . غير ان الانتفاضات الفرنسية كانت
قصيرة النفس ، وكان التناقص معدوماً فيها بينما ، فصارول لويس الرابع عشر
انقاذ الموقف بصلح تريف . الا ان الحلفاء تقدموا بشروط قاسية ، فتوجه
الملك الى سعيه برسالة يستهن فيها لعمى ويضرب على نور الوطنية الطامس ،
فهب الفرنسيون هبة الرجل الواحد يلبون نداء ملكهم رغم الضيق الذي
كانت تعانيه البلاد .

وادرك الملك ان توحيد القيادة شرط أساسي لنجاح المجهود الوطني بشكـ

الجديد ، فأمر على جيوشه رجالاً من تلامذة « تورين » هو المارشال « فيلار » . كان هذا القائد محبباً في الجيش واستطاع بنفوذه الشخصي وبالمعاملة الحسنة التي كان يخصص بها جنوده ان يواجه العدو في « السافوى » وعلى نهر الرين بجيش متراص الصفوف سليم المعنويات ، بينما كان الفراريون في جيش « فاندوم » (جيش الحملة الايطالية) يلاعنون السهل والجبل لان قائدهم لم يعرف كيف يجيب اليهم العمل تحت امرته .

عهد الملك الى « فيلار » في العام ١٧٠٩ بقيادة جيش « الفلاندر » الذي يغطي باريس . وكان هذا الجيش في حالة تنسخ تبعث على القنوط . فنفخ فيه « فيلار » من روحه ، وسرعان ما انتعشت المعنويات والامال . وقبل ان يشرع القائد الجديد في سر غزو العدو ، امن لقواته المأوى وكانت في ميس الحاجة اليها ، ودربها تدريباً كافياً على الهجوم .

عرف « فيلار » ان « مارلبورو » والامير « اوجين » يحشدان جيشهما قرب مدينة « مالبلاك » فشى اليها . وقبل ان يشرع في الهجوم انتهى اليه كتاب من الملك ينهيه عن خوض غمار معركة كبيرة ، وينصح له بالتزام موقف دفاعي « امام عدو واسع الحيلة » . وقد تقيد المارشال بأوامر مولاه وترك مبادرة العمليات للعدو . وظل يحاول بضع ساعات مستدرجاً اياه الى المواقع التي اختارها لتكون ساحة التصادم والحركة الفاصلة ، ولكنه اصيب بمرح تفتين قبل ان يتحقق هذا الغرض ، فحل محله في القيادة المارشال « دوفور » ، وكان قائداً مجرباً ولكنه لا يحسن انتهاز الفرص واستغلال مصاعب العدو .

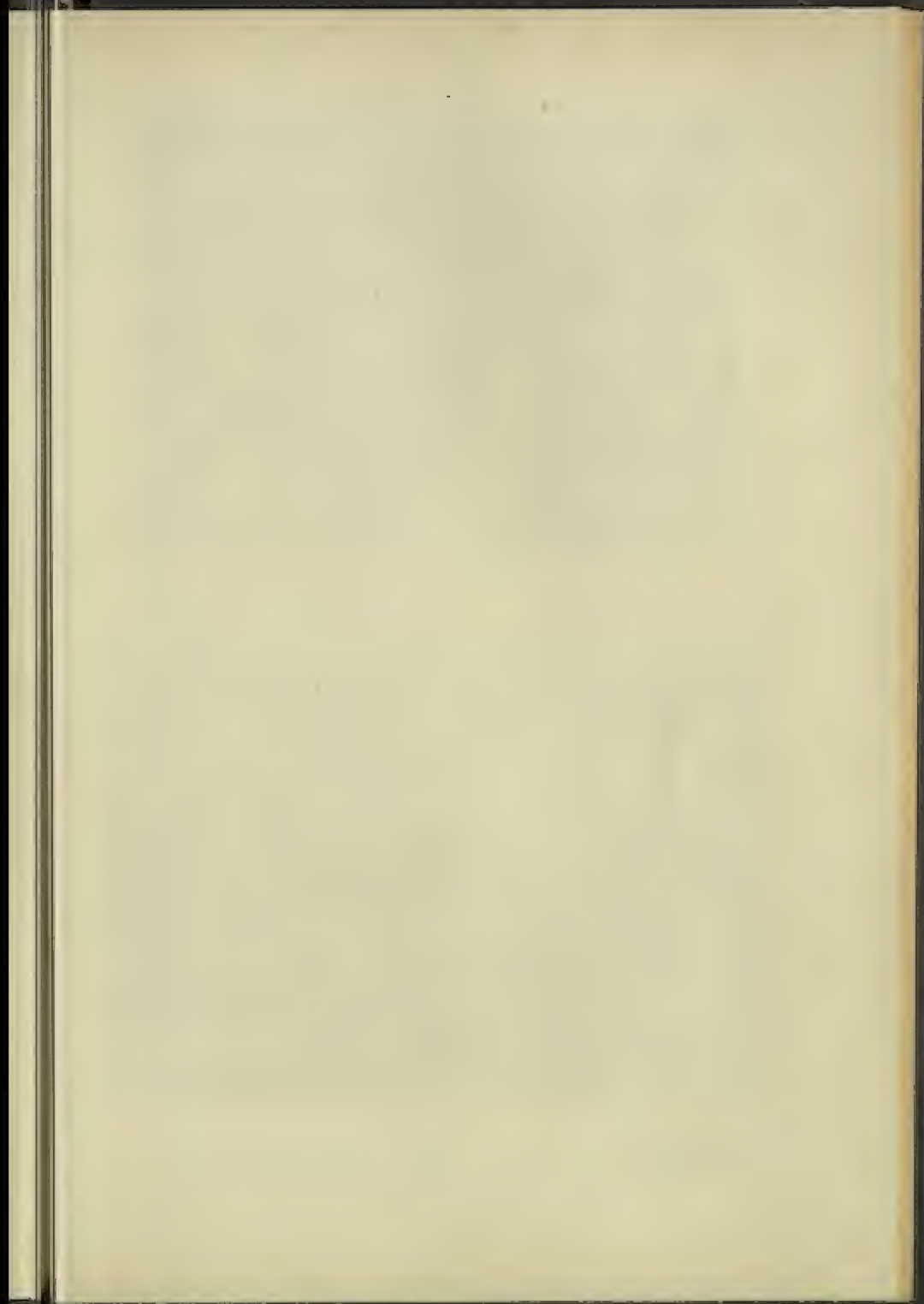
وفي مساء انسحب الفرنسيون من الساحة بنظام تام تاركين وراءهم احد عشر الف قتيل وخمسة امير ، وخسر الحلفاء تسعة عشر ألفاً بينهم اثنا عشر



عزري الرابع في معركة الإفري .

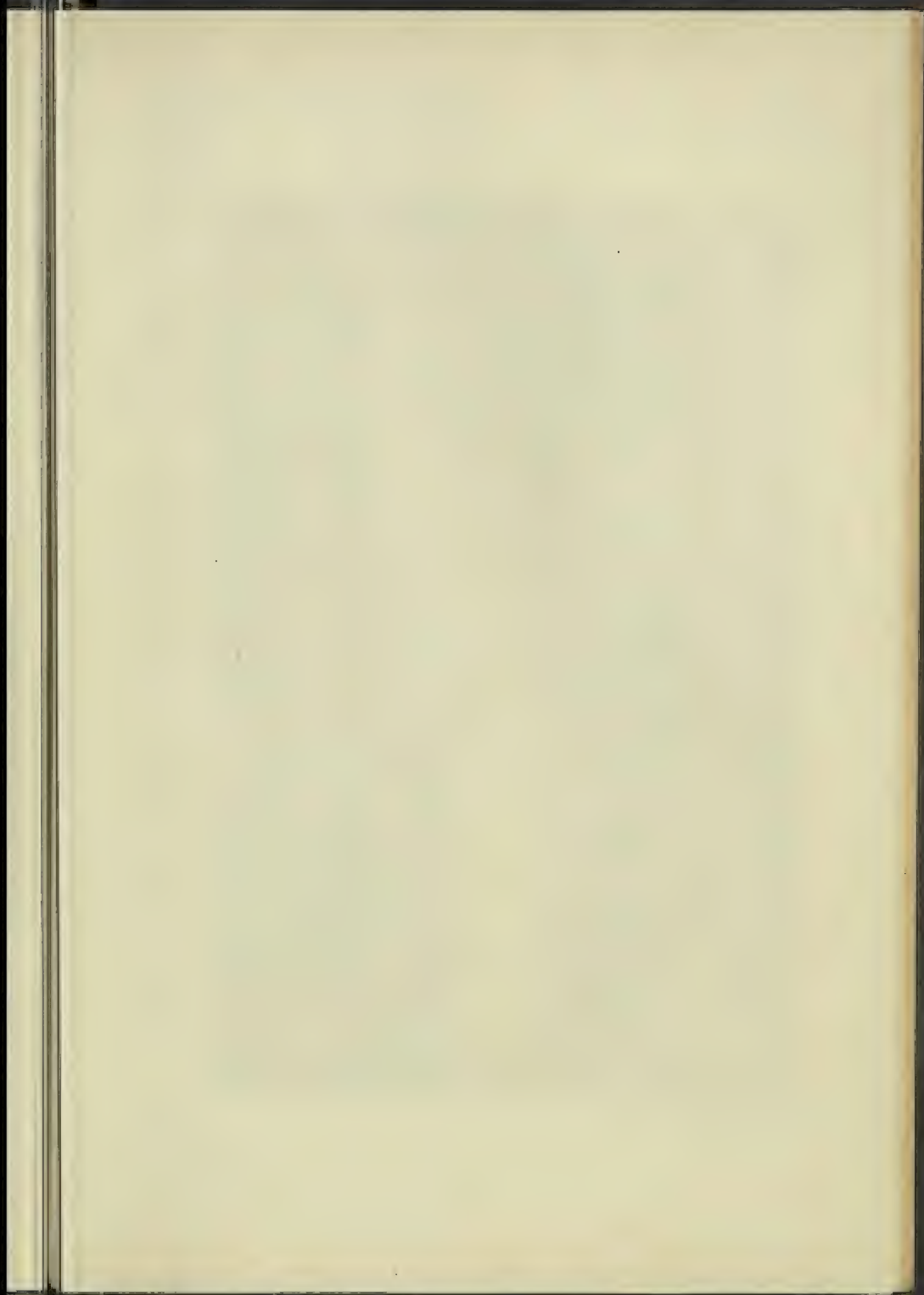


التطوع : (إلى اليمين) التطوعون يوقعون على عقود تطوعهم ، (إلى الشمال) التطوعون الجدد يقبضون سلقية .



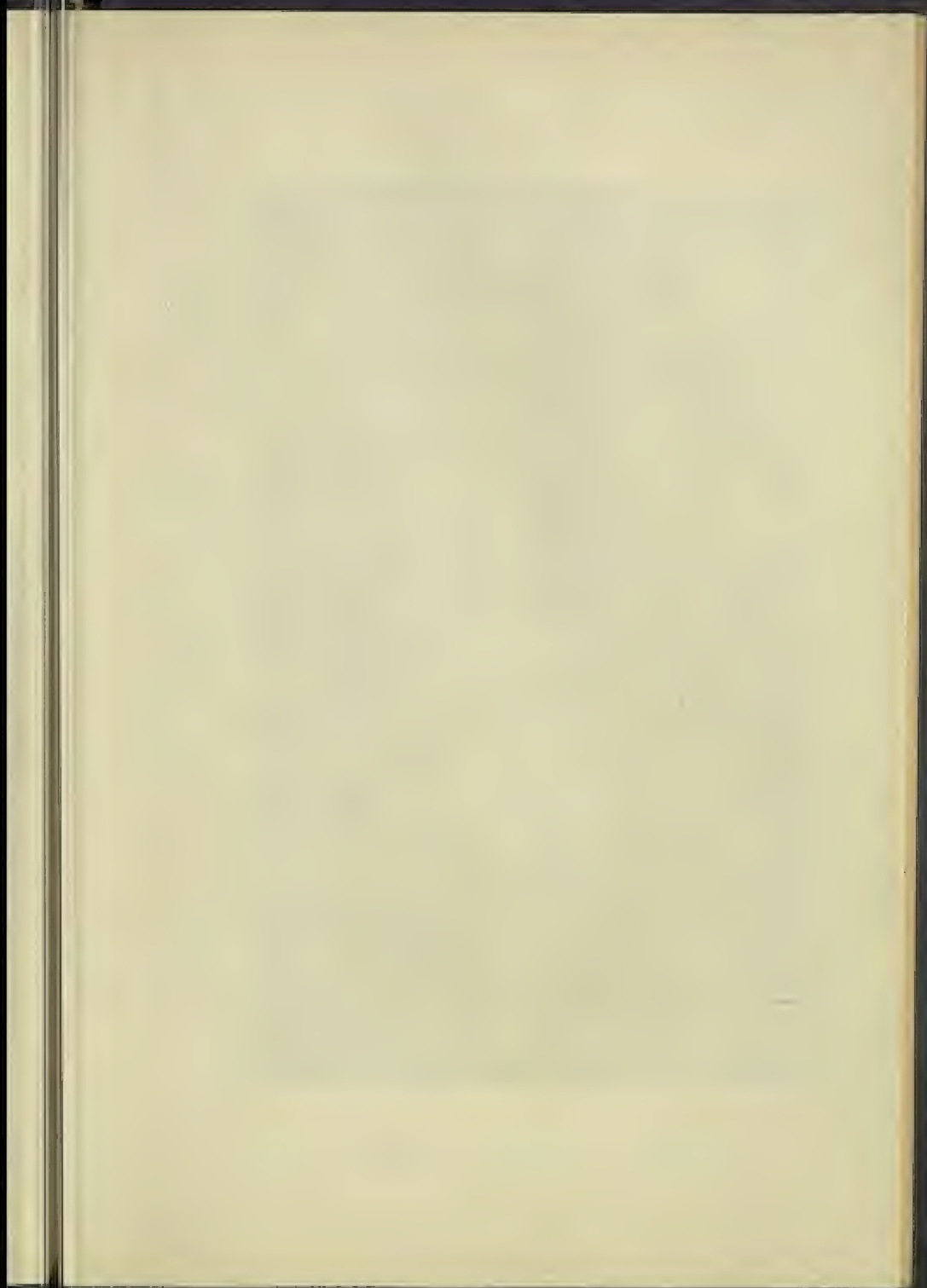


معمولہ روکروا (۱۹ اپریل ۱۶۵۳)



ڪوئله الڪير ڇيڻ به ارڪان حريم .



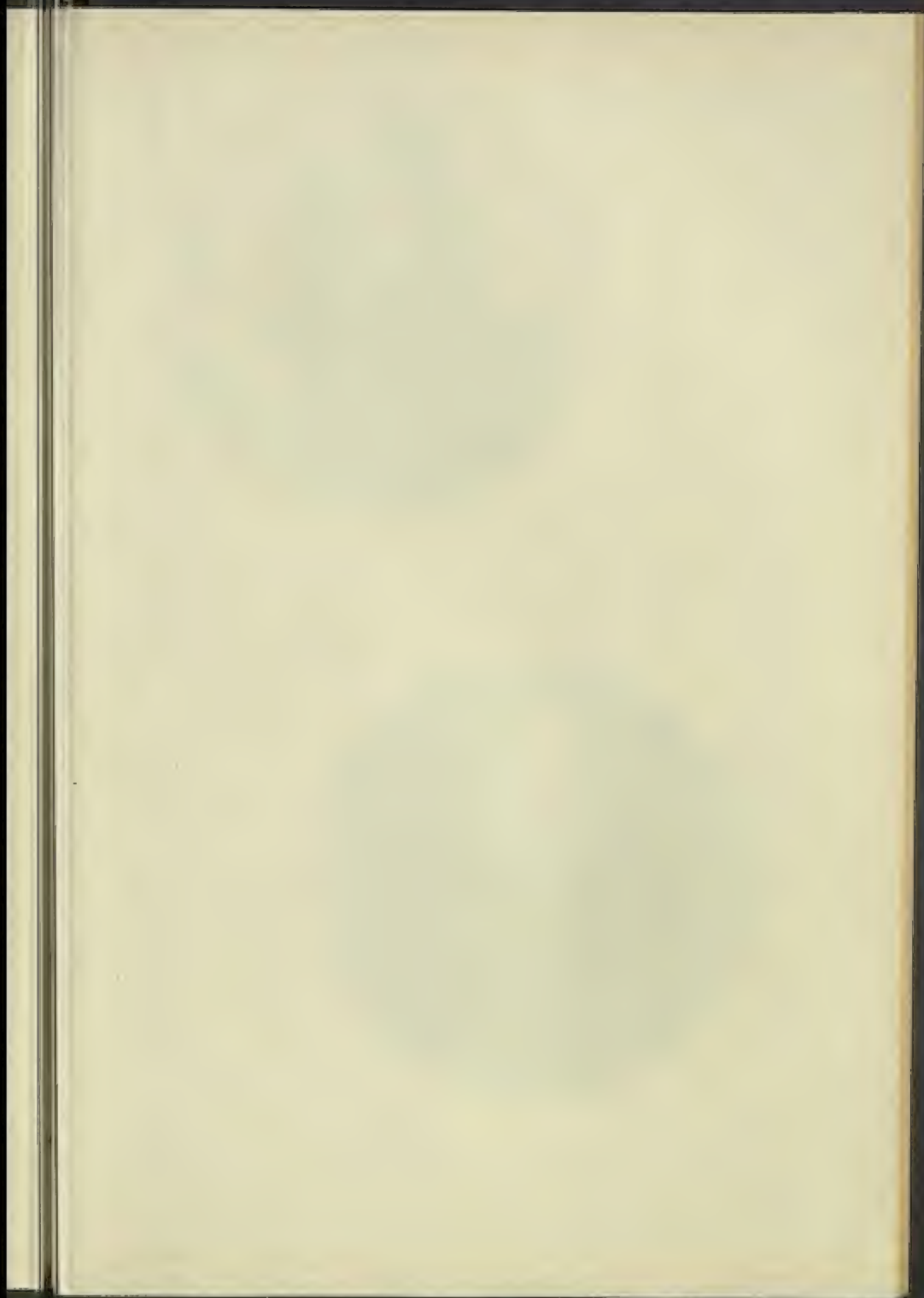




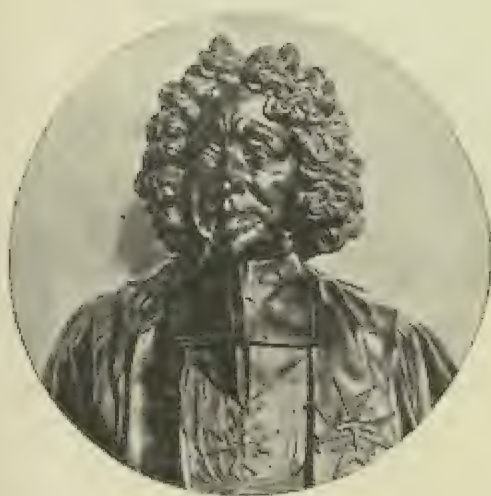
ميكال من البرونز صنع كوازيمو
سكونده الكبير



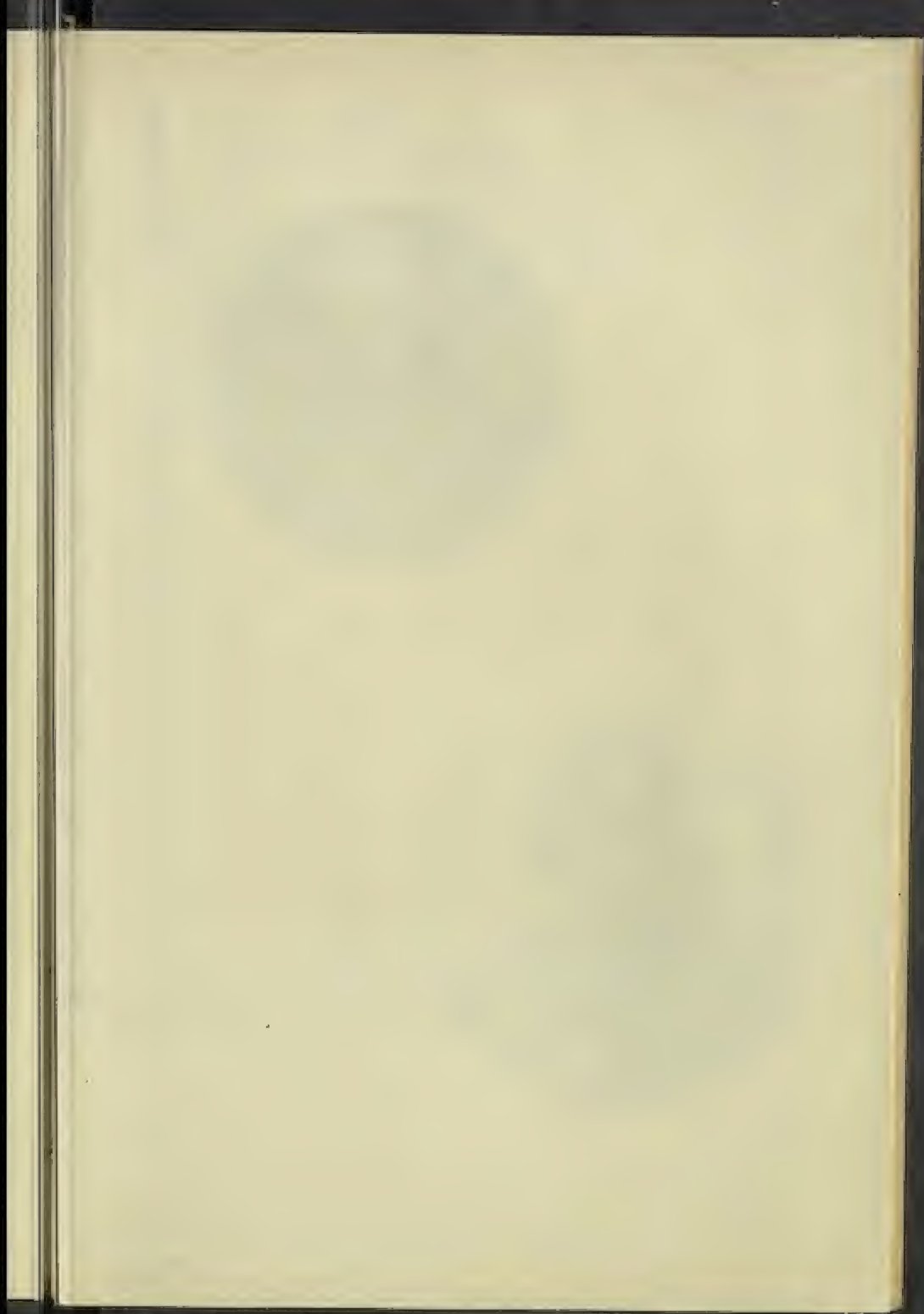
تورين
بريشه تورين



الكردنبال مارلون

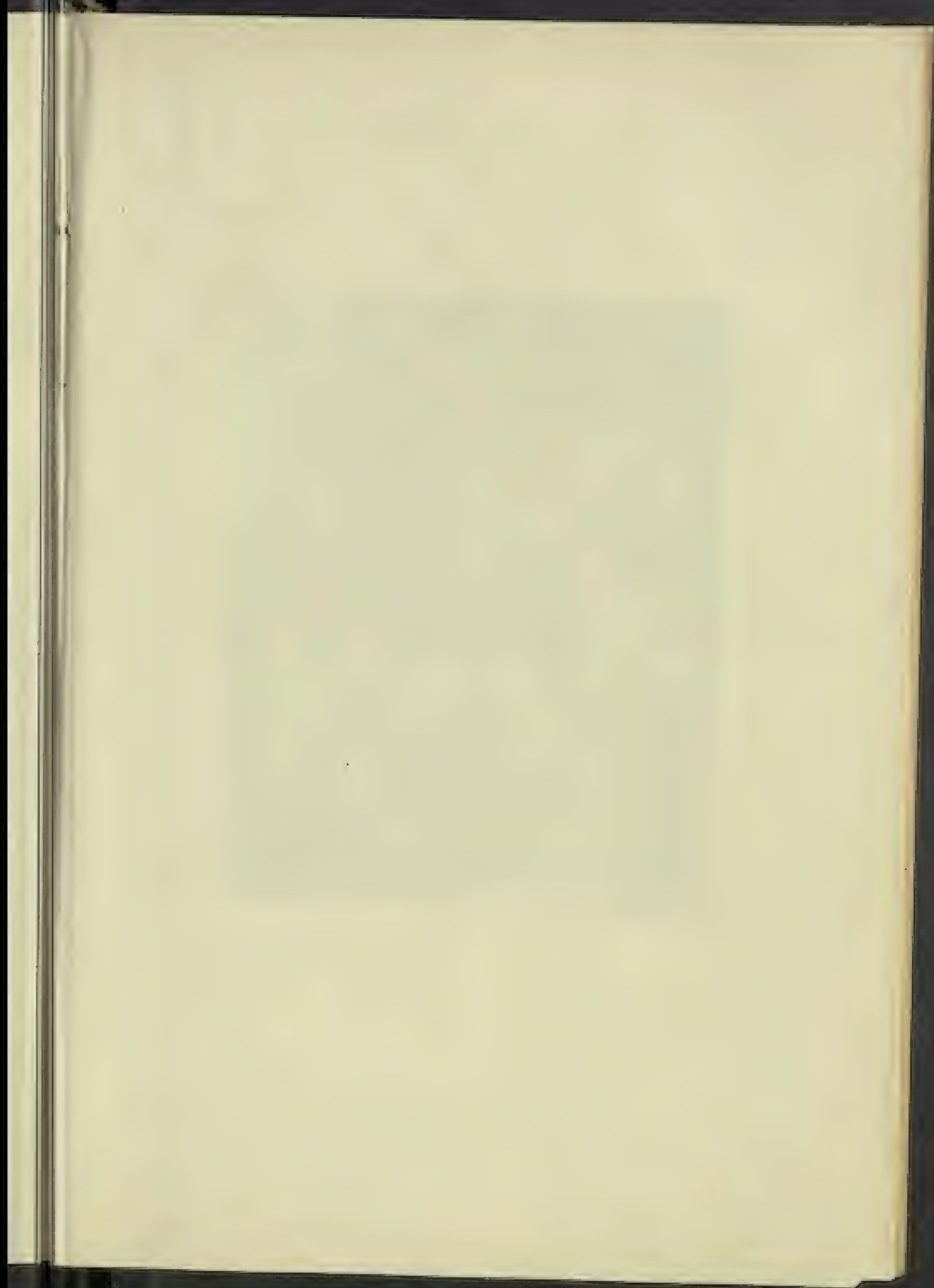


ميشال لوتييه

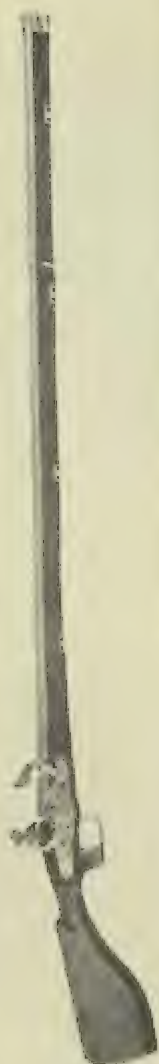




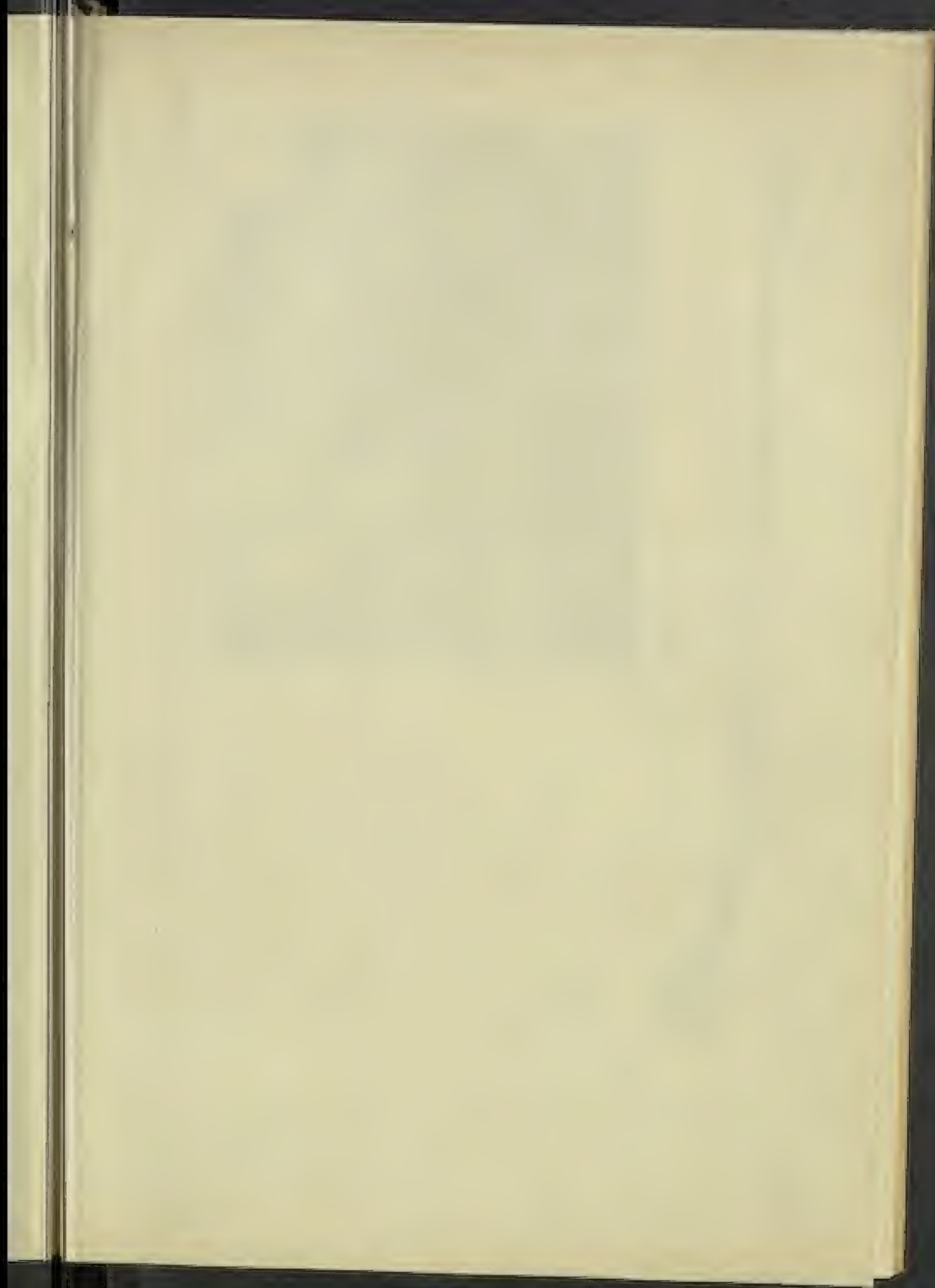
لويس الرابع عشر



لوفوا

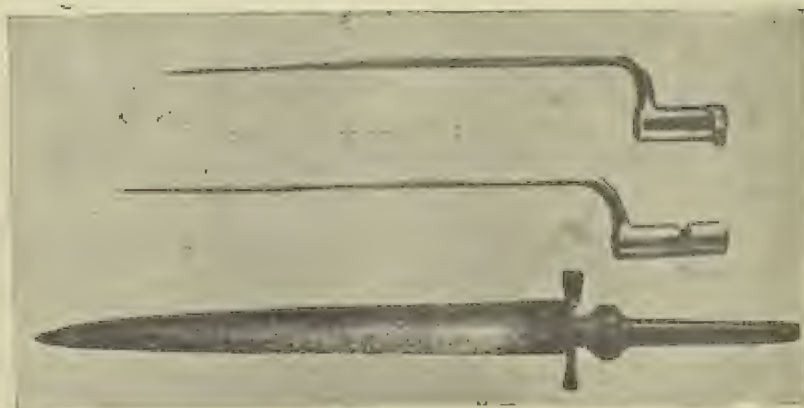


بنديقيّة من طراز العام ١٧٠٠ . وقد اطلق
عليها اسم « بنديقيّة لوفوا » .

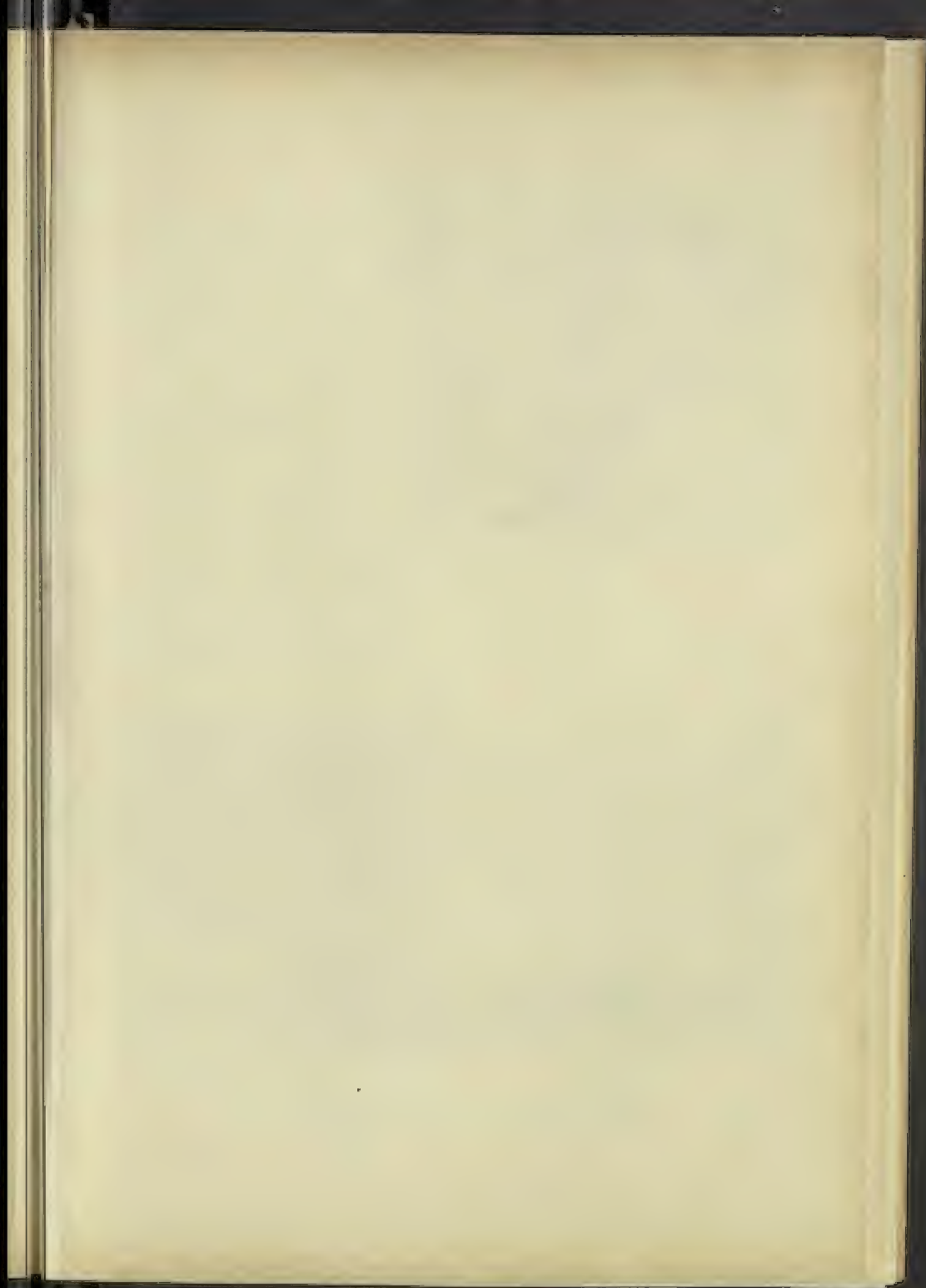




مدفع هاون في حالة الانطلاق .



المراحل التي مر بها تطور الحربة خلال القرن السابع عشر .



قائداً وألف وقائمة خابط . وهكذا خسر الجيش الفرنسي المعركة ولكنه سطم
شوكه العدو واقعده عن مواصلة النضال ، فكانت هزيمته انتصاراً .

وانقضى عامان صايل خلالها « فيلار » الحلفاء وطاؤهم بنجاح نسبي ، ولكن
الحرب استنفدت قوى فرنسا فلم يبقَ لها في « لاندريسي » العام ١٧١٢ سوى
جيش قوامه سبعون ألف جندي تعوزهم الجبول والمدفعية والمؤن .

ورغم هذا لم يفقد لويس الرابع عشر ايمانه بالنصر وبمقدرات فرنسا
فاستقدم اليه « فيلار » في ١٦ نيسان ١٧١٢ ليعهد اليه بقوات الدولة ومصريها ،
في حطة مؤثرة .

وفي اواخر ايار التحق المارشال بالجيش . وكانت قوات الامير « اوجين »
الجزيرة تحشد في منطقة « لاندريسي » ، وقد جعلت من « دينان » قاعدتها
الرئيسية . فسبر « فيلار » غوزها باغارات خاطفة ثم قرر القيام بحركة لف جريئة
ضد « دينان » ، وعهد بالهمة الى قوات مختارة لقت حول جناح العدو فحمت
جنح الظلام فاطمة مسافة ثمانى براسل . وقد تم لها احتلال « دينان » دون كبير
غناء لان الحامية المعادية بوغئت بالهجوم . وقد اباد الفرنسيون وشئتوا اربعة
وعشرين فوجاً وقطعوا خطوط تموين الامير « اوجين » .

وفي اسابيع معدودة حرر « فيلار » « لاندريسي » و « دوي » و « بوشوان »
و « كينوا » واستعادت فرنسا حدودها الشمالية . وقد كافأ الملك المارشال
المنتصر بان اطلق يده في مفاوضة الحلفاء .

الفصل السادس

الجيش في القرن الثامن عشر

١ - التنظيم العسكري

لم يبق الجيش الفرنسي معزول عن التيارات الفكرية التي هبت تتجاذب الشعب في مطلع القرن الثامن عشر ، لهذا كان تطوره في هذه الحقبة جزءاً لا يتجزأ من تاريخ فرنسا السياسي ، وتطورها الاجتماعي والفكري .

وقد انساق الجيش مع التيارات الحديثة بتأثير عوامل شتى ، منها انعدام الاستقرار الحكومي في عهد الوصي على العرش ، ومنها تدمير الجمهور من قسوة انظم العسكرية ، وحالة المفكرين الاحرار على الحرب ودعوتهم الى نسوية الخلافات بالطرق السامية . يضاف الى هذا وذلك عجز الخزانة عن تأمين نفقات القوى المسلحة ، لان معظم الواردات كان ينتهي الى جيوب الوزراء والتدبلاء وحظيات المتريع على العرش .

وليس ادل على تأثر الحكام بالافكار الجديدة ، من المنهاج الذي رسمه « فيليون » والوزير دوق « دوشيفروز » للاصلاح العسكري رغبة منها في التخفيف عن كاهل الخزانة ، فقد اشتمل المنهاج على المبادئ التالية :

- ١ - بكتفى بجيش قوامه مئة وخمسون الف رجل .
- ٢ - لا تقف فرنسا وحدها في صف رسانر اوروبا كلها في صف ، فيحسن

بالساسة ان يتوددوا الى انكفوا ، وان يدوا ايديهم الى هولندا ، وان يحاولوا عقد محادثات مع ايطاليا واسبانيا .

٣ - يكتفى بعدد محدود من المدن المحصنة والتكنات لان كثرتها ترهق الخزانة . ويستعاض عن القلاع والحصون بالاكثار من الاسلحة .

٤ - ينخفض عدد الكراديس الى نصفه ويعنى عناية خاصة بتنظيم هذه الوحدات وتدريبها . وتزاد رواتب الجنود وتدفع لهم بنظام . ويضاعف عدد المستشفيات العسكرية ويعامل الجنود المرضى على قدم المساواة ورؤسائهم الضباط .

٥ - لا عبرة باقدمية الضابط اذا لم يكن ذا مواهب تؤهله للرقية .

٦ - يصرف من الخدمة الضباط الذين تناهت بهم السن ، وليس لهم من مواهبهم ومؤهلاتهم ما يور بقاءهم .

٧ - ليس ما ينع رقية الضباط الحديث العهد اذا لمعوا في ساحات القتال .

٨ - يناط بالجنود تشييد التكنات والحصون ، على ان يعاونهم في مهمتهم فلاحو المنطقة التي تبني فيها هذه الانشآت .

٩ - تنقل ابواب الانفاليد في وجوه مشوهي الخرب والضباط المعورين ويمنع هؤلاء تقاعداً تحدد قيمته بقانون .

هذه هي المبادئ الرئيسة التي اشتمل عليها المنهاج الاصلاحى ، ولكن انعدام الاستقرار السياسى حال دون تنفيذه برئته في عهد الوصى دوق دوولين . اما لويس الخامس عشر فقد اغفل شأنه اغفالا يكاد يكون تاماً . وجاء لويس السادس عشر فوجد نفسه امام تركمة مقلدة بالديون . وجاهته منذ اللحظة الاولى مشاكل لا ابل له بحلها ، فاطت من يده الزمام . وكان

الجيش في جبهة العناصر الوطنية التي تنكرت للعرش ، لتجاري التيار الجارف .
لم يحسن لويس الخامس عشر وخلفه من بعده الاستئثار بالسلطة كما فعل
لويس الرابع عشر ، بل تركها لوزرائها تضيف الامور دون ان يدعها
سلطة هؤلاء ، بل لها من هبة وتقوى .

تولى وزارة الحربية منذ ١٧١٨ حتى ١٧٨٩ ثمانية عشر وزيراً بينهم
سبعة مدنيين ، لمع منهم الكونت « دارجنسون » . ولع من الوزراء العسكريين
« شوازل » و « بيل ايل » و « دوغيون » و « سيغور » و « سان جرمان » .
في عهد « دارجنسون » (١٧٤٣ - ١٧٥٧) انتصر الفرنسيون في موضعي
« فلبيري » و « كوفي » وقد استبقاه لويس الخامس عشر في منصبه اربعة عشر
عاماً متواصلة لانه عرف كيف ينشئ جيشاً للملك . ويقول المؤرخون ان
اصلاحه العسكري ينحصر بتوسيع نطاق الميليشيا الاهلية وباقامة ملاك
الضباط على اساس ديققراطي .

وذكر المؤرخ « ميشله » ان « بيل ايل » الذي ولي وزارة الحربية ١٧٥٨
حاول تقوية الجيش بدم جديد ، ولكن بمجهوده ارتطم بانقراض الكوارت التي
جرتها على فرنسا حرب السنوات السبع . اما خلفه دوق « دو شوازل » فقد
كان سياسياً بعيد النظر وعسكرياً مجرباً . ولي في وقت معاً وزارات الخارجية
والحربية والبحرية ، واستطاع ورغم وفرة مشاغله ان يولي الجيش عناية كبيرة
ولكن مشروعاته الإصلاحية لم تتحقق كلها ، لانت حكمه زال بزوال صديقه
المرتكزة « بومبادور » حفظة الملك .

تقلص تقوى الندماء والمخطيات في عهد لويس السادس عشر ليفسخ المجال
امام تدخل الملكة « ماري انطوانيت » . الا ان هذا لم يحل دون التضحية
بالوزراء المنتخبين ارضاء للمصائب وذوي القربى . وقد لمع في هذا العهد

الوزيران « سان جرمان » و « سيفور » ، فأعاد أولهما النظام الى التكتلات بتعزيزه سلطة الوحدات ، وعني الآخر بوضع قواعد جديدة لتعبئة الميليشيا دون ان يتعد كثيراً عن المبادئ التي استوحى منها « بيل ايل » اصلاحه في هذا الباب .

الميليشيا الاقليمية وصف بعض المؤرخين القرن الثامن عشر بأنه « عصر الميليشيا » وهو وصف ينطبق على واقع الحال انطباقاً تاماً .

انشت الميليشيا الوطنية على اساس الخدمة الاختيارية ، فطفت تدريجياً محل الميليشيا البورجوازية ، وقضت على فوضى التعبئة المرتجلة التي كان يلجأ اليها عندما يكون الوطن في خطر . ولم يبق من الوحدات غير النظامية القديمة سوى عناصر خاصة نبطت بها تغطية الحدود المهددة . ولكن تنظيم الميليشيا على اسس جديدة لم يكن خطوه نحو دعمها بالجيش . فقد ظل غذا منظوباً على نفسه داخل التكتلات .

وظلت الميليشيا الوطنية قوات ذات طابع مؤقت ، يلجأ اليها في الحرب ونسرح في السلم ، الى ان احياها مرسوم شباط ١٧٢٦ عليها من النظام الريوي وجعل منها قوات احتياطية دائمة .

وقد اهتمل شأن الميليشيا بعد حرب السنوات السبع . وجاء الوزير « شوارزول » فأولاهها جانباً من اهتمامه ، ووضع نظاماً للتعبئة يقضي بتجنيد الرجال الصالحين للخدمة طبقه بعد اخرى . ولكن الذين تولوا الوزارة بعده ألغوا هذا الاساس واعتبدوا نظام الفرقة .

عُينت الميليشيا الوطنية تعبئة عامة ثلاثاً وأربعين مرة بين ١٧٢٦ و ١٧٨٩ ، وبلغ عدد المجندين للحملة البولونية ٨٤٠١٣٢ رجلاً . واشترك في الحرب ضد النمسا ضعفا هذا العدد . وفي سنة ١٧٨٩ بلغت نسبتهم الى الجنود النظاميين

في جيش المشاة حصة الى غاية .

الا ان اهمية الميليشيا ظلت محصورة « بالساحية العديدة . ففي السلم كانت تسرح رغم الصفة الدائمة التي منحها اباهيا مرسوم ١٧٢٦ . ويقول المؤرخ « ميشله » ان الميليشيا الوطنية كانت شراً لا بد منه في نظر ملوك القرن الثامن عشر . وقد رفقت حكومات القرن المذكور ان تذيب هذه القوات في الجيش النظامي ، فظلت مستقلة تؤلف افواجاً لا رابطة بينها .

وفي آب من العام ١٧٧١ ألغى مرسوم ملكي اسم الميليشيا واطلق عليها اسم « القوات الاقليمية » تمهيداً لضمها الى الجيش النظامي . ثم نظمت ملاكاتها على اساس الكردوس الدائم بعد ان كانت على اساس الفوج .

وجاء الوزير « سان جرمان » فألغى هذه الكراديس « لان مسلكتها في ميادين القتال لم يكن مرضياً . » (من تقرير رفعه الوزير الى الملك) . ولكن خلفه « مونباري » انشأ الى جانب كل كردوس نظامي كردوساً اقليمياً ، الا انه ابقى للقوات الاقليمية (الميليشيا) ملاكاتها الخاصة لان الجيش النظامي يهرم دائماً بالمحاولات التي بذلت في العقود السابقة للاحاق الميليشيا به . وتلقى « مونباري » تقريراً مطولاً رفعه اليه القادة ، عندما تراسى اليهم خبر اعتزام الوزير اعادة تنظيم الكراديس الاقليمية . وقد جاء في التقرير ان الجندي الاقليمي محارب شجاع ، ولكنه عديم الخبرة ، نزاع الى التوضي . فاذا أحق بكردوس نظامي في الحرب يتأثر الجنود بسلكه ويحتل النظام .

القرعة . — كانت تعبئة الميليشيا تخضع لنظام القرعة . فيجسع في ساحة عامة جميع العزاب والمزوجين الذين لم يرزقوا اولاداً ، ليسحبوا ، كل بدوده ، ورقة من قبة مندوب الحكومة . فمن كان نصيبه ورقة بيضاء يعفى من الخدمة ، ويبقى من يسحب ورقة سوداء .

كانت يعفى من القرعة ، وبالتالي من الخدمة ، الاكليروس والاشراف والمتزوجون ارباب العيال ، واصحاب المهن والحرف والمرضى والمصابون بعايات . ويقول المؤرخون ان سواد الشعب ظل يقبل على القرعة دون تبؤم ، الى ان بدأ الرؤساء يسيئون معاملة الجنود الاقلبيين ، ويحاملونهم تبعة الاخفاق بعد كل معركة خاسرة . فنفر الشعب من المؤسسة نفوراً حثيثاً من الشبان على التهرب لينجوا من القرعة . وذكر « موتسكيو » ان ثلاثة آلاف شاب في « نانت » شوهوا اجسادهم بعايات مختلفة ليتسنى لهم الافلات من « نظام التبعة البغيض » .

الاصلاح العسكري . — بعد حرب السنوات السبع قيام رجال الفكر والكتاب العسكريون بطالبون بتنظيم الجيش على امر جديدة . ولكنهم شخصوا الداء ولم يصفوا للحالة العلاج اللازم . وقد وضع الوزير « لوفوا » مشروعاً اصلاحياً يقضي بتزع صلاحيات التجنيد من الضباط آري الافواج . الا ان الموت عاجله قبل ان يضع مشروعه موضع التنفيذ . وحاول الوزير « دارجنون » ان يجعل من الجندية خدمة عامة يؤديها المواطنون بمجرد صدور المنشور الملكي بدعوتهم الى حمل السلاح ، فاصطدمت بمحاولته بمعارضة الضباط ، وظل هؤلاء يتولون تبعة افواجهم ويضعونها في خدمة الملك .

وفي عهد الوصي دوق « دورليان » اخضع التجنيد لضرب من ضروب التزيم ، فكانت المهمة تناط بالضابط الذي يتعهد بتعبئة عدد معين من الرجال باقل كلفة مستطاعة . وظلت الحال على هذا المتوال الى العام ١٧٦٠ ، فاننى الوزير « شوازول » نظام التبعة القديم جاعلاً من الجندي رجلاً الملك وقد كان حتى ذلك التاريخ رجلاً الضابط الذي يجنده .

قضى اصلاح « شوازول » باعفاء الضباط من مهمة التجنيد وحصر

هذا الحق بالملك أو بمن يمثله . وجاء في المرسوم الملكي الذي كُتِل في
الثكنات على آمري الكراديس والافواج ، أن الملك رأى أن يأخذ على عاتقه
عملية كانت من اختصاص الضباط ليتسنى هؤلاء أن يصرفوا اهتمامهم إلى المهام
الرئيسية المنوطة بهم .

ومنذ العام ١٧٦٢ صارت التعبئة خاضعة لنظام خاص . ففي كل حملة
مركز للتجنيد وموظفون يعرضون على الصالحين للخدمة عقوداً صريحة أعدت
سلفاً في وزارة الحربية . وبعد التعبئة يتولى المركز تدريب المجندين الجدد
قبل ضمهم إلى الكراديس الجديدة ، حيث يدربون تدريباً إضافياً ويجهزون على
نقطة الدولة ، قديماً للاحاقهم بإحدى الوحدات العاملة .

ومن اصلاحات « شوازل » الحربية التدابير التي اعتمدها لتأمين الاستقرار
في الجيش . ففي العهود السابقة كانت الافواج ترتحل ارتحالاً كلما انقضت
الظروف الحربية تقوية الجيش ، ونسرح بالجملة بعد أن تضع الحرب أوزارها .
فكان ينجم عن هذا عدم استقرار في الملاكات ، فضلاً عما تصطدم به التعبئة
السريعة من عقبات .

حدد « شوازل » عدد الوحدات التي يتألف منها الجيش ، وجعل هذا
العدد واحداً في الحرب والسلم ، على أن يسرح من كل فوج نسبة مئوية
معينة ، حتى إذا حدث ما يستدعي التعبئة ، يصار إلى سد النقص الحاصل في
كل فوج دون أن تكون قلة حاجية إلى ارتحال افواج جديدة . أما ملاك
الضباط فيظل هو أياه ، أي أن عددهم لا يتأثر بزاوجة عدد جنود الفوج بين
النقص والزيادة .

قامت في طريق هذا الإصلاح الخطير عقبات ذات بال . فقد أبطأ
كاهل الحُرانة بقاء الافواج التي عُبئت أبان حرب السنوات السبع . فوجب

الملك الى وزيره تسريع خمسين بالمئة من القوات ، وبهذا ضاعت الفائدة من الترتيبات الجديدة ، ولم يبق قيد التبعة سوى افواج اسبانية .

وحاول « شوازل » ان يخفض عدد الكراديس تبعاً لتناقص عدد الجنود في الافواج ، فاحتج آخرو هذه القطعات على المحاولة وكتب « دوق برويلي » الى الوزير يقول ان الشروع بخلق معارضة شديدة في صفوف الضباط الذين يطعمون الى قيادة الكراديس عند بلوغهم السن التي تخولهم هذا الحق . فخفض عددها ببطء عزائم كثير من هؤلاء لانهم يتفانون في خدمة الملك طمعا بالترقية .

واخذ مؤرخو العصر والنقاد العسكريون على اصلاح « شوازل » الفناء الالدية كأساس لترقية الضباط الى رتبة عقيد (ليوتانت كولونيل) ، وتركه اختيار من يستحقون الترقية لتقديم الرؤساء الذين لم يكن التجرد والعدالة من صفاتهم المميزة .

وشمل اصلاح « شوازل » ملاكات ضباط الصف . كان النظام القديم يحتم على المنكب والعريف (سرجان وكابورال) الرافقين في الترقية ، ان يقضيا في الخدمة مدة معينة ويجيدا عقد الخدمة عند انتهائه . فالغى اصلاح الوزير هذا القيد وجعل مسلك المناكب والعرفاء ، ومعرفتهم القراءة والكتابة شرطاً لترقيتهم الى رتبة ضباط صف . ووضع نظاماً لترقية العريف الى رتبة منكب بقضي بان يختار المستحقين في كل فوج اثنا عشر من المناكب الاقدم عهداً في الخدمة ، ويعرضوا الائمة والاسباب الموجبة على آمر الفوج ، فيقترح هذا ترقيتهم على آمر الكردوس .

وعني « شوازل » بترقية مناهج التدريس في المعبد الحربي الملكي الذي انشئ في العام ١٧٥١ ، فاضاف الى الغراماطيق والحساب والجغرافيا والتاريخ

علم الهندسة وفن رسم الخرائط وفن التحصين والمبارزة بالسيف . وجعل تعلم اللغة الألمانية والفرنسية إجبارياً . ورضع الوزير المعهد الحربي في عهده ضباطاً لامعين .

وفي عهد لويس السادس عشر نعت فرنسا بعهد سلمي طويل الامد ، فغفل خلقاء « شوازل » اكمال اصلاح الذي بدأه ، وصاروا ينظرون الى الجيش نظرم الى مؤسسة اجتماعية ينبغي للرؤساء ان يجعلوا منها اداة لتقوية الروح الوطني . وقد تأثر وزراء الملك بالتيار الفكري الجارف فعضوا الطرف عن تسرب الافكار الجديدة الى الشكاات .

وحاول الوزير « سان جرمان » في العام ١٧٧٥ ان يعيد الى الجيش طابعه الاصلي فاصدر سلسلة قرارات جريئة يقضي معظمها بتنظيم وحدات المشاة على اسس جديدة .

لم يكن عدد الافواج واحداً في كل الكراديس ، فوحده « سان جرمان » بان جعل فوام الكردوس فوجين ، وألحق بقيادة الكردوس مجلس ادارة عدد اعضائه خمسة ، مهمتهم ادارة شؤون القطعة المالية والاتفاق من صندوقها في وجوه التعبئة والتجيز والتسلح . وحدد الوزير جراحة الجندي الواحد فجعلها متي غرام طماً في اليوم يضاف اليها الحساء و ٢٣٠ غراماً خبزاً وقليل من الفاكهة المجففة .

وانشأ « سان جرمان » رتبة معاون (اذجودان) ، وهي اعلى المراتب في ملاك ضباط الصف . وناط به تنشئة المناكب والعرفاء وواجب ترقية الى رتبة ملازم ثان (سولبونان) بعد مضي مدة معينة .

ولاحظ الوزير ان قوات الحرس الملكي التي تؤلف قطعة خاصة لها امتيازاتها ، هي عالة على صندوق الدولة لانها لا تأتي عملاً نافعا ولا تدفن

بالطاعة لغير الملك . فاقترح تسريح خمسين بالمئة من رجال الحرس . فقبل
اقتراحه بمعارضة شديدة من جانب الضباط والبطانة . وكب المارشال « دونوي »
قائد الحرس الملكي الى لويس السادس عشر بناشده احباط « مؤامرة سان
جرمان الذي يحاول ازالة السياج الوحيد الذي يحمي الملكية وحقوقها
وامتيازاتها . »

وابطل الوزير المصلح عادة حاول سلقاؤه انبساطها ، فقامت في طريقهم
عقبات عجزوا عن تخطيها ، وهي شراء بعض المناصب العسكرية بأموال كان
يتقاضاها الرؤساء باسم الدولة ويستأثرون بمعظمها . وقد رفع « سان جرمان »
اقتراحه الى البلاط مرفقاً بذلكه جاء فيها : « انت المناصب العسكرية
ليست سلماً تباع وتشرى ، فليس اقل للطموح والكفاءة والامانة للواجب
من بقاء هذه العادة القبيحة . »

بيد ان الغاء المناصب المشتراة كان يحتم التعويض على شاغلها بعد تسريحهم ،
فاضج الملك بان خزائنه الدولة لا تستطيع حمل هذا العبء الا اذا تم التسريح
تدريجياً ، وقد كان .

والغنى « سان جرمان » المدرسة الحربية « التي تخرج ضباطاً يتقنون الرقص
وحديث الضالونات ولا يصلحون لأكثر من هذا » ، (الكلام للوزير)
واستبدل منها عشر مدارس اقليمية تخرج منها الضباط العظام « بولابوت »
و « دافو » و « كارلو » و « مورتيه » و « مارمون » .

وبذل « سان جرمان » مجهوداً حاداً في سبيل تخفيف الانقار فامر بان
يعامقوا برفق ، وحظر معاقبة جندي على مخالفة يرتكبها قبل محاكمته وسماع
دفاعه . والغنى عقوبة الجيش مستبدلاً منها الضرب على الطريقة الالمانية . بيد
ان مشاركة الاصلاحية لم تلق تأييداً في اوساط الجيش ، واثارت نفقة اتباع

المدرسة القديمة من كبار الضباط .

اما خلفه « سيجور » فقد اضطلع بمهنة معاونه مجلس حربي فوامد حصة قادة وضابط برتبة رعيم (كولونيل) . وقد غني الوزير والمجلس بإنشاء وحدتين كبيرتين هما الفرقة واللواء . وجعلت الفرقة الوحدة الكبرى ويليها اللواء فالكردوس فالفرج الخ ... ويقول الكولونيل « ريفول » في كتابه « تاريخ الجيش الفرنسي » ان الفرقة الواحدة كانت تضم الوية من المشاة العاديين والمشاة الخفاف والوية اخرى من الخيالة . اما المدفعية فقد ظلت سلاحاً مستقلاً .

وفي العام ١٧٨٨ كان الجيش الفرنسي يضم احدى وعشرين فرقة موزعة بين مناطق الحدود والكنات ، يضاف اليها سبع عشرة فرقة اقلية او مرابطة ، مستقلة عنها استقلالاً تاماً

٢ - الحروب

حروب لويس الخامس عشر . - قال لويس الرابع عشر لولي عهده عندما احس دنو اجله : « كنت كافاً بالحروب فلا تنسج على منوالي . » وقد عمل لويس الخامس عشر ولويس السادس عشر بهذه الوصية فلم ينحطل عهدهما سوى ثلاث حروب كبيرة في غضون عشرين سنة ، ونعمت فرنسا بالسلم طوال نصف قرن .

نشبت الحرب الاولى في عهد لويس الخامس عشر من اجل العرش البولوني . فحاض الفرنسيون غراتيا مسوقين بعاملين ، اولها تأمين عرش لوالده ملكة فرنسا ، والاخر منع روسيا والنمسا من بسط سيطرتها على بولونيا الضعيفة ، واقامة عرش حليفها « اوجست » الثالث منافس مرشح البلاط الفرنسي . بيد ان مساعدة فرنسا لبولونيا اقتضت على ارسال لواء الى دانتيغ بقيادة

الكونت « دي بلو » فحاصره الاعداء وابادوه بعد قتال مجلث فيه بطولة الحملة الفرنسية بأروع مظاهرها .

واستطاع الكردينال « فلوري » وزير لويس الخامس عشر ان يؤلب ضد النمسا الدول التي تخشى خطرها ، فاضطر النمسيون لمفاوضة الكردينال في العام ١٧٣٨ فوقع التريقات على عهدة فيينا التي تركت لأوغست الثالث عرش بولونيا ، على ان ينتقل بعده الى « ماري تيريز » ابنة شارل السادس النمسي . ومقابل هذا تنازلت النمسا عن « اللورين » و « استانيسلاس لكونفيسكي » والد ملكة فرنسا على ان تضم فرنسا هذه المقاطعة بعد وفاة « استانيسلاس » او في حال تنازله .

وفي العام ١٧٤٠ ارتقى العرش الجوسفي فريدريك الثاني وارتقت « ماري تيريز » العرش النمسي . فدخل الملك الجوسي عهده باجتماع مقاطعة « سيليزيا » (١٧٤١) ولكن عمله فويل بعظم في فرنسا المعجقة بالملك الشاب ، الحافدة على آل « هابسبورغ » . وما عم لويس الخامس عشر والكردينال « فلوري » ان زجا بفرنسا في فحرات الطرب الى جانب روسيا . وقد انتهزت انكفرتا الفرصة فلبعت لعبها في البحر وتمكنت دون كبير عناء من وضع يدها على جزء من « الفلاندر » ايضا كانت جيوش لويس الخامس عشر تخرز انتصاراً باهراً في « براغ » . الا ان « ماري تيريز » ما شئت ان تقامت وفريدريك فتنازلت له عن « سيليزيا » وتفرغت بعد السحابة من الميدان لمصارلة الفرنسيين ، فاضطر هؤلاء للجلاء عن بوهيميا والمانيا ، بما كان له اسوأ وقع في الرأي العام . ولكن الجيش ما لبث ان انقذ سمته بانقاذ البلجيك وباتغلب على الانكليز في موقعة « فونتنوا » (١٧٤٥) . وفي هذه الاثناء نقض « فريدريك » الثاني الاتفاق الموقود بينه وبين « ماري تيريز » واحتل « بوهيميا » ، وكذا الحلف

الفرنسي البروسي بأي فضل النتائج لو لم يتفرد « فريدريك » بمصالحة النمسا وانكلترا ، فاضطرت فرنسا للتوقيع على عهدة « اكس لاشايل » (١٧٤٨) التي جردتها من مكاسبها في الاراضي الواطية . اما « فريدريك » فقد احتفظ بفتوحاته كلها .

حرب السنوات السبع . - عقدت انكلترا و « فريدريك » الثاني الحناصر ضد فرنسا والنمسا ، ووضع الانكليز نصب اعينهم تجريد الفرنسيين من مستعمراتهم ولاسيما الهند وكندا . وقد انضمت الى الحلف الفرنسي النمساوي روسيا واسبانيا .

بدأت الحرب سنة ١٧٥٦ بعصية بحرية من جانب الانكليز . وما عم جيش « فريدريك » ان اجتاح بلاد « الساكس » . فكان على فرنسا ان تواجه الضغط البروسي في البر ، وان ترسل المدد بجرأ الى كندا والهند . ففي البحر بدأ الفرنسيون الحرب بداية حسنة بانتصار « ميورقة » ولكن الانكليز خسروا معركة ولم يخسروا الحرب . ولم يطل بهم الامر حتى احرزوا التفوق ، فقطعت بحريتهم المسد الفرنسي عن « مونكالم » في كندا وعن « لالي تولندال » في الهند . اما في البر فقد هزم الفرنسيون وحلفاؤهم ، البروسيين والانكليز في اكثر من موقعة . الا ان « فريدريك » الثاني لم نفسه واستطاع ان ينزل باعدائه ضربة قاصمة في موقعة « روسباخ » (١٧٥٧) التي سبأني الكلام عليها فيما بعد . وظلت الحرب شجاليا بين الفريقين الى ان انتهت في العام ١٧٦٣ بصلح بكونس انتصارات بروسيا وتفوق انكلترا البحري . وقد تخلت « ماري تيريز » عن « سيليزيا » وفقدت فرنسا ككندا والضمّة اليسرى لنهر ميسيسيبي والسفال والهند .

عهد لويس السادس عشر . - نعمت فرنسا في عهد لويس السادس عشر

يسلم طويل الامد . واستطاع بعض الوزراء المصلحين ان يبعثوا الاسطول وان يعدوه للهام الكيوية . اما الجيش الذي نهكت قواه حرب السنوات السبع ، فقد اعيد تنظيمه رغم الازمات الداخلية ولاسيما المشادة بين البلاط وممثلي الشعب .

وفي العام ١٧٧٦ عرضت للاسطول مناسبة اثبت فيها وجوده وهي الحرب الاستقلالية في اميركا . فقد نطقت سفن الاميرال « سوفرين » كل العبارات التي اقلها الاسطول الانكليزي في طريقها ، ناقة الحملة الفرنسية الى وطن « واشنطن » . فكان لنجاح الثورة الاميركية نجاحاً للقضية الاستعمارية الفرنسية لان انكلترا تخلت عن « دنكرك » وودت الى فرنسا السغال و « الايتيل » وبعض المدن الهندية .

٣ - تكنيك واستراتيجية

رغم بعض المؤرخين العسكريين ان الفرنسيين عنوا بترقية الفن الحربي بعد هزيمة جيشهم في « روسباخ » ، فراح علماءهم العسكريون يدرسون نظريات « فريدريك » الثاني وييسطونها داعين الى تبنيها . ولكن هذا ليس رأي الجنرال « مكسيم بومان » الذي يذكر في كتابه « تاريخ الجيش الفرنسي » ان الفن الحربي في فرنسا بدأ بقطنة الفكرية قبل حرب السنوات السبع فاقترح « ميشيل ديوان » في العام ١٧٤٧ قواعد جديدة لحرب الحركات في كتابه « نظام جديد للتكتيك الفرنسي » . وظهرت « تأملات » موديس « دو ساكس » قبل ان يعد « فريدريك » الثاني يده الى اعداء فرنسا بعد معاهدة « اكس لاشايل » .

وبعد « روسباخ » غني اسانذة الاستراتيجية والتكتيك بدراسة اساليب « فريدريك » ، ووضع « غيوت » كتابه « محاولة في التكتيك العام » فور عودته من روسيا . فاهضت الالدية العسكرية بالكتاب واعتلته المجلس الحربي احباً

للاصلاحات التي ادخلت على التنظيم الفرنسي ، كما اعتمد دراسات الشيفاليه « دوشاستاي » عن خطط الملك البروسي .
القادة الفرنسيون . - كان عهد لويس الرابع عشر غنياً بالقادة الافذاذ امثال « تورين » و « كوند » و « برويك » و « فيلار » . ولم يكن هذا شأن عهد خلفيه . فقد لمع قادة ببطولتهم واقدامهم ولكنهم كانوا محدودي الاطلاع . قليلي الخبرة ، ضعاف الشخصية والنفوذ .

ومن هؤلاء المارشال « دوييل ايل » والجنرال « شيفير » الذي تطوع وهو دون الثانية عشرة ، ورفق الى رتبة ملازم اول في الخامسة عشرة ، وقد تميز في موقعة « براغ » بشجاعة فادرة ، وكان يعاون الجنرال « سوييز » رتبة عقيد (اليوتنان كولونيل) . تميز انت مؤرخي العصر يردون اليه فضل الانتصار الفرنسي ويقولون ان « سوييز » نفسه عيىب لعسا المارشالية تسلم اليه هو مع ان المنتصر الحقيقي هو « شيفير » . وقد توفي القائد الشجاع عن اثنين وستين عاماً ، بعد ان لمع في معظم المواقع التي خاض نحرانها كقائد معاون او كقائد مسؤول عن سير العمليات . وانزل في القبر وهو امير جيش لانت انه لم يمت في اجله كي يتسلم عسا المارشالية .

واشتهر بين قادة القرن الثامن عشر دوق « دو برويلي » الذي ارتفعت اسبه بعد انتصار « مانتو » ثم حمل تبعات اكثر من هزيمة . وبعد انسحابه من الخدمة الفعلية وضع مواهبه واستبدانه في خدمة المجلس الحربي . وكان من انصار التجدد في حقل الاستراتيجية والتكتيك .

اما ابرز قائد عرفته فرنسا في عهد لويس الخامس عشر فهو « موديس دوساكس » الالماني بطل انتصار « فونتنوا » . حمل موديس السلاح في الثانية عشرة من سنه ليخوض نحران القتال ضد الجيوش الفرنسية في

« مال بلاك » ، ومن ثم قاتل في الجبلون التسوية ، والروسية والغروسية . وفي العام ١٧٢٠ وضع خبرته في خدمة ملك فرنسا وحرس منذ اللحظة الاولى على الاحاطة بنفسية الجندي الفرنسي ، وما لبث ان اسر جنوده بشجاعته ورجائه صوره .

وفد اجمع المؤرخون على ان لويس الخامس عشر اعطى القوس باريا عندما عين « دوساكس » قائداً عاماً ، لان الرجل نكشف قبل « فونتوا » عن قائد موهوب يتجلى بوسائل الزعامة العسكرية : نشاط خارق ، فصر تائب ، سرعة في التصميم ودقة في التنفيذ ، لا يؤخذ بالمفاجآت ، ولا يتردد في ارنجال الخطط المناسبة ، اذا طرأ على الموقف ما لم يكن بالحساب .

موقعة فونتوا . — تقدم معنا ان « موريس دوساكس » هزم الانكليز في « فونتوا » . وقد ورد عن الموقعة الوصف التالي في تاريخ الجيش الفرنسي للكولونيل « ريفول » :

في نيسان من العام ١٧٤٥ انتشر جيش « دوساكس » على الضفة اليسرى لنهر « ايسكو » مغطياً بلدة « فونتوا » وكانت مبستة عند من قرية « اوتوان » حتى فونتوا مؤلفة تنوعاً بارزاً يستند طرفه الايسر الى غابة « باري » . وفي الحيز غير المشغول بالتحصينات جهد « دوساكس » كرادبه المتخوية جفواً اربعة ، ونصب ستة مدفع امام قلب الجواز الفرنسي ومبرته .

وفي الحادي عشر من ايار هاجم ثلاثة وخمسون الفاً من الانكليز والهولنديين والهانوفرين بقيادة « كبرلند » الجيش الفرنسي المؤلف من اربعين الف مقاتل . انقض الهولنديون والابكوسيون على الجانبين الفرنسيين فردوا على اعصابهم . اما القلب فقد مشت اليه ثلاثة جعافل انكليزية وهانوفرية ، الجيش الفرنسي

وقبل ان تحمل حملتها دعا قائدها لورد « تشارلس هاي » الفرنسيين الى اطلاق النار اولا ، فكان جواب القائد اوتروش : « لا يا سيدي ، اننا ننزل لكم من هذا الشرف . » الا ان هذا الملك الفرنسي كلف الجيش الفرنسي غالباً . فقد تراجع الخط الاول امام نيران العدو الكثيفة ، وهم الخلفاء باستنار هذا التجاح المبدي ، ولكن الملك و « موريس دوساكس » سارعا الى تعزيز القلب على حساب الجناحين الذين نجحوا في صد افولنديين والايكوسيين ، فتكسرت الهجمات المعادية على صخرة عناد المشاة الفرنسيين ، حتى اذا دب القنور الى مهم الخلفاء كوت الخيالة بقيادة « دوساكس » نفسه مرغمة الجناحين المعادين على ترك مراكزها والانضمام الى القلب . فالتفت منها جميعاً جيش مكنتي بطي ، الحركة عاجز عن المناورة .

ولم يترك قائد الجيش الفرنسي لـ « كهرلد » فرصة لاعادة تنظيم قواته ، بل حل على العدو حصة موقعة بساندها الاحتياط والحرس الملكي ، فاضطربت صفوف الخلفاء ، وما عثموا ان اخلوا الساحة بخلفين الوف القتلى والاسرى والجرحى .

موقعة روسباخ . - لم يقيض لفرنسا ان يفقد جيوشها « موريس دوساكس » في المعارك التي خاضت لخراستها ضد قوات فردريك الثاني . ذلك بان القائد الكبير اعتزل العمل عندما تنكّر الملك البروسي لخلفائه الفرنسيين وانضم الى المعسكر الآخر . ولا يختلف اثنان في ان فردريك الثاني واحد من عظماء القادة في التاريخ . ولم تنجل مواهبه في حربي الاستواثيجا والتكيك فصب ، بل تجلت في التنظيم والادارة .

لقد اختلف المؤرخون والقادة العسكريون في تقدير قيمة الانتصار الذي احرزه جيش فردريك في « روسباخ » ضد الجيوش المتحالفة . ويقول الجيرال

ويغان في تأريخه الجيش الفرنسي أن بعض النقاد المعاصرين جعل القائد الفرنسي « سوبيز » نبذة الخربة ، مع أن قوات الملك البروسي المؤلفة من عشرين ألف رجل دحرت جيوشاً متحالفة تضم خمسة وستين ألف مقاتل منهم أربعة وعشرون ألف فرنسي . ولم تكن القيادة العامة للفرنسيين ، فقد قولها « دوق » هبلد بورغوزن « وهو الماني وكان « سوبيز » مساعداً له .

لاحظ فردريك قبيل نشوب المعركة أن قوات الحلفاء تحتل مراكز حصينة ، فانكفأ بسرعة مستمهماً أعداءه إلى أرض يجلوها جيلاً ثلماً . وحجاة بدل الملك البروسي انجاءه مستخدماً الأرض في اخفاء مناوئته ، ولم يشعر به الحلفاء الا وهو منقض عليهم ، ففعل عنصر المفاجأة فعله ، ففر « دوق » هبلد بورغوزن « وشاع الارتباك والفوضى في صفوف الحلفاء .

الخط المائل . - رد بعض النقاد نجاح فردريك إلى تقوق القائد البروسي وإلى اخذ الملك بآساليب تكتيكية جديدة في رأسها النيران الكثيفة تطلقها صفوف ثلاثة ، واخيراً إلى الخط المائل أو المنحرف . غير أن هذا لم يكن رأي نابوليون الذي رد الانتصارات البروسية في عهد فردريك الثاني إلى جرأة الملك الاستراتيجية وحركاته التكتيكية الحكيمة . أما الخط المائل فهو في رأي نابوليون خدعة خفية أراد فردريك أن يضل بها رجال التكتيك الفرنسيين . ويخالف الجوال ويغان نابوليون في هذا . فهو يقول ان الخط المائل مثل دوده يجلب في موقعة « لوت » . فقد مشى فردريك مباشرة إلى الجيش السوي المنتشر بكامله ، ولكنه بدأ بنشر الطلائع وأطلق وراها قواته الرئيسية موجياً إليها شطر المينة ثم حل بها على مبصرة العدو ، وهكذا اضعى الجبار البروسي كله منحرفاً أو مائلاً تنقذه المينة .

الخط الرقيق والخط العميق . - لم يكن الكتاب للمعسكريون في فرنسا

بدرس خطط فردريك ، فقام منهم فريق يطالب بادخال تعديل اساسي على التكتيك الهجومى . وكان ان انبرى له انصار المدفعية القديمة وانقسم الحواء فثلاثين : فئة تقول بحشد المشاة للقتال خطأً وقيلاً واخرى تقول بحشد خطأً عريقاً .

كان « موريس دو ساكس » وفردريك الثاني من انصار الخط العريق . ولكن الملك البروسي اعترف في وصيته بان المعارك لا تكسب بالصفوف المتراصة اما تكسب بالتيار المتدفقة . ولم يكن « الشرفان دو فولار » من هذا الرأي . فقد قال بالخط العريق لانه كان يستند الى الهجوم الدور الرئيسى في القتال . ومن اقواله ان انتشار الخط الرقيق يعطي تياراً بحرية ولا شك ، ولكن قوة المشاة لا تتجلى الا بشها الهجوم صفوفاً كثيفة . فالخط العريق يضاعف قوة المشاة الاحترافية .

وفي عهد لويس السادس عشر قام نقاش حول مسألة اخرى هي : ايها الصانع للناويرة والحركة ، الصف المنتشر ام الخط ذو الصفوف المتراصة لا قافحج القائد بغيرش ، وهو بروسى النعق بالجيش الفرنسى ، اعتمد الصف المتطاوول في المناورة واعتمد الخط ذي الصفوف في القتال ، وقد اخذ مجلس الحرب الاعلى بهذا الاقتراح .

المدفعية شهد القرن الثامن عشر جدلاً جامحاً بين انصار القديم وانصار الجديد في حفل المدفعية . ففي عهد الوزير « شوارزل » اخذ المارشال « غريبوفال » على عاتقه تنظيم المدفعية الفرنسية على اسس جديدة ، فجعلها اربع فئات : مدفعية الميدان ، ومدفعية الحصار ، وبطاريات الساحل . ومدفعية القلاع . وجعل مدفعية الميدان خفيفة مرنة وذات عبارات ثلاثة : ١٢ و ٨ و ٤ . قامت على « غريبوفال » قيامة انصار المدفعية القديمة ، وكانت حجتهم ان

الجديدة لا تقوى على مجابهة نيران العدو . ولكن شوارزول لم يأخذ بهذا الاعتراض
فصنعت المعامل في عهده ١٢٥٠ مدفع ميدان . وبعد اعتزاله الحكم جعلت انصار
القديم يحاولونهم ، وافلحوا في احلال مدفعية « فالير » الثقيلة محل المدافع
الجديدة . الا ان الوزير « سان جرمان » لم يلبث ان اقصى القديم وقد اثبتت
الحوادث ان « غريبوفال » كان على حق .

الفصل السابع

جيوش الثورة

١ - نهاية الجيش الملكي .

عندما عقدت المجالس العامة أول اجتماعاتها التاريخية المطالبة بالإصلاح ، كان التمسك في الجيش قد استعمل امره . فالرؤساء والمؤسسون غير راضين عن الحالة ، يطالب هؤلاء بتقصير مدة الخدمة وبإلغاء العقوبات الجسدية كالجلد والضرب . أما الرؤساء فقد عيب منهم التلاء المطالبة بإلا كات ثابتة لا تبدل بتبدل الوزراء . وقام منهم إنشاء الشعب بطلون بإلغاء امتيازات التلاء ويجعل المواعيد اساساً للترقية .

وقد عنت المجالس العامة بقضية الجيش بدافع من اعضاءها العسكريين . ونصدي فريق من الكذاب لمعالجة القضية ، فاقترح « كوندورسه » أن يترك للجند حق التقدير فإذا وجد الجندي أن اوامر رئيسه غير جدية بالاعتبار ، جاز له اعلانها . وطلب « ميجر » ، الخطيب السياسي المشهور ، إلغاء الجيش الدائم وجعل الرؤساء العسكريين تابعين للسلطة المدنية . وحمل « سرفان » الذي صار فيما بعد وزيراً للحرية على امتيازات التلاء وطالب في كتابه « الجندي المواطن » بإلغاء مجلس الحرب وأنبليشيا وخريبة الدم . فكان تيار الافكار الجديدة غير بالشككات قهيز من فيها ويؤثر في وسطهم بذور الثورة على القديم .

الحرس الوطني . - في فوز من العام ١٧٨٩ فرد فوجيان في الحرس الفرنسي احتجاجاً على قرار ملكي . فأنزل الرؤساء بالمتمردين عقوبات صارمة . ولكن هذا التمييز وسع الجثث وأفضى الى فرد الحرس كله . وانهز خصوم الملكية الفرقة فزبروا المتمردين سلوك سبيل الارهاب . وخدم ملك الملك مشاريع اعدائه اذ استعان بكراديس اجنية على دفع خطر الحرس عن باريس وفرساي . فكان هذا التمييز اثر سيء جداً في نفوس الفرنسيين . فعمت الثورة العاصمة والولايات ، وسبق معظم القوات النظامية عصا الطاعة وانضم الى الثوار .

وفي هذه الفترة من الحوادث تألف « الحرس الوطني » ، فانضمت اليه افواج الحرس الفرنسي المتمردة والفراريون من سني الكراديس ، وتألف منهم في باريس والولايات ستة عشر فوجاً .

وسرعان ما اضحى الحرس ، في نظر المواطنين ، جيش فرنسا الجديدة وسياج العهد الجديد . ولم تبخل عليه المجالس التي تعاقبت بين ١٧٨٩ و ١٧٩٨ بما كفل له النمو والامتداد . الا ان تطوره اجاز مراحل دامية واضرته عقبات ككالي اعترضت نظام الحكم الذي قام الحرس في الاصل لدعمه وحمايته .

التفكك الاجماعي . - بعد حوادث ٥ و ٦ تشرين الاول من العام ١٧٨٩ وقفت القوات الموالية للملك حائرة بين الواجب وبين شق عصا الطاعة . وكانت السياسة قد خلقت على التكتلات فتألفت فيها لجان اصلاحية ، من صفار الضباط والجنود ، فنعت هذه اللجان نحو لجان الثورة في الاقتصاد من الضباط الذين رفضوا اداء القسم الجديد (بين الولاة للدمور وللالة) . واتصل خبر هذه الفوضى بالجمعية الوطنية فلم تحرك ساكناً للقضاء عليها مما شجع على

قيام فكرة « الاتحاد » (فيديراسيون) التي كان الغرض الظاهر منها ازالة الحواجز بين العاصمة والولايات ، وتحقيق وحدة الامة . ولكن الذين روجوا لها من اليقويين رموا الى امشاة روح التمرد في الجيش من طريق اتصال الكراديس بعضها ببعض الآخر بعد سقوط الحواجز التي تباعد بينها . وقد اعلنت وحدة الوطن في ميدان « مارس » في الرابع عشر من آذار ١٧٩٠ بحضور وفود قتل شتى الكراديس . فعادت الوفود الى فكتاتهم بأروا جديدة ونزعات توريه ، وراحت تخرض الجنود على رؤسائهم مدخلة في رؤسهم ان مجلس الامة اجاز للجندي ان يناقش امره الحساب وان يقف منه موقف الانهزام .

وشجع اليقويون انصار الثورة من الجنود والضباط على دخول اندية تروج للمبادئ الجديدة ، وراح رسالهم يعالجون في « ناسي » جيش الشرق الذي ظل مواليا للملك . فبيع فائده الجوال « بويه » حركة غير نظامية قام بها كرويس موبسري . وعرفت الدعاية الثورة كيف تستثمر الحوادث بتفتتها في وصف « مذبحه ناسي » . وانتبهت الكراديس الفوحة ، فهبت تطالب بالاعتراف للجنود بحق الانتخاب الى الاندية ، وكان اشهرها « نادي اصدقاء الدستور » فزلت الجمعية الوطنية على هذا الطلب ، واضعت الاندية منذ ذاك مفزعة الضباط الذين لم يرتقوا في احضان الثورة لان مؤدسهم كانوا يرفعون الى زعماء اخرصة الاندالية تقادير يومية عن حركات الضباط وسكتاتهم . وكان بعض هذه التقارير يطوى على تهم خطيرة لا تلبث ان تضع من نسبت اليهم موضع الشبهة .

المجورة . - في شباط من العام ١٧٩١ قررت الجمعية الوطنية تطهير الجيش من العناصر « الرجعية » . لان بواذر الاخلاص للعهد الجديد لم تصدر الا عن

صغار الضباط ، وظل شعار قادة الفرق والالوية والكرايس : « الايمان ، القانون ، الملك » .

اقترح البعقوبيون تطوير الجيش بطرد الضباط غير الموالين . ولكن وزارة الحربية رأت ان تدبراً كهذا قد يذهب بفريق من انصار الثورة ، نظراً لرواج سوق الوشابات ، فاصدرت في ٢٣ شباط ١٧٩١ قانوناً يقضي بتفسيخ كل ضابط برتبة زعيم او عقيد (كولونيل وليوتنانت كولونيل) يرغب في ترك الخدمة الى رتبة لواء (برغادير) . فترك الخدمة مئات الضباط . غير ان البعقوبيين وجدوا التدبير غير كاف فاتفروا بطلابوت بطرد كل ضابط لا ينقسم بين الاخلاص للدستور ، وذهب « ميرابو » و « روبسيير » الى ابعاد من هذا فافترحا الغاء ملاكات الضباط وانشاء ملاكات جديدة ، وجاء هروب الملك ضغناً على ابله قنايات الملاكات بهجرة فريق كبير من القادة وكبار الضباط .

بدأت الهجرة بعد حادث سقوط « الباستيل » . فعاد فرنسا الكونت « دارنوا » والامير « كوند » وفي معيتها القادة « برويلي » و « اوتيشان » و « بونفال » و « لاميك » . واستغل امر هذه الحركة في سنة ١٧٩٠ عندما شرع الامراء المهاجرون ينشئون جيشاً موالياً للملكية . وجاء فرار الجمعية العمومية بطرد كل ضابط لا ينقسم على حدة بين الاخلاص للدستور يزيد الحركة استفحالاً ، ولا سيما في جيش الشمال الذي كانت دعاية الامراء تعالج قاداته بهارة .

وقد اتسع نطاق الهجرة عقب حادث « فارين » وماجر اليه من ذيول . ذلك بان اشتراك بعض الكرايس في المؤامرة التي افترج لمرعا في « فارين » يقض الملك ولعادته الى باريس ، جعل ضباط معظم القطعات موضع الشبهة فخرج مئات منهم في السجون وذهب كثير من آرمي الافواج ضحايا

الاضطرابات التي حصلت في الثكنات ، فكانت هذه الحوادث حافزاً للضباط على الهروب والانضمام الى جيش الامراء .

بدأت الهجرة تقض مضاجع رجال الثورة بعد فرار جيش الجنرال « بوبه » الى بلجيكا ، لانت عدوى التردد انتشرت في معظم ثكنات الشمال والشرق واستطاع بعض الضباط ان يجتاز الحدود مصحوباً بمجنوده . ولذا تقام الحالة بهذا الشكل فورث الجمعية التأسيسية ان تأخذ على الضباط عهداً بأن يتقيدوا بما يصدر عنها من اوامر ونواه وتعليمات . فرفض الف وحصنة ضابط الارتباط بعهد هذا شأنه ، فصرخوا ، واتخذت السلطات تدابير شتى للعثول دون التعاقب المسرحين بجيش الامراء . فما نجح منهم في اجتياز الحدود سوى بضعة عشر ضابطاً كبيراً ومثني ضابط برتبة رتبة رئيس وملازم (كابيتان ولوبتان) .

وبلغت الجمعية التأسيسية الى تدابير متناقضة لسد النقص المتزايد في ملاك الضباط . فبدأت بالقاء التقاعد ، وأتبع هذا التدبير بإلحاق المهاجرين هضاباً ثم ألغت الانقلاب التي منحها الملك فريقاً من القادة كإلغت نظام الاوسمة . ورغبة منها في استرضاء الجميع منحت الفوج السويسري الذي ترد في ثكنة « شاتونيون » نفقاً عاماً .

ولكن « اثدبة اصدقاء الدستور » زادت ازمة الملاك استفحالاً بتعريضها الجيش على الضباط النبلاء ، خصوصاً بعد اعدام لويس السادس عشر ، ونشوب الثورة في مقاطعة « فاند » ، و« خيانة القائد « ديوربه » . فسلكت القادة المضطهدون والملاحقون سبيل الهجرة لينجوا بانفسهم من الملاك . واستمرت احوال على هذا المنوال رغم بروز شبح الحرب وصراخ الزعماء « الوطن في خطر » .

على ان توالي الازمات بين ١٧٨٩ و ١٧٩٢ ، والانقسام الخطير في صفوف

الجيش ، لم يقضيا على مميزات فرنسا العسكرية ، انما قضيا على الجيش الملكي قضاء مبرماً ، فقامت جيوش الثورة على انقاضه بما يشبه الاعجوبة .

٢ - جيوش الثورة . - موقعة فالسي

المنطوعون الاول - في كانون الاول من العام ١٧٩١ تم تأليف جيوش ثلاثة : ١ - جيش الشمال بقيادة المرشال « دوروشامبو » ٢ - جيش الوسط بقيادة « لافاييت » ٣ - جيش اليمين بقيادة « لوكيتر » . وقد رأت وزارة الخارجية عند الشروع في انشاء جيوش الثورة ان تسد النقص في الكراديس النظامية بفصائل من « الحرس الوطني » ، ولكن الفكرة لم تلق تأييداً لدى ارباب الاختصاص . وفي الثاني من كانون الثاني ١٧٩١ استصدر وزير الخارجية مرسوماً بتعبئة مئة الف « جندي مساعد » يؤخضون بالمنطوع الاختباري والمحققون بعد تدريبهم بالكراديس النظامية . الا ان المرسوم لم يوضع موضع التنفيذ . وفي حزيران من العام نفسه قرر بمذلة الامة تعبئة « الحرس الوطني » والعدول عن المنطوع اختياريّاً . وصيغت الاقاليم الى تأليف افواجها على ان تظل هذه الافواج متعبة ليلية نداء الوطن .

وبعد فرار الملك نفذت التعبئة بموجب ثلاثة مراسيم استصدرها وزير الخارجية تباعاً ، ففي التساء في المرة الاولى ٢٦ الف منطوع ، وفي المرة الثانية لواء ٩٧ الفاً ، ولواء في المرة الاخيرة مئة الف منطوع . اشهرت هذه القوات باسم « منطوعة ١٧٩١ » ، فكانت الدولة تجهزها بالاسلحة ، اما الالوية والمؤن فكانت توفرها لها مجالس الاقاليم . وقد ترك مرسوم انشاء المنطوعة للجنود حرية انتخاب ضباطهم ، ونص على امكان وضع الافواج تحت امره القادة في حال دعوتها الى خوض غمرات حرب نظامية .

فألف في باريس والمقاطعات الشمالية الشرقية ستون فوجاً من المنطوعة ،

ولم يزد فوام الفوج الواحد على خمسة وخمسة وسبعين رجلاً. واختار بعض الافواج ضباطه من ملاكات الميليشيا الاقليمية ، فاحسن الاختيار . ومثلت الدائس دورها في انتخاب قادة البعض الآخر ففاز بالراتسة رجال اتقنوا صناعة الكلام والتلاعب بعواطف الجمهور ، ولكنهم كانوا اجمل الناس بفن القيادة . فشاعت الفوضى في الكتائب الاقليمية وانصرف المتطوعة الذين حشدوا في مناطق الحدود الى السلب والنهب تشجيعهم « ديموقراطية » رؤساء اغنادوا النزول الى مستوى الشعب تردداً اليه واستجاباً لرضاه ، فدرجوا على الحطة نفسها في معاملة رؤوسهم .

وزاد في الطين بلة قرار اتخذه الجمعية التشريعية في ايلول ١٧٩١ ، بيجز للمتطوع ان يتوك الخدمة بعد كل حملة شريطة ان يحظر رئيسه بعزمه على الانسحاب قبل شهرين ، وحظرت الجمعية في الوقت نفسه على افواج المتطوعة ان تختار رؤساءها بين ضباط القوات النظامية . فانضت هذه التسويات الى تشجيع الفرنسيين على الانخراط في افواج المتطوعة ، فظلت الكراديس النظامية تشكو المزال .

تلك كانت حالة الجيش الفرنسي عند نشوب الحرب : الكراديس النظامية تشكو نقصاً كبيراً في الرجال ، وافواج المتطوعة تتكون وتنمو في غير نظام . ولم تكن حالة الادارة المدنية خيراً من حالة القوى المسلحة الخاضعة لها ، فقد ولي وزارة الحربية رجال لم يكن الحزم من شيمهم . وشذ الوزير « تارون » ولكن تراخي الجمعية التشريعية افسد عليه تدابيرها ، فاستقال في آذار ١٧٩٢ وحل محله « رولان » يعاونه « دوموربه » كموزير للشؤون الخارجية . الحرب . - سعى « دوموربه » الى اقتناع بروسيا بالتزام الجهاد في حرب تنشب بين فرنسا والنمسا ، ولكن ضعف بلاده اغرى بها الجيران الطامعين ،

فتحالف خدما البروسيون والنسويون بحجة القضاء على الوهاب التوري الذي يهدد الممالك الأوروبية ،

شهر « دومبريه » الحرب في ٢٠ نيسان ١٧٩٢ قبل ان يعنى باعادة الامور الى نصابها في الثكنات والمعسكرات ، مع انه لم يكن غريباً عن الجيش ، اندركته الثورة فربحاً في جيش لويس السادس عشر ، وعاملاً من عمال الملك في عواصم الممالك الأوروبية ، وقد ظل موضع ثقة ولي نعمته رغم فعوده عن مكافحة التيارات الجديدة .

عبث الحدود اربع فرق فرنسية وفاقاً لخطه « دومبريه » الهجومية ، ولكن مبينة الجيش ما لبثت ان رفضت التقدم وحذت حذوها المسيرة . وتزد جنود الفرقة التي كانت تؤلف القلب وفشكوا بقائدهم الجنرال « ديون » فاجتمع مثو الامة للدرس الموقف والاطلاع على تقارير القادة ، الا انهم لم يتخذوا اي تدبير زجري بحق الكرديسين الذين حملها تقرير الجنرال « بيرون » تبعه ما حدث .

وفي ايار ١٧٩٢ قررت الجمعية التشريعية زيادة عدد المتطوعة في كل من الافواج بحيث يضم الواحد منها قائمة رجل (كان قوام الفوج ٥٧٥ رجلاً) ، كما قررت جعل عدد الافواج ٢١٤ . ولكن استمرار حوادث التمرد والعصيان وشق عصا الطاعة ، وانتقال عدد من القادة اللامعين الى المعسكر الآخر بعد ان يشوا من اصلاح الحالة ، وتزد السلطة التنفيذية في اخذ مسي الاضطراب والفوضى بالشدّة اللازمة . ولكن هذه العوامل مجتمعة زادت الحالة سوءاً . وما اطل شهر غوز حتى اضحى الوطن عرضة لخطر داهم ، فاعد مثو الامة في ٤ و ٥ منه مشروعاً يرمي الى حشد موارد البلاد ويقضي بتعبئة جميع الرجال الذين سبقت لهم الخدمة في الحرس الوطني . ونص المشروع

على مصادرة الاسلحة الخاصة ، وعلى تجميع الحرس الوطني في الالفية والافاليم تحت اشراف السلطات المحلية استعداداً لتلبية نداء الوطن . كما نص على اعلاء نظام التطوع الاختياري لتعمل محله المصادرة .

الوطن في خطر . - اعلنت الجمعية التشريعية الوطن في خطر في الحادي عشر من فوز ١٧٩٣ ، ودعت الى حمل السلاح . وقد جاء في النداء الذي توجهت به الى الامة ان كل منطقة تعي ، فضلاً عن الافواج المفروضة عليها ، وحدة اضافية من الحرس الوطني ، وتضعها في خدمة فرنسا بمجزة ومسلحة ، يستحق شكر الوطن .

نص مشروع التعبئة على تجنيد ٤٥٠ الف رجل . ودعت الولايات الثلاث والثلاثون الى تقديم خمسين الف رجل يسد بهم النقص في الجيش النظامي . ولم توفر التدابير الجديدة قوات الدرك والمحاربين القدماء ، فاختفت فرقتين من الاولى واحلت بضع كتائب من قدماء المحاربين محل القوات النظامية في حامية القلاع والحصون .

وفي ١٧ فوز قررت الجمعية التشريعية تعبئة اثنين واربعين فوجاً جديداً من المتطوعة . وفي ٢٣ منه اقرت قادة جيش الرن على مصادرتهم الرجال والاسلحة ، ودخلت سائر قادة الجيوش حق اللجوء الى التدبير نفسه . ثم انضمت للمصادرة والتعبئة الفتيان الذين اتموا السادسة عشرة من سنهم .

وبعد هزيمة « فونتوا » واستسلام « لونغوي » (١٩ و ٢٢ آب) اضيفت احكام جديدة الى قوانين السلامة العامة والطوارئ ، تجيز اعدام كل مواطن يجبر بعزمه على القاء السلاح في اثناء دفاعه عن موقع محاصر . وفي ٢٦ آب صودر ثلاثون الفاً من متطوعة باريس والمناطق المجاورة لها وارسلوا الى جيش « لوكير » لانه كان في حاجة ماسة الى المدد .

وتعاقبت التدابير تحت ضغط الحوادث والاحتمالات ، فمؤلف عدد الوحدات الخاصة كالفيلق الحر والكتائب الاجنبية المؤلفة من مرتقة بليكيين وجرمانيين . وانشئ واحد وعشرون فوجاً قنصاً أطلق عليها اسم « افواج المشاة الخفاف » .

واهتمت الجمعية التشريعية بتنظيم الادارات المدنية المشرفة على القوى المسلحة ، فانشأت في آب ١٧٩٢ اللجنة العسكرية وخولت اعضاها الثلاثة حق الاشتراك في اعمال لجنة الدفاع . وفي نيسان ١٧٩٣ اخضعت اعمال المجلس التنفيذي (الحكومة) لاشراف لجنة السلامة العامة ، وما لبث ان تقرر من هذه اللجنة ادارة خاصة سميت « مجلس ادارة العمليات العسكرية » ، واخضع لاشرافها وزير الحربية ومفوض التنظيم والحركة في جيوش البر . وقد عملت هذه الادارات بهمة واخلاص . وكان وجود « لازاركارنو » في لجنة السلامة العامة وعلى رأس « مجلس ادارة العمليات » ضماناً كفاية لسير الامور على ما كان يشتهي المخلصون .

كان « كارنو » مفوضاً لدى جيش الشمال (المفوض هو يمثل مجلس الامة لدى القوى المسلحة) عندما عقدت لجنة السلامة العامة جلسة خاصة لدرس الموقف الحربي ورفع مستوى الجيش . فاقترح العضو « برور » ضم « لازاركارنو » الى اللجنة لانه بين ممثلي الامة الرجل الوحيد الذي يصدر في الشؤون العسكرية عن معرفة واختصاص .

نسلم « كارنو » ادارة العمليات الحربية في ١٩ آب ١٧٩٣ ، وظل طيلة عامين الميسر الفعلي على جيوش الجمهورية ، ولقب عن جدارة بـ « منظم النصر » . وكانت فكرة التعبئة العامة قد جالت في الرؤوس منذ اول آب ، فاستل « كارنو » عهده باستصدار مرسوم بالتعبئة نصت مادته الاولى على ما يلي :

« من الآن الى ان يتم طرد العدو من اراضي الجمهورية ، يصادر جميع الفرنسيين مصادرة دائمة لمصلحة القوى المسلحة . فالشبان يخرجون للحرب ، والرجال المتزوجون يصنعون الاسلحة ويؤمنون نقلها الى الجبهة . والنساء يصنعن مخيمات والبة ويتعاطين التمريض في المستشفيات . والشيوخ يخرجون الى البساتين العامة لينفضوا في الشبان الشجاعة والحماة ، ويغذوا في الصدور الحقة على الملوك ويشيرون بوحدة الجمهورية . »

بدأت التعبئة العامة وانتهت في ثلاثة اشهر دون ان تثير اعتراضاً او تصطدم بمقبة جديدة . بقي ان تؤمن اللعبة في جيش الجمهورية المؤلف من كراديس نظامية وفيلق حرة وكثائب اجنية وافواج من المتطوعة والحرس الوطني . افترح بعض مثلي الامة منذ صيف ١٧٩٢ الحاق المتطوعة بالجيش النظامي ليندوبوا فيه ، فضمت الاكثوية هذا الاقتراح « لانه يزوج بالروح الثوري في وسط رجعي متفوق » . ولما طرحت المسألة على بساط البحث في صيف ١٧٩٣ افترح « كارنو » و « دولاس » العكس ، اي تدريب القوات النظامية في افواج المتطوعة . ولكن القادة عارضوا هذا الاقتراح لان تطبيقه يترك صفوف افضل ما في الجيش من قطعات . واخيراً رؤي توحيد القوى البرية المسلحة على اساس تداخل الافواج ، فتألف اللواء الواحد من فوجين نظاميين واربعة من المتطوعة ، فيأخذ هؤلاء عن النظاميين احترام الرؤساء والتقيّد بالنظام ، ويأخذ النظاميون عن المتطوعة حب الوطن والاخلاص للجمهورية .

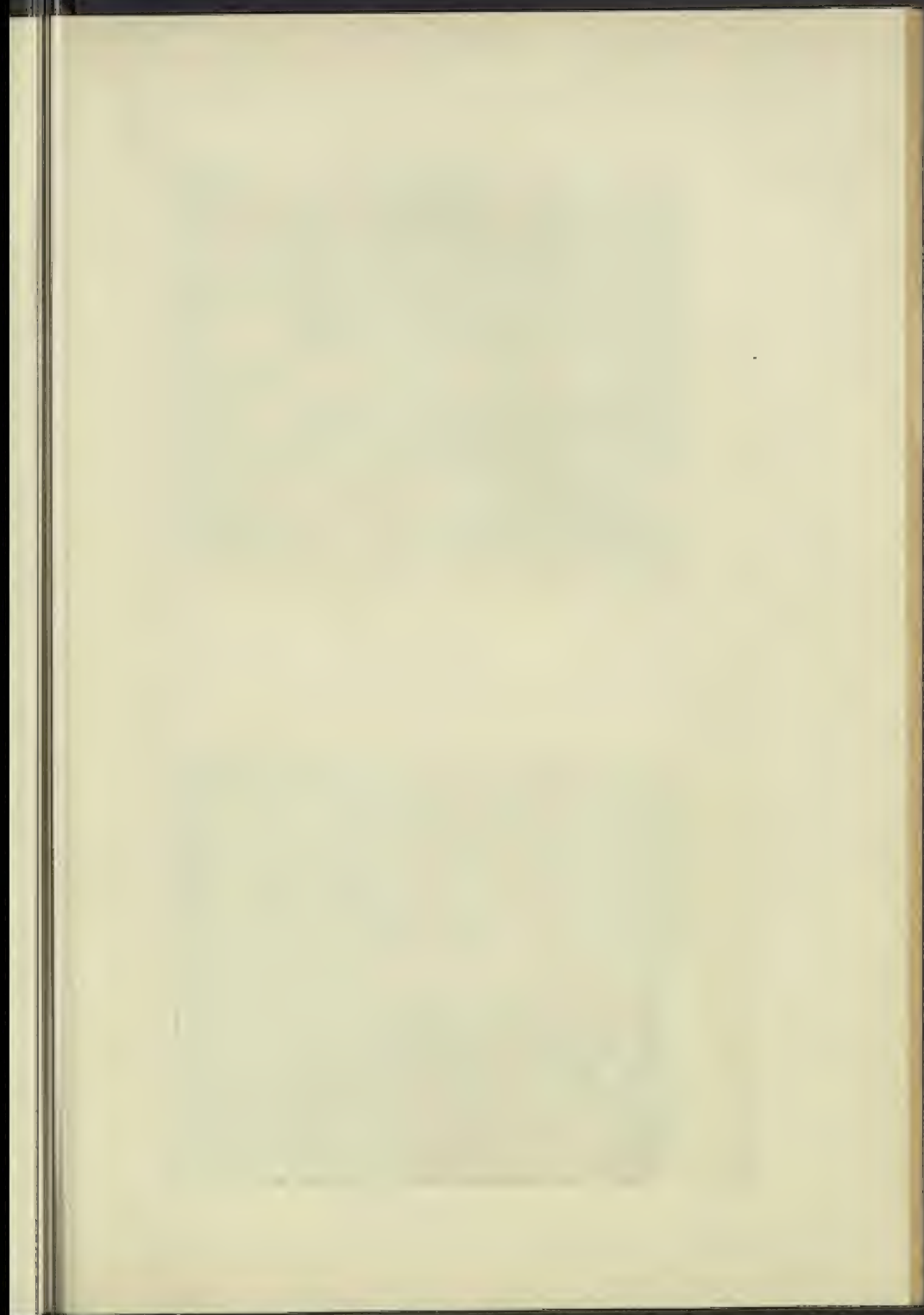
وقد قضى التنظيم الجديد بتوحيد اللباس والسلاح والشارات واساس الراتب الشري . وما انصرم العام ١٧٩٣ حتى تألف من ٢١٣ فوجاً نظامياً ومن ٧٢٥ فوجاً من المتطوعة ، مئة وسبعة البوة او ٢١٤ نصف لواء لان « كارنو » وزملاءه اضميدوا هذا التقسيم رغبة منهم في إيجاد وحدات لجميع الضباط الكبار .

خوبان



لافايت





دوق مار البروغ



الارشان دي ساسكس







شوریه



فردريك الثاني ملك بروسيا



كارمن

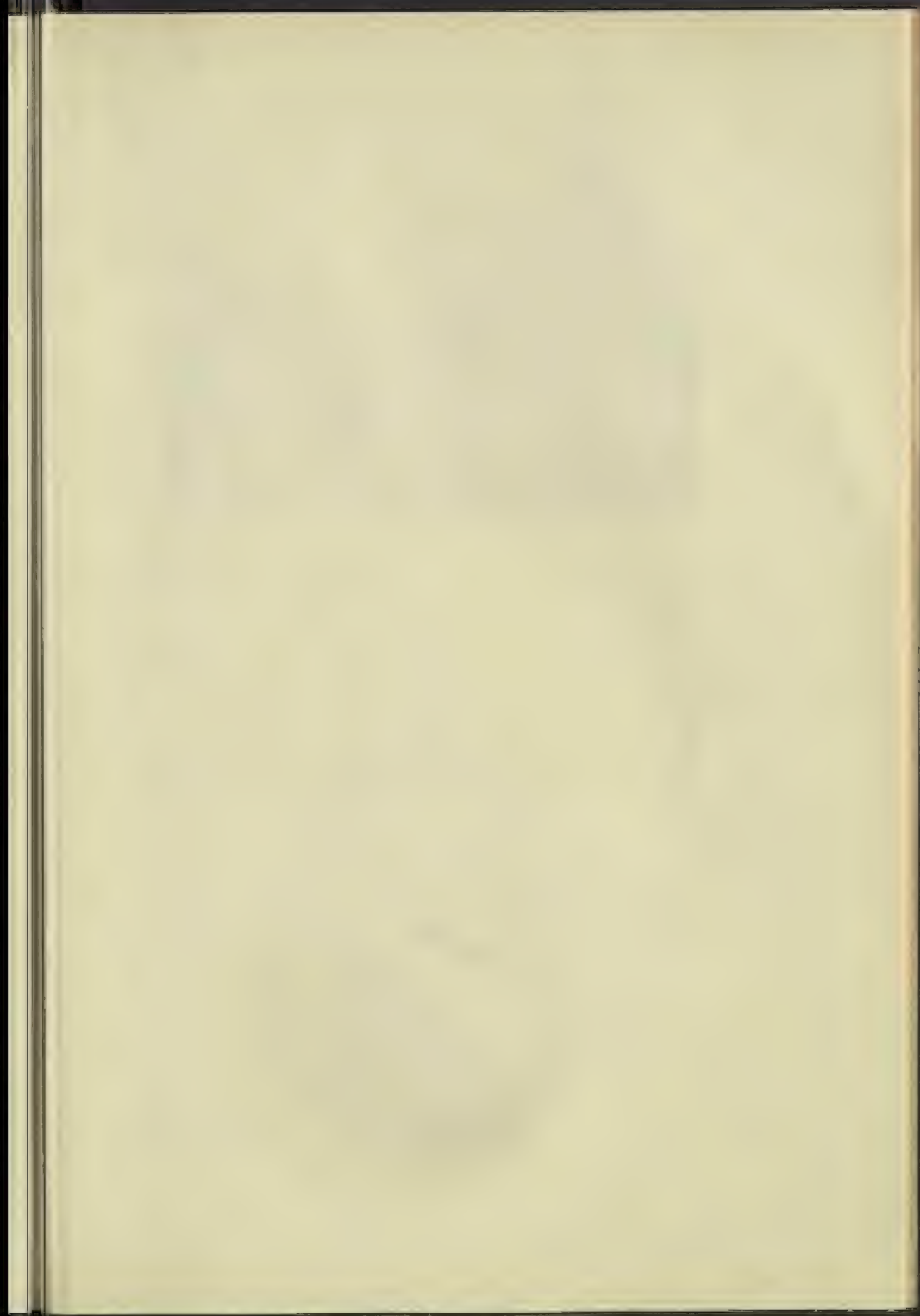


المدرسة الحربية

(واجهتها المطلّة على ساحة الشرف)



كارنو في العام ١٧٩٢



موش

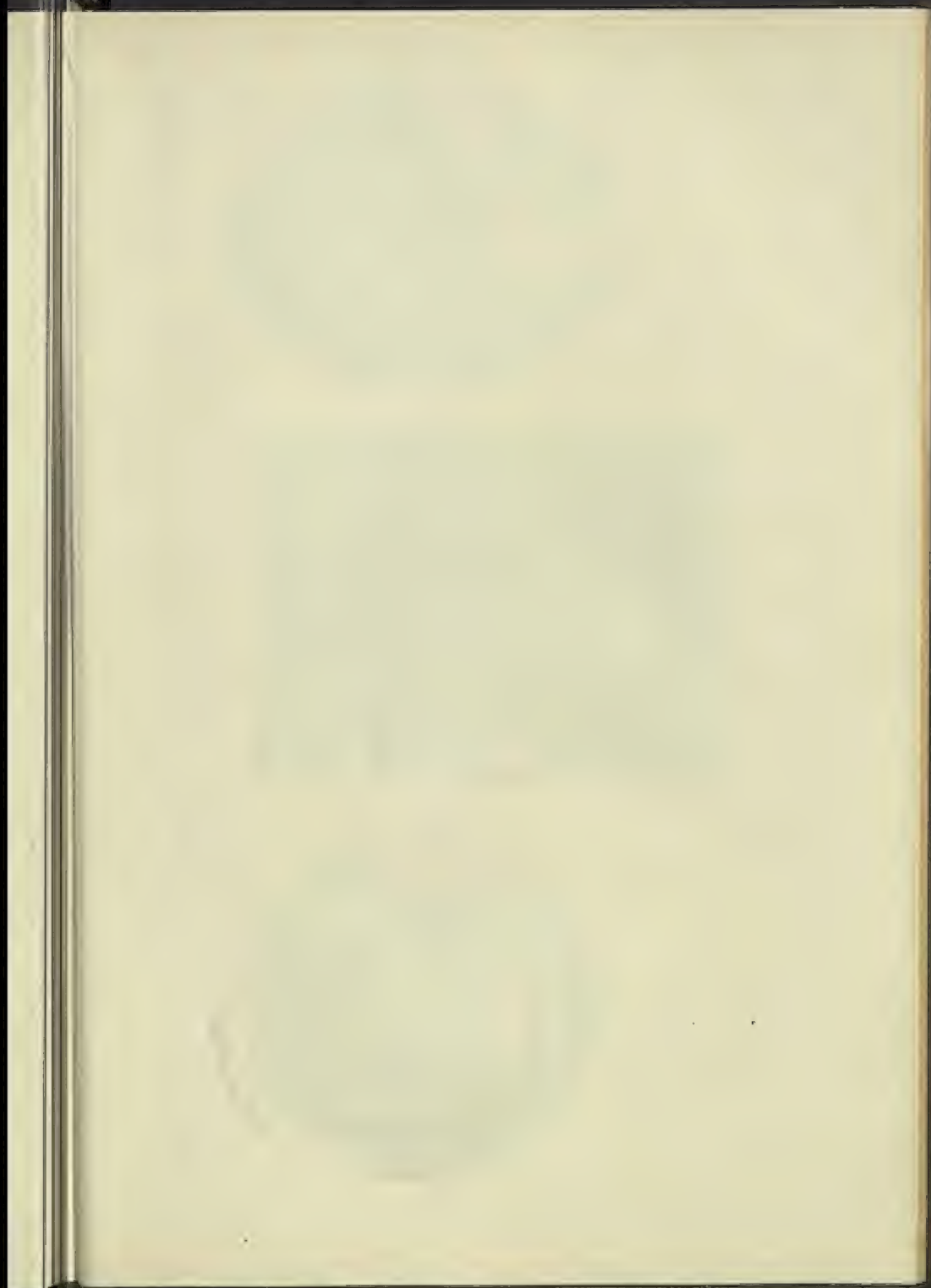


یونانوت علی جسر ارکول



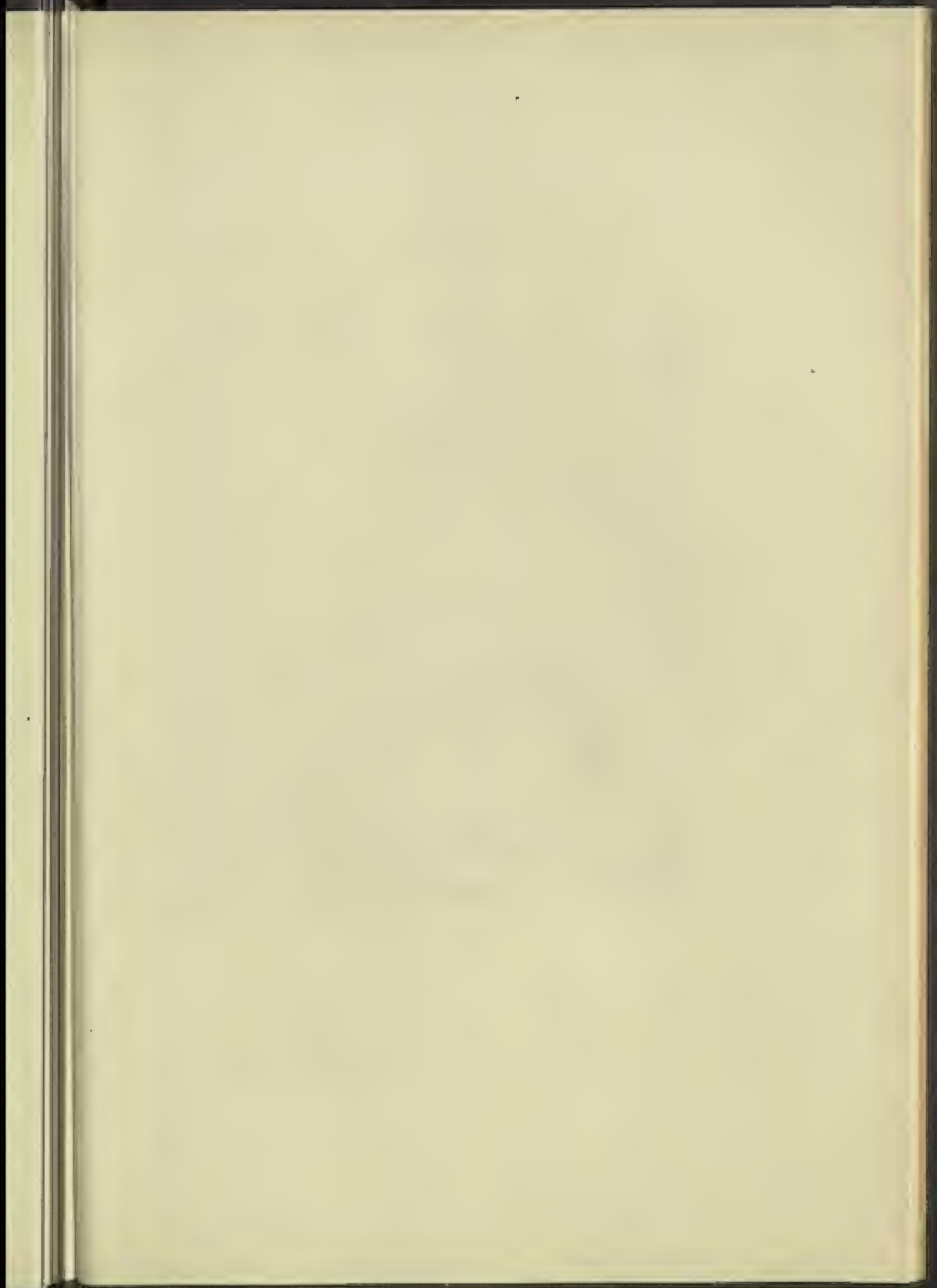
کلبو





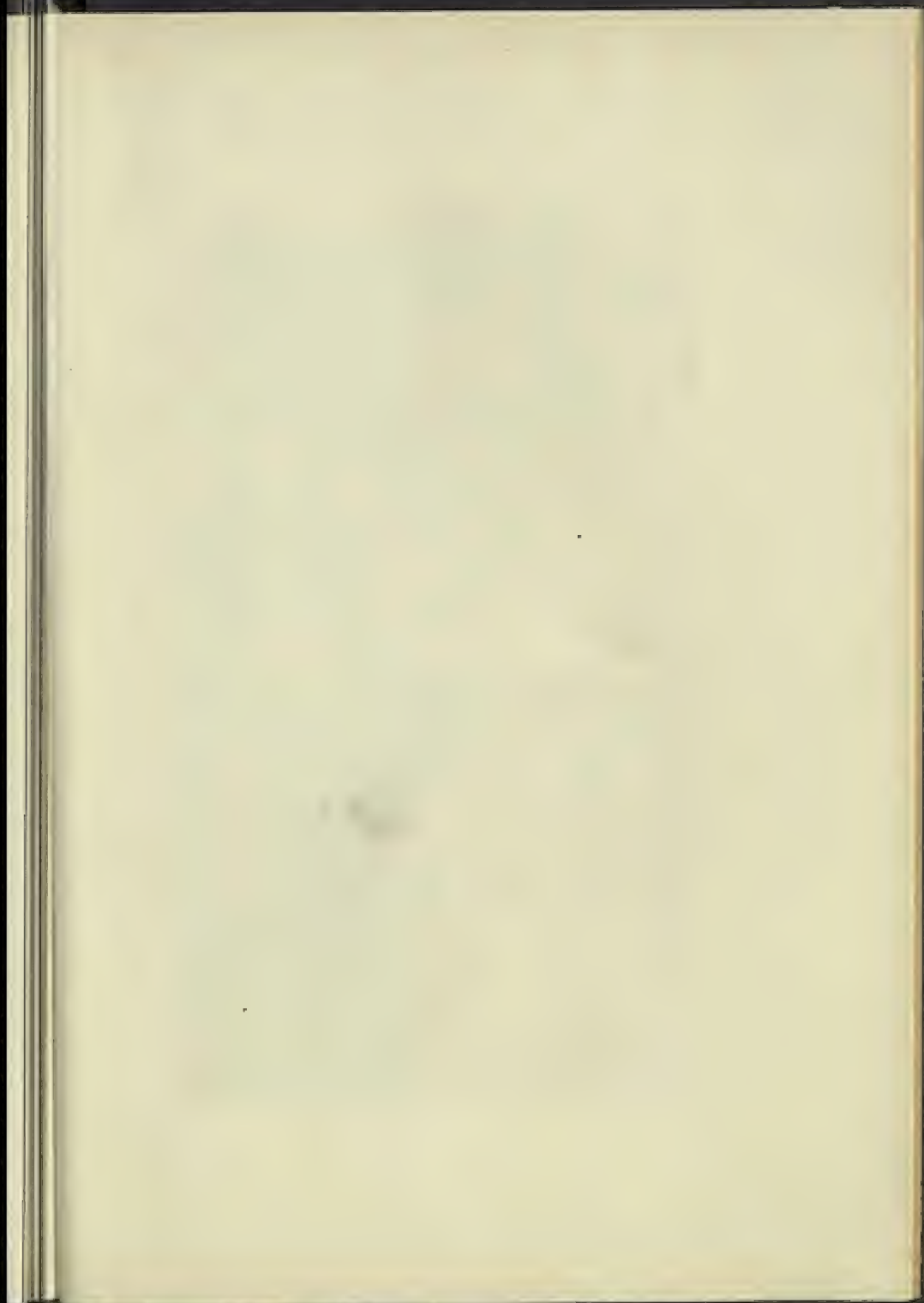


جيش بونابوت يعبر جبل سانت برنار في طريقه الى ايطاليا .





نابليون في معركة وانغرام (بريشة ايبوليت دالانجيه).

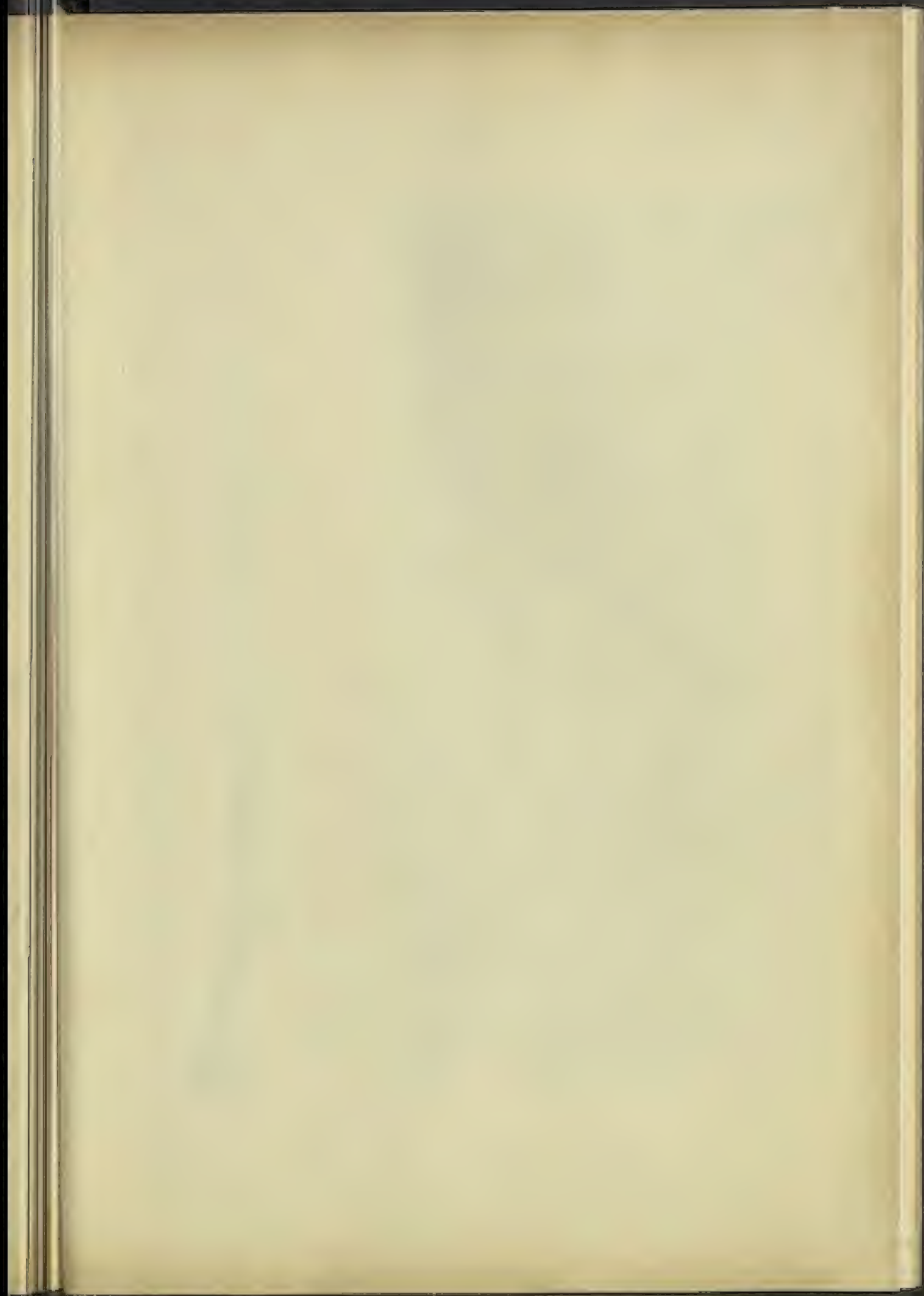




كتيبة ماري لويز () المشهورة ، الامبراطور ينظر البناية ()



بندفية المشاة من طراز العام ١٧٧٧ ، معدلة في السنة التاسعة للثورة .



لم تكن نعمة الرجال كل شيء ، فقد كان على الدولة ان تسلمهم وتجهزهم وتغذيهم ، وهي اشياء يحتاج تأمینها الى مال كثير . فتحت الحكومة حاجات الدفاع الوطني حساباً جارياً واطلقت به لجنة السلامة العامة في الاتفاق ، وفي اتخاذ التدابير الكفيلة بوضع كل ما هو ضروري للحرب في متناول القوى المسلحة . فعمدت اللجنة الى مصادرة الخيول والمركبات والاسلحة الفرجية . ثم وضعت يدها على مصانع الاسلحة وانشأت مصانع جديدة في منطقة باريس ، وصاشرت الحديد الثقول والثابت من الافراد والادوية ، ولم تغف الكنائس فصادرت اجراسها .

واستعدمت لجان الدفاع الوطني تقدم العلم في تجهيز الجيش بوسائل الاتصال الحديثة كالتلغراف . وعهدت الى وحدة الخدمة العسكرية بقوة الحصون والقلاع ، لان معارك الحدود ابرزت اهمية الانشاءات التي قامت تحت اشراف المارشال « فوبان » في عهد لويس الرابع عشر .

بقي ثمن الجيش وتجهيزه . فمنذ ١٧٩١ دعت السلطات المحلية في كل ولاية الى تجهيز المتطوعة الذين لا يمكنهم ان يجهزوا انفسهم . ثم انشئت معامل لنسج الاقمشة الصوفية تحت اشراف لجان الدفاع الوطني . الا ان التجربة لم تنجح فاعتمدت وزارة الدفاع طريقة التلزم . وفي الوقت نفسه دعي المواطنين الى تقديم الالبسة هدايا الى الجنود . واجبر صانعوا الاحذية على العمل مدة معينة في تأمين حاجة الجيش . ولكن فريفاً من الجنود باعوا احذيتهم من المدنيين ، فحظرت السلطات على الثاين استعمالها تحت طائلة المصادرة والحبس .

اما افاشة الجيش فقد كان يتبع في تأمينها نظام التلزم . ثم اخذتها الدولة على عاتقها واستمر العمل بهذا النظام سنة اشهر ، اعتمد بعدها اسلوب الشراء الجيش الفرنسي

المباشر ، فكانت دائرة الاعاشة في كل كردوس نشقري لوازمه من اللحوم والحبوب لمدة ثلاثة اشهر . وقضت حالة الحرب بمصادرة الحبوب والمالصة لتأمين حاجة القوى المسلحة ، وانشئت لجان التموين في وزارة الدفاع ، فاخذت على عاتقها تأمين اعاشة الجيش .

واستازمت سرعة انتقال الكراديس الى المناطق المهددة تنظيم النقل ، فأنشئ في هيئة اركان الحرب مكتب خاص لهذا الغرض ، فعبد الى مصادرة وسائل النقل المختلفة ، واخذ على عاتقه حامية التوافل ، فكان هذا التنظيم خطوة واسعة نحو القضاء على القوضى ، وايداناً بانقضاء عهد الندابير المتوقعة .

التجديد . - ما عم الامر برجال الجمهورية الاولى حتى ادركوا ان مصادرة المواطنين تدير جري ، غير طابع استثنائي لا يجوز اعثاده في السلم ، فوضع الوزير « جوردان » مشروع قانون بالتجديد وعرضه على ممثلي الامة ، فافروا في الخامس من ايلول ١٧٩٨ .

نص القانون على تعبئة جيش السلم من طريق التطوع الاختباري ، فاذا لم يتقدم عدد كاف من المواطنين ، يصار الى تجنيد جميع الرجال الذين تراوح اعمارهم بين عشرين وخمس وعشرين سنة ، على ان يوزع الخاضعون للتجنيد على خمس طبقات تبعاً للسنة ، ويبدأ بدعوة الرجال الاصغر سناً .

وقد تجب « جوردان » الوفوع في الخطأ الذي دفع فيه سلفاؤه ، فلم يؤلف من التجندين وفقاً للقانون الجديد قطعات خاصة على عماش الجيش ، بل ضمها اليه ، وهكذا وضع الوزير اساس الجيش المصري ، وغال قنونه نافذاً حتى اواخر عهد الامبراطورية .

٣ - التكتيك والرجال

تقدم معنا ان « كارلو » مثل دوراً رئيسياً في تنظيم جيش الثورة . وقد

اجمع المؤرخون على التنويه بآراءه في توجيه القادة وإدارة العمليات الحربية وفقاً لمبادئ جريئة ، لافت معارضة شديدة في «لجنة السلامة العامة» ، ولكن الحوادث أثبتت جدواها .

كانت «كارنو» يوجهي القادة بأعداد مقطّط سراً ، وينصح لهم بتخليد العدو بحيث يظل جاهلاً حتى اللحظة الأخيرة حقيقة ما وطدوا العزم عليه ، لأن المفاجأة من عناصر النجاح في الحرب .

وقد كتب إلى القائد «بيشغور» يقول : «ترغب البك لجنة السلامة العامة أن تعد عدلك للعمل الخليم وأن تحيط تدابيرك بسياج من الكتمان . إننا ننظر منك عملية هجومية صاعقة يربك أمامها العدو ، فسهل عليك الإجهاز عليه بضربات متداركة .»

وكتب إلى «جوردان» : «ينبغي لك أن تلاحق العدو فلا تدع له لحظة تنفس فيها الصعداء . لا تضع الوقت سدى في محاصرة المراكز المغطاة بل اسرع إلى خوض غمار معركة حاسمة بكل ما فلك من قوى .»

ولم من قادة العهد الملكي «شعوبية» و«كيلومان» اللذان انقذا الوطن والجمهورية في موقعة «فالسي» (أيلول ١٧٩٢) . أما «جوير» و«دورينكس» فقد أدركتهما الثورة ضابطين كما أدركت كلا من «ماسينا» و«عوش» و«مارسو» صف ضابط . أما القادة الذين أحرزوا زهم بعد ١٧٨٩ فاشهرهم «جوردان» و«كليب» و«مورو» و«شامبون» .

اعند هؤلاء القادة كتيكاً واحداً في القتال وهو تركيز الجهود الهجومية في قطاع معين ومواجهة العدو بقوى متخوفة . وكان التكتيك يقضي بأن يبدأ الرماة التحرش بالعدو وتدعيم اندفعهم وتغطيهم ، ثم تتحرك القوات الرئيسية فتنتشر على جبهة ضيقة ذات عمق كاف وتندفع الأوج ، ضابطها على

رأسها ، والحرب منبئة في رؤوس البنادق .
 كانت الحماسة العنصر الاساسي في القتال ، لان معظم قادة الجيش
 الجمهوري كانت تعوزهم الخبرة والعلم ، فالتقوا بشجاعتهم وسرعة خاطرم في كفة
 الميزان ، لبأثر جنودهم خطاهم وببألوا باندفاعهم ما كان جنود العدو يرجون
 بلوغه بحفاظتهم على النظام ، وتنفيذ تعليمات رؤساء بحريين .

الفصل الثامن

جيوش العرب في الفضلي والامبراطوري

١ - الفرع الثاني

لا يمكن فصل ترجمة بوناپرت عن تاريخ الجيش الفرنسي . فقد شهد نشأة جيوش الثورة وعمل منها جيوشه . كانت قبل ان تسلم اليه قيادتها تقايل من اجل الوطن وفي سبيل مثل اعلى ، فجعل منها اداة طيبة تحارب لانها تحت امره ، ونحز النصر ثلوه الآخر لانه ارادها ان تنصر .

وفي عهده ابصر الدور « الجيش الاعظم » جيش الامبراطورية ، ففتح به بوناپرت الامصار وكاد يبدل خريطة العالم لو لم يخلل التوازن بين الطموح والمنعرج ، فهوي العبقريه صريعة امام تفوق الخصوم .

في اذار من العام ١٧٩٦ وصل بوناپرت الى « نيس » ليتولى قيادة الجيش الذي سيره فرنسا الى ايطاليا . فوجد معاونيه في انتظاره وقد آلمهم ان جعلوا تحت امره قائم شاب ، عديم الخبرة ، استهونه السياسة فغزل الى معركتها ولكنها لم تصرفه عن الطموح الى ارفع المراتب العسكرية .

كتب القائد « ماسينا » في مذكراته عن اجتماع « نيس » ما يلي : « كانت الغلبة قصيرة الامد ، لان بوناپرت ، هذا القائد الصغير ذا النظرات النافذة ، لم يدع لنا مجالاً لابتداء ملاحظتنا ، فاضغينا اليه بشرح خطته وكان على

رؤوسنا الطير . لقد قرض علينا الحزامه وشعر كل منا أنه وجد حبه وزعبه .

وفي التاسع من نيسان تحرك الجيش الفرنسي وفقاً للخطة المرسومة . وفي ١٢ و ١٤ منه كسب موقعي «مولينوفي» و «غيفو» ودق اسقناً عبر التسميين وجيش سربنيا . وفي ٢١ منه هزم هذا الجيش في «سفا» و «مولدوفي» ، قاتلت سربنيا السلاح في ٢٨ نيسان . وفي غضون ثلاثة أسابيع كانت بلاد «البيون» خارج الناحية . وفي الخامس من ايار قام بوناپوت بنبارة جريئة امتد له الفوز في موقعة «لودي» ببلغ نهر «أوبج» وقذف بعظم الجيش النموي الى ما وراء الحدود . وبعد أن هزم القائد «ورمزر» في «لوفو» و «كاستلوفي» و «روفيريدو» انبرى لثلاثة لقائد «ألفازي» الذي هبط من التيرول على رأس جيش كبير . فكانت موقعة «أركول» في تشرين الثاني و «ريشولي» في اوائل ١٧٩٧ دحرج بها بوناپوت انتصارين رائعين ، ثم مشى للقائه الارشيدوق شارل ، ولكن الأمير النموي تفادى المعركة وتقدم بعروض للصلح .

تبع الرأي العام الفرنسي خطى القائد الشاب دهام ولفه ، فاختفت شعبيته تنمو تبعاً لتزايد تفوقه العسكري والسياسي . ولم تكن انتصارات ايطاليا سوى حلقة في سلسلة اعمال بهرة رفعت بوناپوت الى مصف عظماء القادة والسياسين .

نشأة بوناپوت . - ابصر نابوليون بوناپوت النور يوم خيل فرنسا اليها جرون كورسيكا . ودخل في العام ١٧٨٤ المدرسة الحربية ، وتخرج منها ملازماً وهو في السادسة عشرة من سنه ، فالتحق بكوندوس المدفعية في «فالانس» . ومما ان عصف روح الثورة ١٧٨٩ حتى اعتنق بوناپوت المبادئ الجديدة ، ورفي

الى رتبة رئيس (كابتن) في المدفعية . وفي اوائل العام ١٧٩٢ انتقل الى باريس وشهد من كتب التطورات السياسية والانقلاب الاجتماعي المطور ، ثم زار مسقط رأسه زيارة قصيرة غادر بعدها كورسيكا وقد آلى على نفسه ان يعقل المضيع مدة من الزمن يتاح له خلالها ان ينشئ نفسه بنفسه ، سياسياً وعسكرياً .

وقد صرف بولنوت سنة ونصف السنة في قراءة « ابوفراط » و « شيترون » و « مونتانيه » و « مونتسكيو » فذلل هذا على مسيله الى تقديم شؤون الحكم والسياسة على العمليات العسكرية .

ومن ثم انصرف الى دراسة اشهر مواقع التاريخ ، فاكب على قراءة النقاد العسكريين في القرن الثامن عشر ، ومنى غناية خاصة بدرس حملات « نورين » و « فريدريك الكبير » . ولم يغفل فتوحات بولنوس فيسرو « هينغل » و « اسكندر المقدوني » .

خرج بولنوت من عزلته ليقود فوجاً مدفعية في قطاع البحر المتوسط ، وكان الفرنسيون يسمون « طولون » بحاوتين اتقاعها فتوة من ابدي الانكليز . واتفق ان قتل قائد المدفعية بعد وصول بولنوت باليام ، فوقع عليه اختيار « سالبيني » ممثل الشعب لدى الجيش الفرنسي للتحول محل القائد الجريح ورفي القناسة الى رتبة عقيد (ليوتان كولونيل) .

ادرك القائد الشاب للوحدة الاولى ان « طولون » فتوة ليس بالهينة السهلة فصاح للقيادة العامة بان تسعى الى احتلال شبه جزيرة « ليغيبنت » التي تفصل بين المرسى الصغير والمرسى الكبير ، حتى اذا تم لها ذلك نصبت بطارياتها في شبه الجزيرة مهددة بها الطريق الوحيد لانسحاب الاسطول للمعادي ، يضطر الانكليز للانسلاخ عن المرسين . وقد عملت للقيادة بنصيحة القائد

الشباب، ورتب على العمل بها جلاء الانكليز عن «طولون» .
وبعد تحرير «طولون» رقي الى رتبة لواء، ولحق بأركان حرب الجنرال
«دومريون» قائد الجيش الفرنسي في ايطاليا . فعهد اليه رتيبه بقيادة لواء
المدفعية واعترف في تقاريره الى الرؤساء بأنه مدين بانتصاراته لخطط بوناپرت
الجريئة .

وبعد حوادث ٩ «نومبر» عين مديراً لشعب الخراط في «لجنة السلامة
العامة» ، فوضع عدة مذكرات طواها على وجهة نظره في ادارة الجيش
الفرنسي في ايطاليا ، فاعجب الرؤساء بأرائه وانتدبوه لقيادة الجيش المذكور
كما تقدم معنا .

وفد اكتشف نابليون من خلال الحملة الايطالية ضعف الحكومة وعجزها
عن فرض ارادتها عليه ، الا انه آثر ، رغم هذا ، ان ينتظر الظروف
المواتية لاستغلال نجاحه كقائد وكسياسي . ولم يفته ، عندما وافقت
حكومة المديون (ديركواد) على ارسال حملة بقيادةه الى مصر ، ان الرؤساء
يريدون الخلاص منه ، وانهم تعمدوا التطويج بشهرته ونفوذه في مغامرة
خاسرة . وقد رأياه يعود من مصر اشد شكية منه بعد عودته ظاهراً من
ايطاليا .

حوادث برومير والجيش . - وبعد نابليون البلاد تنهيط في بحران من
القلق والاضطراب وعدم الاستقرار . وكان «سيس» يبحث عن قائد كفؤ بعد
ان هجعت فرنسا «هوش» المزعج قادتها الشباب وابعدهم نظراً ، وبعد ان خيبت
املها حزبة «جوير» في «نوفي» . وقيل وصول نابليون وفي «مور»
القيادة العامة ، وكان الجمهور يعبه من قادة الدرجة الاولى ، ولكنه لم ينزل
نفسه هذه المنزلة ، فما ان وطئت قدما الكورسيكي الارض الفرنسية حتى

وضع «مورو» استقالته تحت تصرف «سيس» وقال له ان نابوليون بولبورت هو رجل الساعة .

وقد كان ، وجاءت حادثة ١٨ « برومي » فاذا نابوليون رجل الساعة سياسياً وعسكرياً ، فرض نفسه قسلاً اولاً ، وطلق يسمي الى استقالة جيش الشمال بعد ان جعلت منه انتصارات ايطاليا معبود القوات التي علمت تحت امرته . ولكن «مورو» الذي نجلي له عن مركزه مختاراً راح يعمل ضده في نكبات الشمال ، ويغذي الميول الجمهورية في قطعات الجيش . فادرك نابوليون ان سيده الوحيد الى غزو قلوب المجندين هو احراز انتصارات جديدة .

مارتسو . - كانت فرنسا توافقه الى الاستقرار في الداخل والى السلم في الخارج ، فنهج نابوليون في القضاء على بواعث القوضى والتدمير . اما السلم فقد اراده الشعب الفرنسي مشرفاً ، بقر الحدود الطبيعية التي امتتها الثورة (الضفة اليسرى لنيو الرين وبلجيكا) . ولكن انكلترا لم تنظر بعين الرضى الى وجود الفرنسيين في « انغرس » ، فرفضت عروض الصلح الفرنسية وحملت التمساً على رفضها ، فادرك الشعب الفرنسي ان لا مفر من الحرب ، فمضى وراء رئيسه يدعمه بكل قواه .

كان على نابوليون ان ينظم الجيش تنظيمًا يجعل منه اداة صالحة لكسب الحرب ، ودعامة يستند اليها في السعي الى ربح السلم . فعين الجنرال « بوتي » ، رئيس اركان حربه في ايطاليا ومصر ، وزيواً للعربية (حل كارنو محل بوتي بعد تعيين الجنرال في ايطاليا) . وكان الجيش الفرنسي يضم ربع مليون مقاتل ، معززه نابوليون بدعوة مئة الف فرنسي الى حمل السلاح ، وبحض المواطنين على التطوع . ثم عمد الى اختيار القادة فوضع تحت امره « مورو » ، رغم ما كان بينها ، جيوش الرين وسويسرا وكانت تضم ١٣٠ الف رجل يقابلها ١٥٠

القا من الاعداء بقيادة الجنرال « كراي » . وعهد الى « ميينا » بقيادة جيش ايطاليا (٣٦ الف مقاتل يقابلهم ١٣ الف بقيادة ميلاس) .

وقضت خطة نابليون بان تعبر قوات « مورو » نهر الرين سرا في منطقة « كونستانس » ثم تنفخ على طريق فيينا . وفي هذه الاثناء يزحف هو اي نابليون ، بأربعين الف مقاتل من منطقة جنيف - ديجون وينفخ على مؤخرات الجنرال « ميلاس » المواجهة لقوات « ميينا » في ايطاليا .

خاضت قوات « ميينا » غمار معارك طاحنة ضد عدو متفوق . وفي اوانتر بيان انسحبت الى « رجوى » وراحت تستعد لحرب محاصرة طويلة الامد . واحجم « مورو » عن عبور الريح ظناً منه ان مجاورة نابليون ستنتهي الى كارثة . فتركه الفضل الاول وشأنه وخف لافاق « ميينا » ، فاجتاز بقواته مضيق « سان برنار » بين ١٥ ايار و ٢٣ منه ، ومنه هبط الى مقاطعة ميلانو وعبر نهر بو ، وما عم ان يحتل بحر « ستراوبلا » قاطعاً على القائد السوي خط الرجعة فاضطر للقتال في « مارانغو » حيث هزمه نابليون شر هزيمة . فكان هذا الانتصار وللخطط البحرية التي ادت اليه صداها في محافل أوروبا العسكرية واثراها في تقوية معنويات الفرنسيين . وما انصرم العام ١٨٠٠ حتى كانت الجيوش الفرنسية قد هزمت اعداءها في كل مكان . وفي التاسع من شباط ١٨٠١ اعترفت معاهدة « لونفيل » باتفاق بلجيكا وخضعة الرين اليسرى للدولة الفرنسية ، وبالحماية الفرنسية لجمهوريات سويسرا وبافيا وليغوريا والال . واقترنت الاحتلال الفرنسي لسيبوت . وفي العام التالي وقعت انكساراً على عهدة اميان .

وهكذا حقق نابليون الاستفزاز في الداخل والسلم الشريف في الخارج فغزا بانتصاراته قلوب الفرنسيين . الا انه لم يعم على الثقة ، لان اشاعة كاذبة

عن معركة « مارانغو » كذبت تطبيع ببركزة وسميته ، ففتح عينه على ما يحاك حوله . وكانت بقطعه في محلها ، فقد قام خصومه بسلسلة محاولات للقضاء عليه ، منها محاولة « الاوروا » في ١٠ تشرين الاول ومحاولة « سان نيكور » في ٢٤ كانون الاول . ولم يحميه الصلح مع انكلترا ، فادرك ان السلم لن يعمر طويلا ، وان فرنسا لا تستطيع ان تحتفظ بنار جهودها الا بانحداد كلتها وبتعبه مواردها تعباً دائماً . وادرك ايضاً ان الجيش هو السلم التي يمكنه ان يرقى براسطها الى المركز الذي يطمح اليه . فوجه الى القوى المسلحة عناية خاصة ، يراعى بتقريب من الضباط والجنود ليجول دون تلاعب القادة بعواطفهم . ومن الفظة جديدة جمعات منه المجهنم الوحيد على مؤثرات الجيش .

٢ - الجيش الاعظم

في ايار من العام ١٨٠٣ رفضت انكلترا معاهدة « اميان » ، ولكن اوردوا رعت في ظلال السلم عامين كاملين بعد هذه المادرة الخطرة ، لان نابليون كان مشغولاً بتحقيق مطامعه الشخصية . وما ان غمر له ما كان يصبو اليه (اعتلاء العرش) حتى كانت انكلترا قد انشأت حلفاً ضده . فوقف الامبراطور حائراً لا يدري اي السبل يسلك لانتفاذ فرنسا وغرشه : أبضرب حلفاء انكلترا ام يهاجمها هي في عقر دارها ؟ حزم امره ، بعد امعان الفكرة ، على اعتماد الخطة الثانية وقرر غزو الجزر البريطانية بجيش كبير . وما عن ان حشد قوات الغزو في « رافى » المانش وامن لها السفن اللازمة لنقلها . الا ان عبور المانش لم يكن عملية سهلة ، فالاسطول الانكليزي يسرح فيه ويهوج على هواءه ، ولم يكن للفرنسا سفن حربية تكفي متالفة العدو . فقد اخطت الثورة شأن الاسطول وفقت موقعة « ابوفير » على ما وردته العهد

الجديد من العهد الملكي . وجاء اخفاق مناورة الاميرال « فيلوف » في آب ١٨٠٥ بوهاناً فاطعاً على عجز فرنسا البحري ، فصرف نابليون النظر عن غزو انكلترا وحول وجهه سطر النسا ، ضاق ضدها جيش المانش الذي جار منذ ذلك « الجيش الاعظم » .

تنظيم الجيش الاعظم . - في خريف العام ١٨٠٣ حشدت فرق ثلاث في معسكرات « مونزويل » و « بولونية » و « بروج » بقيادة « فاي » و « صوات » و « دافو » . وحشدت قطعات اخرى في معسكرات « اوتوخت » و « برست » بقيادة « مارمون » و « انجرو » . وكان المركز الرئيسي في « بولونية » .

نظم « الجيش الاعظم » على اساس انشاء قبائل واحتياط عام للحياة وضم القبلى الواحد فرق مائة (واحياناً ثلاث فرق او اربعاً) وفرقة من الحباله الخفيفة ، وراوح عدد رجاله بين ١٤ و ٤٠ ألفاً . اما احتياط الحباله فقد ضم فرقين من الفرسان المدرعين واربع فرق من الفرسان « الدراغون » ، وفرقة « دراغون » راجلة وفرقة من الحباله الخفيفة ، واربعاً وعشرين قطعة مدفعية ، وراوح عدد رجاله بين ٢٢ و ٢٥ ألفاً بقيادة « مورا » . وقد استخدم الامبراطور هذا الاحتياط في مناوراته الناجحة ضد مؤخرات العدو .

وانشأ نابليون الحرس الامبراطوري وجعل منه وحدة مقاتلة من الطراز الاول ، تضم ثمانية آلاف رجل منهم خمسة آلاف راجل والفا فارس بعززم اربعة وعشرون مدفعاً . ودعي للانخراط في الحرس ضباط الصف والمحاربون القدماء الذين اشتركوا في اكثر من حملة ، وسلكوا في الخدمة اكثر من خمس سنوات . واعطي القفر في هذه الوحدة العسكرية رتبة منكب ، والمنكب رتبة رئيس مناكب ، وهذا رتبة ملازم ثان .

وقد غا الحرس الامبراطوري على صكر الاعوام ، فصار يضم في العام ١٨٠٩ خمسة وعشرين الف مقاتل . وفي اثناء الحملة الروسية كان الحرس يؤلف جيشاً .

الملاكات . - كان معظم الضباط في الجيش الامبراطوري من سبق لهم الخدمة في الجيش الملكي كاتغار او كنانكس وعرقاء . وقد تولي قيادة الكراديس زعماء (كولونيل) شبان متوسط اعمارهم ثمانية وثلاثون عاماً . وكان المقدمون آثرو الافواج (القومندان) والرؤساء (كابتن) والملازمون الاول في سن واحدة تقريباً ، يستثنى الملازمون الذين تخرجوا من مدرسة « فونتنبلا » العسكرية (نقلت المدرسة الى سان سير ١٨٠٨) فقد كان معظمهم دون الواحدة والعشرين .

القادة . - بلغ عدد القادة (جنرالية) في العهد الجمهوري مئة وسبعين ، ففضض نابوليون بوناپرت ، وهو بعد قنصل اول ، عددهم الى سبعة وثلاثين . وفي العام ١٨٠٥ كان اصغر القادة سناً في الجيش الاعظم دون الثلاثين من سنه وكان اكبرهم سناً في الرابعة والخمسين .

وكانت حكومة الثورة قد ألغت عصا المارشالية فاصدر نابوليون في العام ١٨٠٤ مرسوماً باعادة هذه الرتبة وجعل عدد مارشالية الامبراطورية ثمانية عشر . وقد سلم عصا المارشالية الى « كيلرمان » و « بيرونيون » و « سيورون » و « جورودان » مكافأة لهم على خدمات سابقة ، وانعم بالرتبة نفسها على « بيسير » و « بونادوت » لاعتبارات سياسية وعاطفية . اما سائر المارشالية فقد استسقوا هذه الرتبة بشجاعتهم ومواجهتهم . فقد كان برتبه القائد « الذي لا يمكن ان يتم شيء بدون » ، وكان مورا « اقدر من يتولى الاجهاز على العدو واستتار النجاح المبني » ، اما « ناي » فهو « اشجع الشجعان وفارس الميدان » ، وكانت

« ميناء » مواهب عسكرية تجعل منه قائداً فذاً . ولا ننس « انجير » ولوفير
« المستنير حية واخلاقاً » و « لان » و « صولت » و « دافو » و « ماكديتالد »
و « مورتيه » و « موني » و « برون » ، « اساندة فن المناورة في الجيش الاعظم .
كان « بوتي » اكبرهم سناً في العقد الخامس ، اما اصغرهم سناً فهو « دافو »
وقد تسلم العصا من الامبراطور وهو في الثالثة والثلاثين .

الاسلحة . — كان سلاح المشاة الرئيسي في الجيش الاعظم بندقية طويلة
اثبتت في مقدمها حربة ، مدى اطلاقها مشا متر . كان الجندي يحمل في
وسطه خمسين فشكة ، وكان عليه أن يفرغ محتويات الانابيب النحاسية من
البارود في فوهة البندقية ، ثم يتبع بها الرصاص ، جاعلاً الفاصل بينها خرقه
من قماش از ورقة . اما الحربة فقد كانت قصيرة وسريعة العطب .
لذا قلما استخدمها المشاة في الالتحامات ، بل كانوا ينفذون على العدو
بسيوف قصيرة ذات حدين .

وقد عني الامبراطور عناية خاصة بالحباله لانه ادرك اهميتها في المناورة
وحرب الحركات ، فجهز الوحدات المدفوعة ، وكانت مهمتها شن حملات
صاعقة على العدو ، بدروع لا يؤثر فيها الرصاص ، ويحذر حفيظة ولكنها متينة .
اما « الدراغون » المشاة فقد سلحوا ببنادق كاثي سلح بها المشاة العاديون ،
وظل معظمهم راجلاً لعدم الحصول على العدد اللازم من الجياد . اما
« الدراغون » الفرسان فقد كان سلاحهم السيف الاحدب والقراينة . وبعد
الالتحامات الاولى مع الفرسان القوزاق جهزت الحباله الخفيفة بالخراب .

والى نابوليون المدفعية جانباً كبيراً من اهتمامه وعنايته وهو بعد قنصل
اول . وعلى اترتويجه امبراطوراً اعاد تنظيمها فصبغت ثمانية كرايس مشاة
وسنة كرايس خباله وعشرة افواج للثقل . وقد اخذ سلاح المدفعية

التمر فبلغ عدد رجاله سنة ١٨١٣ (اثنين وثمانين الفا .
 «واحد» الجيش الاعظم» في المعارك التي خاض لحوادثها مدافع من طراز
 «غريفال» التي صير بثلاثها الجيش الملكي . واستخدم منها في «اوسليرتز»
 و«واغرام» و«دوسدن» مدافع الميدان ذات المدى البعيد (٣٠٠٠ متر) . كان
 المدفع يطلق مرتين في الدقيقة فبلغ عدد القذوفات التي اطلقتها المدفعية الفرنسية
 في معركة «واغرام» ٩٦ الفا ، وكانت تضرب اهدافها من مسافة ستة
 متر وتجهت في ان تأتي اعمالا منسجمة وحركات الحياكة والمشاة .

المعوقات . — كان الامبراطور شديد الحرص على رفع معنويات جنوده ،
 وقد وجد في الاستعراضات الفخمة احدى الوسائل القوية بتحقيق هذا الغرض
 لانها تلج له لتسير جيون مؤدوسيه بظواهر الابهة ، كما تتيح للضباط
 والجنود ان يعجبوا بنفوسهم وهم يسيرون وسط جماعير النظارة يبرزهم الانفة
 واسلحتهم الزاخرة .

في الخامس عشر من آب ١٨٠٤ تسم «الجيش الاعظم» من بعد
 الامبراطور صليب جوفة الشرف في احتفال عسكري مهيب . وقف
 الامبراطور على منصة وسط مرادق كبير زين بالاعلام والرايات التي غلبها
 الفرنسيون من العدو ، واصطففت الضباط مقابل المرادق . ثم تقدم مستحقو
 الوسام الرفيع من النخبة ، وبعد ان افسوا عين الولا سلم اليهم الامبراطور
 الاوسمة وحكمت موضوعة في خبذة «دوغيكلان» و«دري» «بايار» و«زرد
 فرنسا الاول» . وبعد انتهاء حفلة توزيع الاوسمة مر الجيش امام نابوليون
 بنظام بديع .

تحرك الجيش الاعظم . — ترك «الجيش الاعظم» المعسكرات الساحلية
 في آب ١٨٠٥ ، وقد تمت هذه الحركة سراً وبخطام تام ، مع ان القوات

الراحة كانت تتألف من سبعة فيالق بقيادة المرشالية « برنادوت » و « مارمون » و « دافو » و « صولت » و « ناي » و « انجير » و « مورا » . وبعد ميعاد عشرين يوماً وصل « الجيش الاعظم » الى الراين بين كان الحلفاء يرحبون خطتهم . وقد ذكر المؤرخون المعاصرون ان الفيالق السبعة لم تدق طعم الراحة خلال الايام العشرين ، وان الضباط والجنود قطعوا المسافة الطويلة بين بوس و الراين دون ان يرتفع صوت واحد بالتذمر والشكوى . ذلك بان روح التنافس بين الكراديس كان على اشده ، وكانت الرغبة في ارضاء الامبراطور وبيل خطوة في عينيه تستحث خطى الكهول وذوي البنية الضعيفة من الشبان .

يضاف الى هذا ان نابوليون كان محزناً بارعاً وعلماً بهواء النفس من الطراز الاول . كان يعلم ان الجندي لا يحتاج الى اكثر من كلمة لطيفة وابسامة وريثة على الحائط ليخس نعيه ، ويطرح بنفسه في مهاوي الهلكة تنفيذاً لاوامر الرؤساء ، هذا ما كان ليضن عليهم بالعطف ، فيفتقد احوالهم ويؤاكلهم ويتحدث اليهم ببساطة .

٣ - الفتح الحربي

عبر « الجيش الاعظم » نهر الراين في الخامس والعشرين من ايلول ١٨٠٥ . وفي السادس من تشرين الاول سيطرت الطلائع على مبرات « بلخ » ورا ، مؤخرة جيش القائد « مالك » الذي كان يقاتل حول « اولم » . وبعد اربعة عشر يوماً تراجع الجيش النمساوي امام نابوليون . وقد غطى هذا الانتصار السريع هزيمة الابطول الفرنسي في الطرف الاخر حيث سجلت انكساراً وبمها الاول في صراع طويل ، غريب . وعقب تغلب الجيش الاعظم في « اولم » انتصاراته الرائعة في « اوستليتز » و « بينا » و « ايلو » و « فريدلند » و « ايسلنغ » ، بلغ نابوليون قمة المجد وبلغ منه العسكري الذروة .

الرجل والفن . - يحسن بنا ان نقف قليلاً عند الرجل الذي دوخ أوروبا وكانت فتوحاته تغير خريطة العالم .

كان نابليون قوي الارادة ، ذكياً ، سريع الحاطر ، نافذ البصر والبصيرة ، لا ينفوته من الامور صغيرها وكبيرها . يفكر ملياً في ما هو مقدم عليه ، على ما حياه الله من مواعيد وعلى ما حصل هو من معرفة . وقد قال مرة لاحد السفراء : « اني اعمل عشرين ساعة في اليوم لاني لا ارجل ندايري ارجالا ، فانا عندما انصرف الى وضع خططي اجاهد جهاد من يتسلق مرتفعاً وقد جظ كاهله عب ثقل ، ولحس احياناً الاوجاع التي نحسها حين فاجأها الخاض . ولكن هذا كله يزول حالما احزم امري على عمل بعد ان اكون قد رحت له الحطة اللازمة ، وعندما احشد قوتي عقلي كافة واستخدمها في تدبر العناصر وتأمين العوامل التي تكفل نجاح خطتي . »

ولنابليون في فن القيادة وفي الحرب ، كعلم وكفن ، آراء تبدو متناقضة للوهلة الاولى . فقد كتب في جزيرة « القديسة هيلانة » يقول : « ليس للحرب قواعد معينة ، فالاخفاق او النجاح يتوقف على عوامل شتى ، منها سجية القائد وحالة الجيش وطبيعة الارض والاحوال الجوية . » وكان قد كتب لاحدى المناسبات يقول : « الحرب فن ذو قواعد لا تبدل ، غدا ينبغي للقادة ان يستشهدوا بالمبادئ المقررة لان القضاء والقدر لا يكفلات لنجاح العملية الحربية . » قلنا انها آراء تبدو متناقضة للوهلة الاولى ، وقد اثبت نابليون بتصرفاته كفائد انه فليس من مطالعاته ودروسه مبادئ معينة وعمل على توضيحها وطبقها بنجاح في حملاته الاولى . الا ان هذه المبادئ فقدت قيمتها شيئاً فشيئاً تبعاً لتطور فن القتال . وتعلم الامبراطور على حسابه ان الجيش الذي ساقه لاختضاع روسيا هو غير الجيش الذي هزم العدو في « اولم » الجيش الفرنسي .

« اوستلير » . لهذا رأياه يكتب في جزيرة القديسة هيلانة : « انه ليس للحرب قواعد معينة . »

كانت « الاستراتيجية » النابوليونية تقوم على السعي الى صق العدو بتدابير جريئة تركه في حيرة من امره ، وترغمه على القتال في احوال غير ملائمة . وللقضاء على معنويات الخصم اعتمد الامبراطور عناصر لا يمكن تحقيق هذا الغرض بدونها ، وهي كتمان الاستعدادات الهجومية ، ودقة التنفيذ ، والوصول بسرعة الى خط مواضع العدو ، للحؤول دون افلاته ولاورغامه على القتال . ولبلوغ هذا الهدف كان يطبق بحيث ساحة العمليات معها تكن واسعة . وهو تكتيك ينطوي على مخاطر ما كان نابليون ليفعل عنها . منها ان مواضعه تصعب عرفة للخطر ، وهو يحذر كان يتلافاه بانشاء « مراكز للعمليات » في نقاط معينة بحيث يكون كل شيء في متناول الجيش فلا يتأثر بسيطرة العدو على خطوط تموينه الاصلية . ومنها ان العدو المتجمع يستطيع ان يشن هجوماً مركزاً على نقطة ضعيفة في الجهاز الفرنسي الواسع الانتشار ، يثقل نفسه طريقاً . وقد كان يتفادى هذا المحذور باطلاق الدوريات تستطلع له احوال الخصم وحركاته ، حتى اذا لاحت منه بادرة خطرة امرع نابليون الى القضاء عليها وهي بعد في مستهلها .

والمعركة عند نابليون تكتيف تبعاً للمناورة . فاذا وقف العدو ازاء حركات الجيش الامبراطوري جامداً ، متردداً ، عمد الفرنسيون الى تطويقه كما حدث في « اولم » . وان هو تهد للجبهة الجيش المنار دارت بينها رعى معركة حاسمة على اساس « الجبهة المقابلة » اي ان الفرنسيين ينزلون العدو على خط تراجعهم كما حدث في « مارانغو » . وعلى الجبهة ، لا يمكن ، عند درس معارك نابليون ، تبين الحد الباصل بين نهاية الاستراتيجية ، وهي فن قيادة

الجيش حتى يصل الى العدو ، وبين بدء التكتيك ، وهو فن نشر الجيش واستخدامه في ساحة القتال .

كانت المعركة النابوليونية تمتاز بمراحل اربعاً : تبدأ بهجوم جيهي للتعرف الى قوى الخصم ، ثم تليها حركة التفاف الغرض منها ارقام الخصم على الانتشار لاتقاء الخطر وعلى الاستعداد باحتياطه . وبعد هذا تضغط القوات الرئيسية على نقطة الضعف في جهاز العدو . واخيراً تبدأ المطاردة ، بعد ان يكون هجوم القوات الرئيسية قد فتح فجوة في الصفوف المعادية .

في الهجوم الجيهي كان الامبراطور يضحى بالقليل من الرجال ينطلقون من نقاط ارتكازية قوية ، وقاما اتبعهم بتعدادات لان عملتهم الهجومية غير اساسية . وكان يقوم بعملية الالتفاف الفرسان غير المدرعين . اما الهجوم الرئيسي فيتولاها الفرسان المدرعون والمشاة ، ويسبق الهجوم تهديد من جانب المدفعية . فاذا فتح المهاجمون الفجوة المطلوبة في الجهاز المعادي حمل الجيش كله على العدو وانطلقت الحيلة في الطليعة .

وقد حرص الجنرال « ويران » تكتيك نابوليون الهجومي بما يلي : « كان الامبراطور يستخدم في العمليات الثانوية قوات محدودة ، وفي الهجوم الرئيسي معظم القوات العاملة ، وفي الهجوم الحاسم والمطاردة الجيش العامل مضافاً اليه الاحتياط . وكان اذا اتى نفسه امام عدو متفوق ، يجتهد في تجنبه اكبر عدد ممكن من جنود الخصم بمناورات يقوم بها اصغر عدد ممكن من جنوده هو ، على ان ينتفض بقواته الرئيسية على القوات المعادية ، حتى اذا تم له سحقها ارتد على العناصر الاولى . »

التنفيذ . - من اقوال نابوليون في الحرب انها من بسيط اذا افترقت خططه بالتنفيذ . وقد تجلت مواهبه في التنفيذ تجليها في التصميم .

كان يتقن بالخالص معاونيه وشجاعتهم وخبرتهم . الا انه كان يقدمهم بتعليماته فلا يتبع للواحد منهم فرصة يبرز فيها مهارته وبداعه في المناورة . وككل قائد معتد بنفسه كان يتفرد بالتصميم ، ويحفظ لنفسه بدقائق الخطط التنفيذية ، غير مستخدم للوسطاء الا في حالات استثنائية ، مبالغة منه في كتمان مشروعاته . ففي منهل الخلة كان يوجه الى القادة البعيدين عن مقره رسائل شخصية . اما القريبون من المقر ، فقد كان يعهد الى المارشال « برتیه » مهمة ابلاغهم اوامرهم . وفيل المعركة كان يجمع القادة ويشرح لهم خطته ، ثم يجتهد في التعرف الى الارض وفي اختيار النقطة التي يمكنه ان يتبع منها تطور القتال ليبادر الى استئثار « الحدث » ، وهو هنا يحتاج حركة الالتفاف . وفي اليوم التالي بطوف الميدان ليقف بنفسه على اهمية الحاسن وعلى الاغلاط المرتكبة . كان المقر العام يشتمل على غرفة الامبراطور العسكرية ، وعلى هيئة اركان الحرب العامة . فموظفو الغرفة العسكرية هم امراء السمر والمرافقون والقادة المعاونون . وقد مثل هؤلاء دوراً رئيسياً في فتوحات نابليون واشهرهم القادة « جيون » و « كافاريلي » و « موتون » و « راب » و « لوريتون » و « سافاري » و « لوبران » و « دريو » و « لوجون » . اما الاركان العامة فقد كان رئيسها المارشال « برتیه » يتولى تعميم اوامر الامبراطور وتعليماته ، ويشرف على اعمال الدوائر التي كانت مهمتها لا تختلف كثيراً عن المهام المنوطة في الجيش الفرنسي الحديث بالكتائب الاربعة ، اي ان منها دائرة مهتمة بتنظيم حركات الجيش ، وثانية ينظم بها تنظيم النقل والتموين ، وثالثة ادارة العمليات وفاقاً لتعليمات نابليون ، ورابعة وفقت نشاطها على الاستخبارات وعلى تأمين النظام في الجيش . وكان هناك هيئة اركان حرب المدفعية والهندسة تعودان في شؤونهما الى الامبراطور من طريق المارشال « برتیه » .

٢ - حروب نابوليون

الحملات الاولى . - يقول الكولونيل « ريفول » في كتابه « تاريخ الجيش الفرنسي » ان الحملة الابطالنية هي رائعة نابوليون . فيها ملك ناصبة الفن وحدد الاستراتيجية الحديثة قواعدها : اقتصاد في القوى ، واعتاد المفاجأة عنصراً اساسياً في القتال ، وتهديد مواصلات العدو بناووات التفافية جريئة . بيد ان الجيش الذي القيت اليه مقاليد في ابطالبا لم يكن في حالة يمكن فائده معها ان ينور ويوسع في تطبيق خططه التكتيكية .

في مصر حجب السياسي الماهر والاداري الذي لا يحصى في نابوليون رجل الحرب الحربي بالاعجاب . ثم كانت معركة « مارانغو » مهد لها بناورة استراتيجية جريئة ، ولكنها كادت تنتهي بهزيمة لولا القائد « دوزيكس » . وقد اعترف الامبراطور في مذكراته بأنه انكل كثيراً على نجمة في حملاته الاولى وان الحظ مشى في ركابه حتى في المجازفات التي لا يقرها فن الاستراتيجية والتكتيك .

الحملات الكلاسيكية . - زخوت معركةنا « بنسا » و « اوستوليتز » بالدروس والابتكارات . ولكن النقاد العسكريين شروا بدرس المعركة الاولى لان مواهب نابوليون العسكرية تجلت فيها باجلى مظاهرها . اما « اوستوليتز » فقد ربحها دون كبير عناء لان جوليسيه كانوا يوافقونه ساعة بعد اخرى باخبار العدو وحركاته ، فبيني خططه على هذه المعلومات . يضاف الى هذا ان قاذفة الجيوش التحالفه كانوا اقزاماً ازاء العملاق الفرنسي ، فكان يلعب « ماك » المؤدد ، و « كوتوزوف » الشيخ المهدم ، والامبراطور اسكندر الجسور حتى الثبور ، ملائمة امر للقار . ولا يلقى اي صعوبة في احباط خططهم وفي ايقاعهم في حباله .

في « بينا » تلاقي « الجيش الاعظم » والجيش الروسي الذي جرحت
كبرياءه هزيمة أوسترليتز ، فحزم امره في ايلول ١٨٠٦ واجتاح « الساكس » .
وكان الجيش الفرنسي معسكراً في المانيا الجنوبية فحشده نابوليون بين
« ماينس » و « امبرغ » وفي نيته ان يزحف الى برلين ابتداء من « بامبورغ » .
وكانت خطة البروسيين تقضي بالزحف من « ارفور » الى « ويرزبورغ » وقطع
مواصلات الفرنسيين .

عزا نابوليون الى العدو خطة معقولة ، وهي التجمع وراء « الابل »
بانتظار وصول حلفائه الروس ، ولكنه لم يحزم امره على خطة معينة ريثما يحل
اليه رجاله الحُر اليقين . فعرف في ٢٩ ايلول ١٨٠٦ ان البروسيين يجتشدون
حول « ارفور » فقرر حشد قواته كلها حيث كانت تحتشد مبنته تاركاً
البقعة الواقعة بين الرين و « بامبرغ » مكشوفة . وقد صرح لقادة جيشه في ٣٠
ايلول بان نجاح مناوئته يترتب عليه نتائج عظيمة للثان لان العدو سيحاول
القفز حول المبصرة الفرنسية اعتقاداً منه انها تستند الى نهر الرين ، وعندها
يسكر الفرنسيون ويقذفون به الى ما وراء النهر .

ولكن البروسيين لم يجرؤوا ساكناً . فبدأ الجيش الامبراطوري زحفه
شمالاً بشرق على النحو التالي : تقدمت المبصرة بقيادة المارشالين « لان »
و « انجير » مارة بـ « كوبرغ » و « سالفيلد » ، ومتى القلب بقيادة المارشالين
« برنادوت » و « دافو » بدعمه احتياط الخبالة ، ماراً بـ « بركروسانخ » و « شليز » واتجهت
الى قيادة المارشالين « ناي » و « صولت » نحو « هوف » و « بلوين » .

وفي العاشر من تشرين الاول قرر نابوليون الاسراع في العمل قبل وصول
الروس عبر سيليزيا ، وكان الجيش البروسي يقف متريداً امام طرق ثلاث :
الطريق المؤدية الى « ومار » « درسدن » مارة بـ « بينا » و « جيرا » ، وهي تدب

من حلفائه الروس ، وطريق ومار - لايبزيغ مارة بنومبرغ ومنها الى درسدن
او برلين وطريق ماجدبورغ مارة بسوميردا .

حشد الامبراطور قواته الرئيسية بشكل نصف دائرة وعهد الى قوات « دافو »
بالاندفاع نحو طريقين من طرق القواجع المعادية ، على ان تدعمها خيالة « مورا »
ونظرا متصلة بالقوات الرئيسية بواسطة قوات « برنادوت » ، فاذا التقت القوات
الثانوية الجيش الروسي شغلته ريثما تصل القوات الرئيسية . اما اذا تصدى
الروسيون للجيش المنتشر بشكل قوس فتكون قوات « دافو » في وضع يتيح
لها المناورة واللف حول الاعداء .

ولم ينتظر نابوليون تحرك العدو ليتبين اتجاهه فزحف بقواته الرئيسية الى
« ومار » بطريق « بينا » ريثما كانت قوات « دافو » تقطع طرق الشرق . وانتهى
اليه في ١٣ تشرين الاول ان الروسيين يحاولون القواجع نحو ماجدبورغ ،
فجعل الخطى في اندفاعه نحو « بينا » وامر « دافو » و « برنادوت » بالزحف الى
« ومار » . ولكن الروسيين عبروا خطتهم في اللحظة الاخيرة وحولوا وجوههم
شطر الشرق في محاولتهم الاقلاق . وقضت الخطة الجديدة بان يعمل جيش
الجنرال « هوهنلوخ » على تعطية القوات الرئيسية الموضوعة تحت امره
« برنسويك » ، وان يحول دون وصول الفرنسيين الى « بينا » عبر نهر « سال » .
فاضطر نابوليون الى مواجهة الحالة الجديدة بتدابير ادت الى ادخال تعديل
يسير على الخطة الاصلية .

كان قد حشد جيشه استعداداً لمعركة يقود فيها المارشالية « انجيرو »
و « لان » و « فاي » عمليات التحرش الجيبيه ، وتولى المارشالان « دافو »
و « برنادوت » ادارة حركات اللف ، ويقود المارشال « صولت » الفجوم الرئيسي .
اما الحرس الامبراطوري فيؤلف الاحتياط العام . وقد قضت الخطة المعدلة بان

تقف القوات الرئيسية امام جيش «هوهنلوخ» في «بين» وظلت مهمة «انجير» و«لان» و«ناي» هي اياها . ولما كان «دافو» و«برنادوت» قد ابتعدا بقواتهما لتنفيذ حركة اللف عملاً بالخطة الاصلية ، فقد نظمت المهمة نفسها على الجبهة الجديدة بفرقة الجنرال «سان هيلير» التابعة لفيلق الحبال . وبطل الهجوم الرئيسي منوطاً بالمارشال «صولت» (قائد الحبال) يدعمه الاحتياط والحرس الامبراطوري . اما الاحتياط العام فتولاه قوات «برنادوت» ان هي وصلت في الوقت المناسب .

وفي ليل ١٣ - ١٤ تشرين الاول كانت القوات الفرنسية تحتل مواضعها على النحو التالي : انتشرت قوات المارشال «لان» والحرس الامبراطوري على التلال القائمة الى الغرب من «بين» ، وتجمع فيلق «انجير» في وادي نهر «سال» ، وانتشر فيلق «ناي» عند مدخل المدينة . وبعد منتصف الليل بقليل اجتازت المدينة احدى الفرق التابعة لفيلق «صولت» وسرعت الحبال تتحرك نحوها . وفي هذه الاثناء كان «برنادوت» بين «نوبورغ» و«دورنبورغ» . اما «دافو» فكان في «نوبورغ» .

وقبل انبلاج الصبح انتهى الى نابوليون ان الجيش البروسي ينتشر بين «بين» و«ومار» فقرر مهاجمة العدو صباح اليوم التالي . وقبل ان تتحرك قواته ارسل اليه المارشال «دافو» من ينبيه الى احتشاد قوات معادية كبيرة بين «ومار» و«ابكارسبورغ» على طريق «نوبورغ» . وقد تبين انها قوات برنسويك (وكانت تضم ستة وخمسين الف مقاتل) كما تبين ان خمسين الف بروسيا انتشروا بين «ومار» و«بين» بقيادة هوهنلوخ لتغطية انسحاب برنسويك .

المعركة . - في ساعة مبكرة من صباح ١٤ تشرين الاول انقض نابوليون على مبصرة هوهنلوخ . وبعد ساعة من الزمن كانت فرقنا القائدين

« سوشه » و « غازان » التابعتان لنبليق المارشال « لان » تحتلان ثلاث قرى حصينة ومعدتان ثغرة واسعة في صفوف الفيلق البروسي الذي كان يحمها . وفي الساعة التاسعة برز « صولت » الى الميدان واتصل « انجيرو » بيسرة « لان » وكان هوهناوخ قد غير جبهة معشده مبسرة اسلم بلدة « لىكوبتز » والمدينة في « شنيك » اما القلب فقد تجمع حول مدينة « فيرنهباجن » . وفي منتصف الساعة العاشرة تقدم « ناي » بحجبه الضباب بين قبلي « لان » و « انجيرو » وانقض بثلاثة آلاف رجل على قوات « هوهناوخ » الرئيسية في « فيرنهباجن » فحملت عليه الحيلة البروسية حملة قوية كادت ترجه في مأزق لولا بطولة افواجه الاربعة التي حصدت هجمات العدو واستطاعت الاحتفاظ براكزها حتى وصل لنجدها فلق المارشال « لان » . وقد تمكن المارشالان (ناي ولان) من احتلال المدينة بعد معركة حامية الوطيس . وفي هذه الاثناء كان « انجيرو » و « صولت » يدفعان نيسنة العدو ومبسرته الى الورا . فامر « هوهناوخ » جيشه بالتفكر . وكان نابليون يرفب هذه البادرة من جانب البروسيين . لينقض عليهم بقواته

حاولت الحيلة البروسية عبثاً نفطية عملية الانكفاء لان خيالة « مورا » كسبت كل شيء في طريقها . وما انتصفت الساعة الثالثة بعد الظهر حتى انقلب التفكر البروسي هزيمة . اما جيش « برنسويك » فقد هزمه « دافو » في موقعة « اورسبيد » وبلغت خسائر البروسيين في الموقعتين مائتين الف رجل .

٥ - التوازن يندل

خيل للامبراطور بعد انتصاره على البروس في موقعة « نيلسبت » ان السلم في القارة اضحى رهن مشيئته وانه يستطيع ان يلزم انكفرا حدودها بالقضاء عليها اقتصادياً ، ما دام لا يقوى على مهاجمتها في عقر دارها . ولكن سياسة

الحصار افتتحت ارسال حملة فرنسية الى البورتغال فاسبانيا فاضمت « اشواك »
 البلدين ارجل الفرنسيين ، وانضمت الجيش الامبراطوري بالجراح . فشجعت هذه
 المناصب آل « هابسبورغ » على معاداة نابوليون بعد ان اطمأنوا الى حياد
 روسيا التي خالفت الامبراطور بعد « تيليت » رغبة منها في كسب الوقت
 واعداد العدة للاخذ بالتأثر حالما تسح الفرصة .

هزم نابوليون النموسين في « وافرهم » ورفع هذا الانتصار معنويات جيشه .
 وازداد مركز فرنسا مناعة عندما صار الامبراطور الفرنسي صهراً لفرنسوا
 جوزيف امبراطور النمسا ، وحلت مشكلة ولاية العهد بالولود الذي اعطي
 اسم « ملك روما » .

ولكن القارة ظلت انغلي كالرجل ، لان الدبلوماسية الانكليزية تطورت
 لفتح العبوت « على الخطر الفرنسي المتزايد » وربطت اوربا النافمة على
 الكورسيكي بسلسلة تحالفات جعلت الحرب الطريق الوحيد المؤدي الى
 السلم .

وفي هذه الاثناء تزايدت الحاجات العسكرية عند الامم ، وطراً على الجيش
 الاعظم « تطور مزدوج : فزاد عدده زيادة كبيرة ولم يبق جيشاً فرنسياً
 صرفاً .

الجيش الاعظم في خمس سنوات . - كسب نابوليون معركة اوسترليتز
 بسبعين الف مقاتل . وخاض غمار معركة « وافرهم » بثمة وثمانين الفاً . ذلك
 لانه ادرك ان جودة السلاح لا تستطيع شيئاً ازاء التفوق العددي الساحق
 فبعد منذ سنة ١٨٠٧ الى توسيع نطاق التعبئة فشلت الشبان الذين بلغوا
 التاسعة عشرة والكميون الذين لم يتجاوزوا الخامسة والاربعين . وقد افبل
 الفرنسيون بادی ذي يد . على حمل السلاح « ليكون لهم شرف المساهمة في

بناء مجد فرنسا ، ونسحق خصوم الامبراطور في الداخل وعمل اعدائه في الخارج استطاعوا ان يسموا الجو ، بتبنيهم الافكار الى ان آلاى الفرنسيين يموتون في سبيل عروش تقام لاشقاء الكوريكي واصهاره . فضضت جذوة الخاسة في الصدر وراح الخاضعون للتجبد ينهبون منه بشئ الوسائل والاسباب . وقد بلغ عدد المهترئين والقراريين سنة ١٨١٠ خمسين ألفاً ، وارتفع سنة ١٨١١ الى ستة وستين ألفاً . وقد ذكر الامبراطور في مذكراته ان الجنود الذين اتعبتهم الحروب المتواصلة كانوا يعدون الى طعن انفسهم ابان المعركة ليصير ثقلهم الى المؤخرة اسوة بجرى المعركة .

ازداد الجيش الامبراطوري رغم ذلك كله زيادة هائلة ، لان نابليون عد بعد موقعة « ينسا » الى الاستعانة بالاجانب من اسرى ومرترقة . وقد ذكر المؤرخون المعاصرون ان الاجانب كانوا يشكلون الثلث في الجيش الذي خاض غار موقعة « وagram » . اما جيش الحملة الروسية فقد كان الاجانب يشكلون فيه اكثر من النصف .

يقول الجنرال درغول في كتابه « فرنسا وجيشها » ان العناصر الاجنبية في الجيش الاعظم كانت في جملة العوامل الرئيسية التي ادت الى تفكك عرى ذلك الجيش . ووضح الجنرال ويغان في « تاريخ الجيش الفرنسي » ان الجيش الامبراطوري ضم سنة ١٨١٢ ثمانية عشر كورداً من الجنود المرتقة ، وعشرة كوراديس كان ثلث رجالها من الاجانب الذين اعطوا لقب « مواطن في الامبراطورية » . يضاف اليها قطعات مساعدة قدمتها حكومات الممالك والامارات الخاضعة للحماية الفرنسية ، كتابوني ووسقاليا ودوقية فرسوفيا والنسيا وبروسيا وبافاريا وورتمبرغ .

وقد ادى الاكثار من الاستعانة بالمحاربين الاجانب الى افقاد الجيش

الاعظم تلك الميزة التي حمت له الفوز قبل ان يسي مشرع الابواب لكل راغب في الانضمام اليه ، غابت القصة التي تشد افواجه الواحد الى الآخر والانسجام الذي لا تدحه عن خوفه في جيش اضطلع برسالة هي احسن من الفتح والتوسع : حمل «بادي» الثورة الى اوروبا الرايحة تحت تقاليد القرون الوسطى . وقد رد معظم مؤرخي العصر اخفاق نابليون في روسيا الى عوامل عدة ، في رأسها تخلف الفرق الاجنبية كلها اقتضى الامر عملاً بطولياً ، وبطولها في التنفيذ في الحالات العادية ، ولم يشذ عن هذه القاعدة الا القطعات البولونية التي ضربت اروع الامثلة في التضحية ونكران الذات .

• - النهاية

جيش ١٨١٣ . - في كانون الثاني ١٨١٣ لم يكن باقياً من الجيش الاعظم الذي عبر نهر «نيمن» قبل ستة اشهر ، سوى فلول ضئيلة الشأن . فمن فيلق المارشال «دافو» الذي كان يضم ٦٦٣٤٥ ضابطاً وجندياً لم يبق صالحاً للخدمة سوى ٢٢٨٠ رجلاً . وقس على هذا سائر الفيالق . وقد اعتبر نابليون بالحوادث تقرر العمل على انتاح فرنسا المنهكة ، ونهج خطة سلمية ازاء الدول الاوروبية كافة . ولكن انكسرت نفخت في بوق الثورة في كل مكان . وعرفت كيف نهي الجو لحرب جديدة تجر اليها فرنسا قبل ان تجلد فواها ونشعل منها . واشتم الامبراطور رائحة الخطر فارتجل جيشاً جديداً في اربعة اشهر ، بخلا الامة تضحيات باهظة : دعوة طبقات ١٨١٣ - ١٨١٤ والذين لم يجندوا من طبقات السنوات السابقة ، سحب عدة افواج من جنود البحر لضمها الى الجيش البري ، ترفية مئات العرفاء الى ملازم ثانٍ ، ملء الفراغ الذي احداثته الحملة الروسية في صفوف الضباط .

وقد تهرم الفرنسيون بهذه التضحيات واعربوا عن نفستهم بالتهرب من

الخدمة فبلغ عدد المتطوعين في بعض الاقاليم خمسة واربعين الملة ، وهو جم رجال الدرك في اقاليم اخرى وقتل مئات منهم برصاص المتعدين . فكان هذا نذيراً بعجز فرنسا عن مواجهة اعدائها بروح ١٨٠٦ وانسان اوسترليتز وواغرام .

ارتحل نابليون الجيش الجديد ارنجبالا وامر بتدريب المشاة على تشكيل المربعات بسرعة ، لينسى غا ان تواجه حملات الجيالة الاعادية ، بعد ان تعلم ارنجبال هذا السلاح الذي كان العنصر الرئيسي في حروب الامبراطور السابقة . اما المدفعية فقد وجدت في جنود البحر مدفعين بحريين . وعني نابليون بتعزيزها عناية خاصة على امل ان تسد ثغرة في الفراغ الكبير الذي احسبه انعدام الجيالة .

وفد تم بعث الجيش الاعظم في بضعة شهور ، فضم اثني عشر فيلقاً ، منها ثلاثة فيالتي بولونية وسانكسونية وبافارية . وفي ١٥ نيسان ١٨١٣ غادر الامبراطور باريس في طلب العدو بعد ان عين مجلس وصاية . وبعد اسبوعين ادرك الجيوش المتحالفة في « لوتزن » وهزما شر هزيمة ، ولكن القوز كانه غالباً فقتل من رجاله خلق كثير وفقد في المارشال « بيسير » قائداً ثانياً . وفي موقعة « بوتزن » لاحظ نابليون على جنوده امارات العياء وعلى معاونيه دلائل اليأس ، وسمع فريقاً منهم يقول على اثر مصرع المارشال « دوروبك » : « يا لها حرباً جشعة ! انها ستبلغنا جميعاً ! » وما ان انصرم شهر ايار حتى كانت معنويات الجيش قد انهارت ، فتدارك الامبراطور الموقف بتوقيعه على هدنة مؤقتة (هدنة بليسويتز) وكان يرجو ان يتبع له وقف القتال التام والناس ، وانشاء فيلق خيالة وتقوية الحرس الامبراطوري بغناصر بخارها من كراديس المشاة . وقد عارض وزير الحرية والقادة في تحميل الامة اعباء

أضافية عندما خطر ل نابليون دعوة طبقات جديدة . ولفت المارشال « ناي » مولاه الى ضرورة العناية بصحة الجنود وتوفير الغذاء لهم قبل التفكير بنجدة جنود جده .

وما استؤنف القتال حتى كان الجيش الامبراطوري قد عزز بثنائين ألفاً من رجال الحرس وبفيلق خيالة . ولكن الخلفاء استطاعوا جر النساء الى معسكرهم . وبدأ الفرنسيون القتال بداية حسنة فهزموا « بلوخر » ودفعوا به الى ما وراء حدود سيليزيا . وسحقوا جيش « شولزبرغ » في درسدن حيث تميز القائدان « غوفيون سان سير » و « مورا » بأعمال بطولية خارقة .

كانت هذه الانتصارات الحلقة الاخيرة في السلسلة التي كادت تنفرط في روسيا . وبعد ثلاثة ايام بدل الحظ معسكره ، فهزم الحلفاء جيش « فاندام » في كولم واسروا القائد ، ثم توالى الهزائم ، فتغلب العدو على « اودينو » في موقعة « غروس بيرن » وعلى مكدونالد في « كاتباخ » وناي في « دنويتز » . وقد لفت القائدان الامبراطور الى انهيار معنويات الجنود ونصحاه بطلب الصلح لان النظام صار معدوماً في الجيش .

وقبل موقعة لايبزيغ بيومين دعا نابليون قادة الفيالق الى مؤتمر عسكري وعرض عليهم خطة جريئة للفرار حول برلين ، فانقدوها صراحة ، وكان المارشال النجيد في رأس المعارضين ، فقال الامبراطور : « من يسمعك الان لا يصدق انه امام النجيد معركة كاستلوني » ، فاجاب المارشال : « اعود النجيدو كاستلوني اذا رددت الى جنود الحملة الايطالية . »

كان الجيش الامبراطوري في الساكس يضم ٥٥٠ ألف رجل ثلثهم من الساكسونيين والباقيين وابناء امارات باد وورتمبرغ وهيس . وقد خاض نابليون غمار « معركة الامم » في لايبزيغ مفتقراً الى العدد والعتاد والثقة .

وما ان دخل القتال في طور جدي حتى انتقل الساكسونيون الى المعسكر الآخر وحذا جنودهم كراديس اجنية اخرى . فامر الامبراطور قوامه بالتقهقر الى خفة نهر « سال » ، تحمي تقهقرها قوات الحرس الجديد بقيادة المارشال « اودينو » . ولم يسلم من الجيش الاعظم سوى مئة الف رجل ترك نصفهم سلاحه في ساحة القتال .

معركة فرنسا . - عمد الامبراطور الى انشاء جيش جديد فور عودته الى باريس . فدعا في تشرين الاول ١٨١٣ مئة وستين الفاً من طبقة ١٨١٥ و ١٢٠ الفاً من طبقات السنوات السابقة . وفي اول كانون الاول كان عدد الذين شملتهم التعبئة تسعمئة الف رجل . ولكن التدريب لم يشمل سوى مئتي الف مجند لم يشترك منهم في معارك الميدان سوى النصف .

وفي ٣١ كانون الاول عبر الحلفاء نهر الرين بثلاثة وخمسين الف مقاتل اجتاحوا فرنسا بوجنين رئيسيين ، اندفعت احدهما في وادي « المارن » والاخرى في وادي « الاوب » و « السين » . كان على نابوليون ان يواجه المحتاجين الاقوياء بوسائله الضعيفة ، فاستنجد بعقربته المبدعة . فاولحت اليه ان يحاول وقف احدى الدفعتين الحلفتين بقوى خفيفة تركيز على مجاري الانهر ، على ان تهاجم قواته الرئيسية الموجة الاخرى . وقد افلحت خطته خلال ثلاثة اشهر في الحؤول دون اتصال الموجتين . وفي نهاية الشهر الثالث ادرك عظم المقاومة فامر قواته بالتقهقر حتى العاصمة .

وقد اجتمع مؤرخو العصر على القول ان نابوليون جند الحلفاء ثلاثة اشهر في اودية « المارن » و « الاوب » و « السين » بقوات فرنسية مجت ، خرجت الى لقاء العدو قبل ان تستكمل تدريبها ، فضربت في الميدان ازرع الامنة في الشجاعة والتضحية والاخلاص . وهو ما افتقر اليه الرؤساء الذين ارغوا

نابوليون على اعتزال العرش . ولكنه ظل عظيماً ، بل اعظمهم جميعاً ، بعد هزمته واعتزاله .

حكم المئة اليوم . - قضى نابوليون عشرة شهور في جزيرة « الباء » عاد بعدها الى فرنسا ، فاستقبلته بفراغين مفتوحين ، ولكنه لم يتدخل بالمظاهر ، وسعى الى استئالة الشعب بيعت الدستور ، وحرص في الوقت نفسه على اقناع الدول المتحالفة بنياته السلمية ، فكتب الى الملوك متودداً . فما تلقى منهم ردأ على بادرته الطيبة . ولم يطل بهم الامر حتى عقدوا الحناصر مجدداً على اذلاله . فلم يشعر الا وهو مروق ، تحت ضغط الظروف ، الى انشاء جيش جديد ، يعاونه في «هسته» لمارشال « دافو » وزير الحربية و « كارنو » وزير الداخلية . وقد وجد تحت السلاح ١٨٣ الف رجل بصلح ربعهم للقتال والمتاورة وفقاً لقواعد الحرب الحديثة . وفي حزيران ١٨١٤ الغى اجازات الجنود المأذونين فتجمع لديه ستة وسبعون الف رجل . واستطاع بمساعدة كارنو ان يعيد تنظيم الحرس الوطني فتجمع لديه مئتا الف رجل عهد اليهم بالدفاع عن المدن المحصنة .

واستطاع الامبراطور في غضون ثلاثة اشهر ان يعين جيشاً من مئة واربعة وعشرين الف رجل بالاضافة الى الذين خلفهم العهد السابق تحت السلاح ، وان يجهز الجيش بثلاثة وخمسين مدفعاً ويعززه بأربعين الف فارس . وقد اشتمل الجيش الجديد على ستة فيالق بقيادة « درويه » و « ديولون » و « ريل » و « فاندام » و « جبرار » و « لوبو » ، يضاف اليها فيلق الحرس الامبراطوري الذي تألف من بقايا الحرس القديم وعناصر ضمت اليه حديثاً . وولي الجنرال « غروشي » قيادة هذا الفيالق .

تردد نابوليون طويلاً في الاستعانة بحبرة القادة الذين تخلوا عنه في فونشبلو ، ولكنه قرر في اللحظة الاخيرة وضع فيالق درويه وارلون ورييل تحت



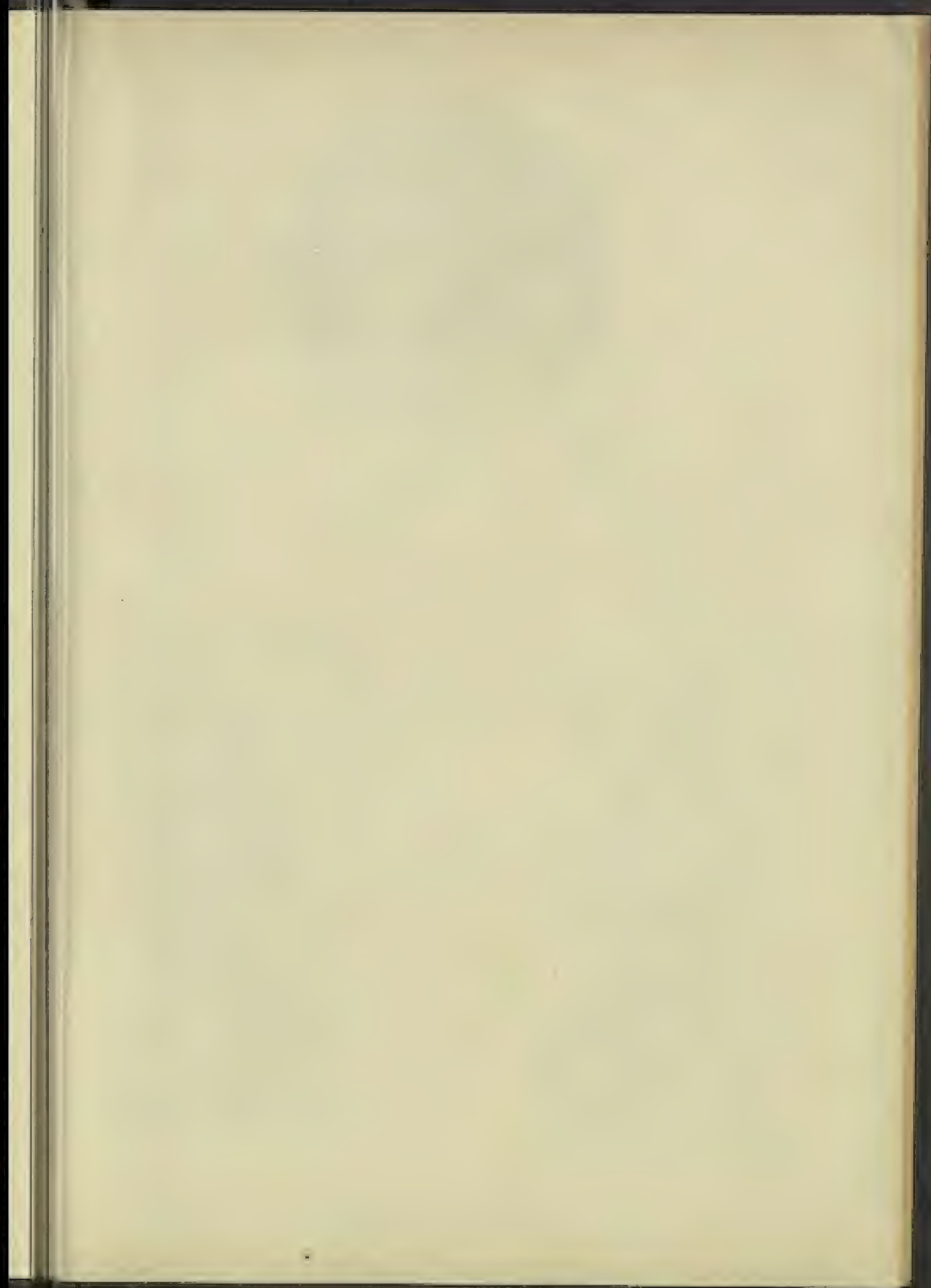
الجنرال لاموريسيار



جندي في فرقة مشاة خط النار



ملازم ثان في فتاحة الجزائر



جندي في فرقة الانشادات .

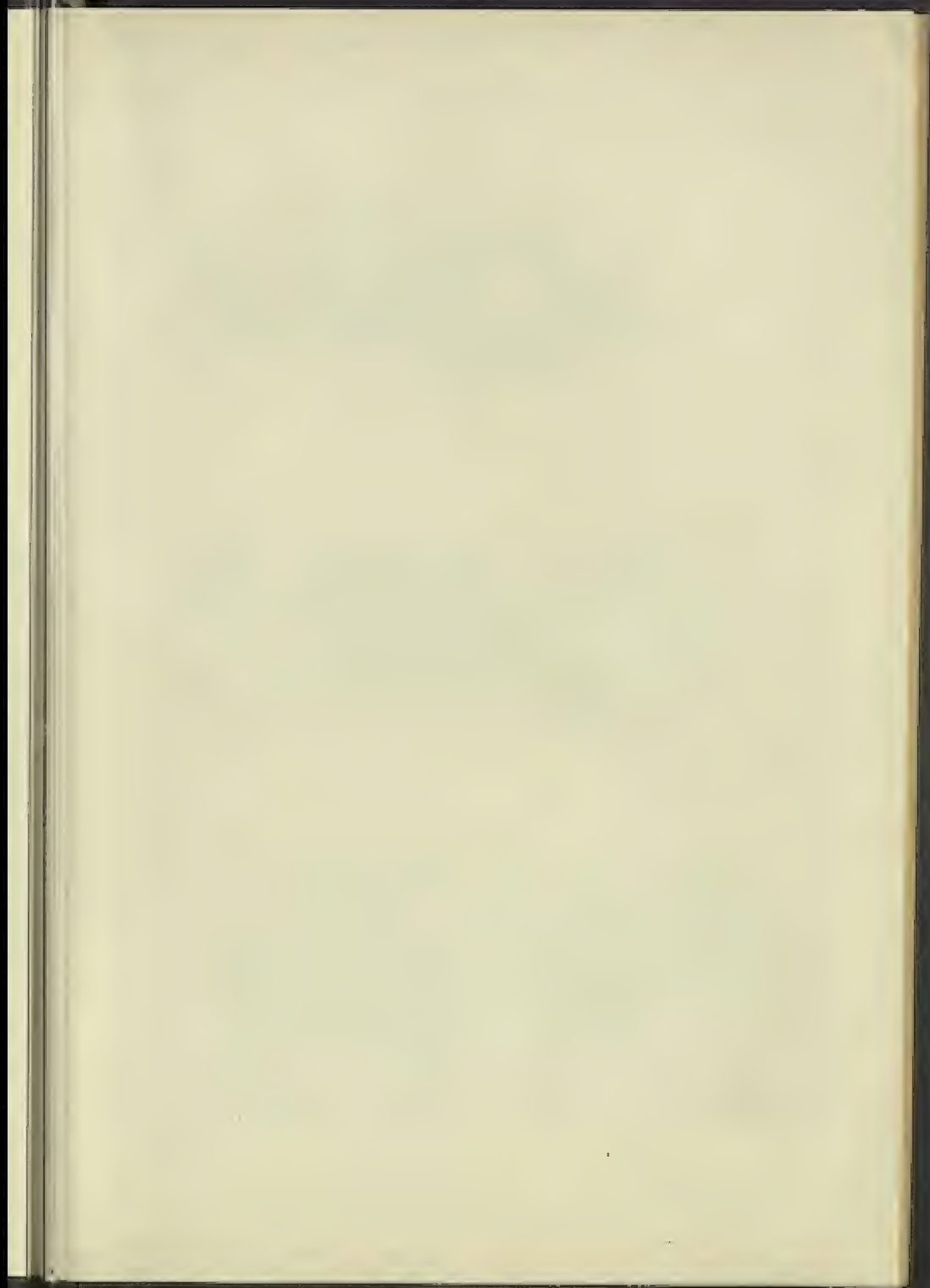


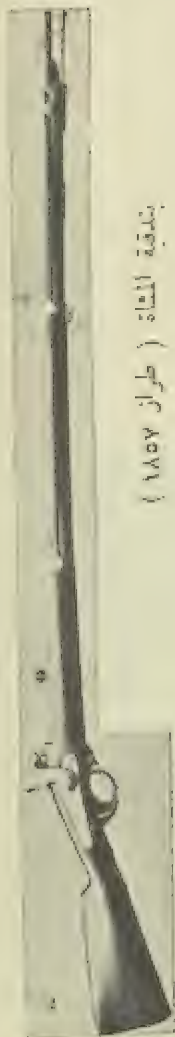
فارس في فرقة « الزواف » .



فارس في فرقة « الدراغون » .



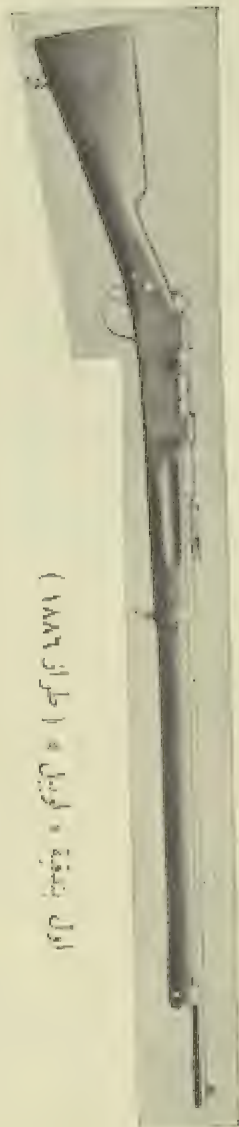




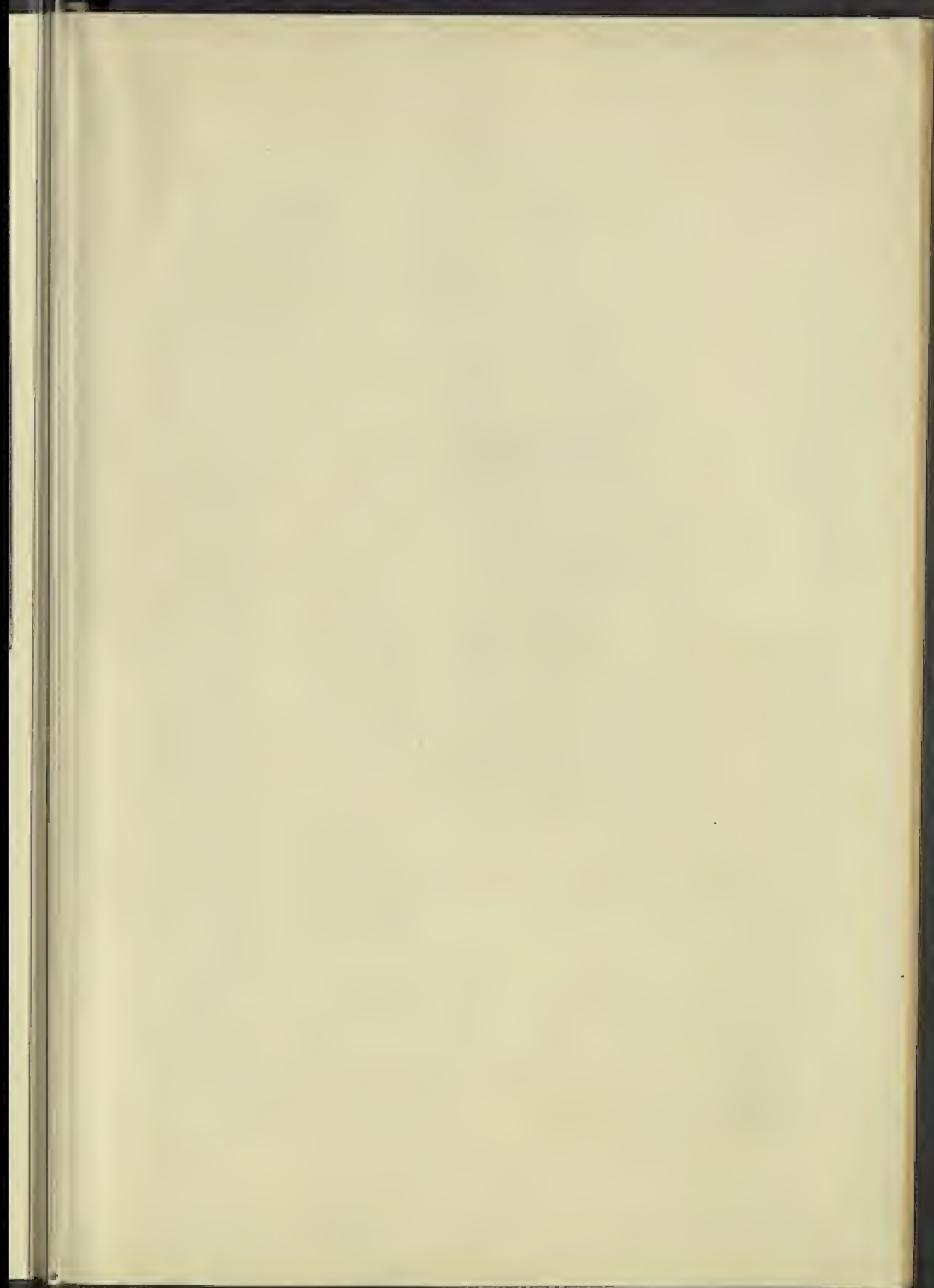
بنادقة الماء (طراز ١٨٥٧)



جندي مشاة



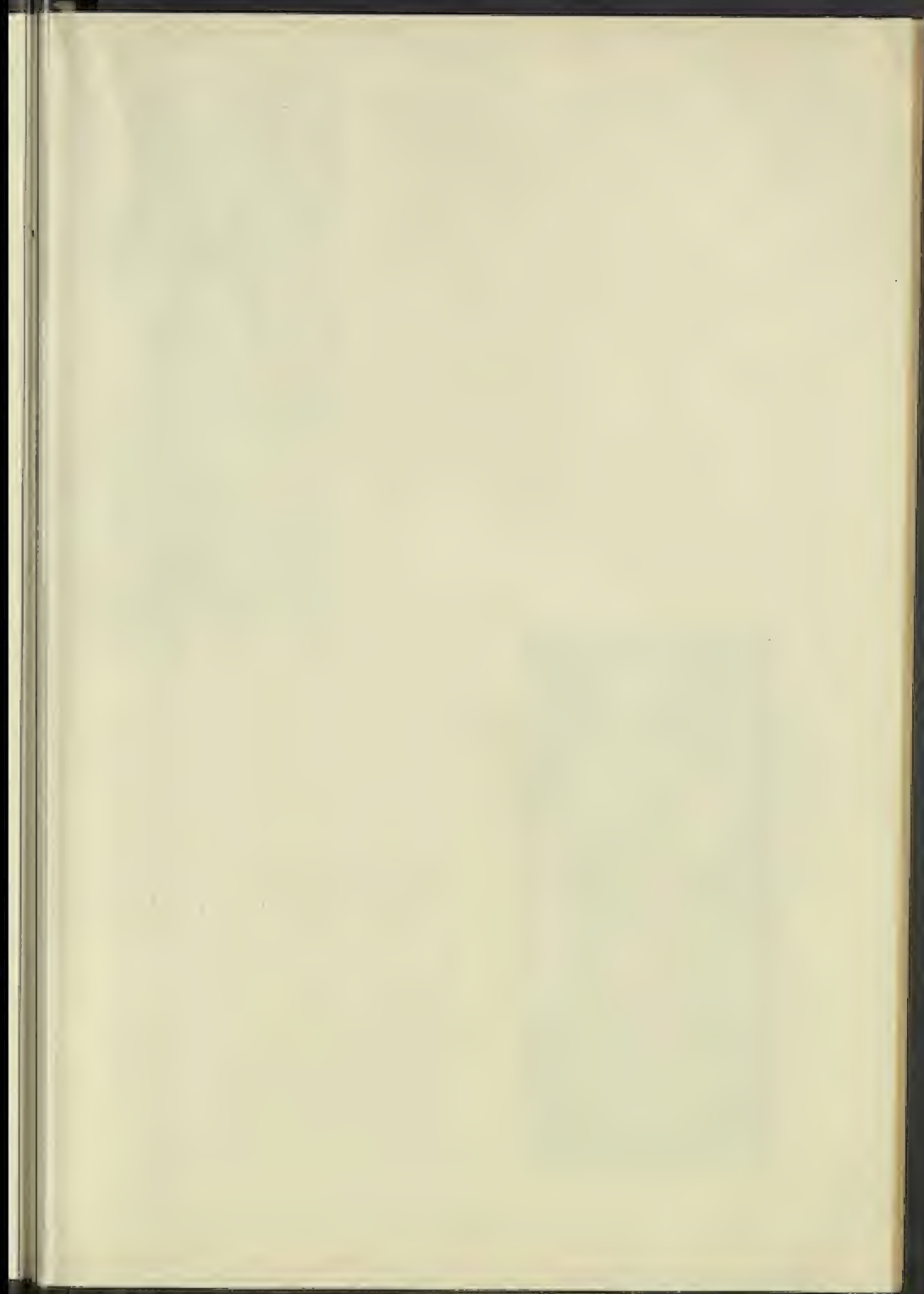
اول بنادقة لوبيل (طراز ١٨٨٦)



دوق دو مال (برشة ونزعاليو)



الأمير عبد القادر الجزائري (برشة نيسييه)

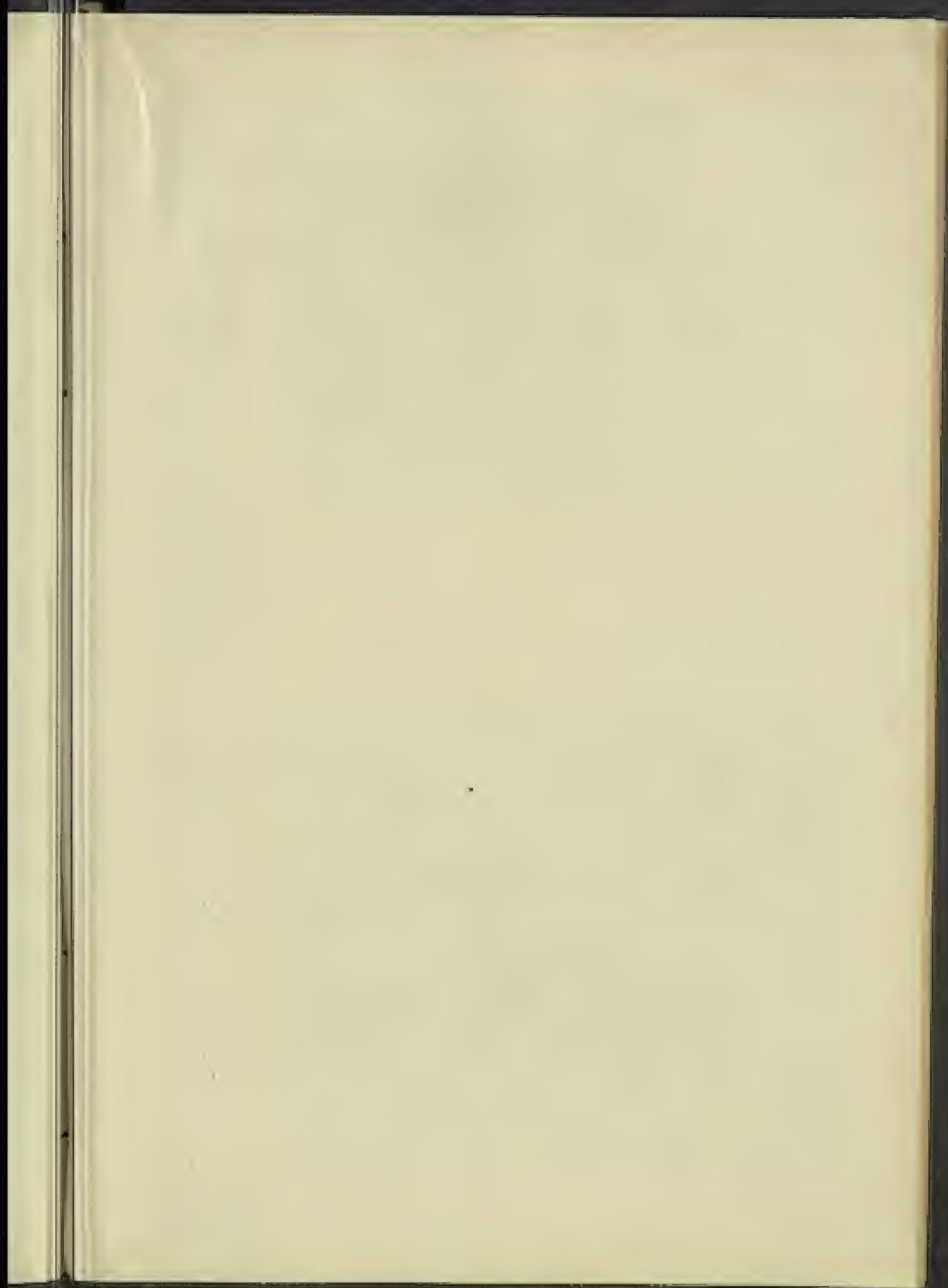




جنرال قائد فيلق في برزة الرسمية .

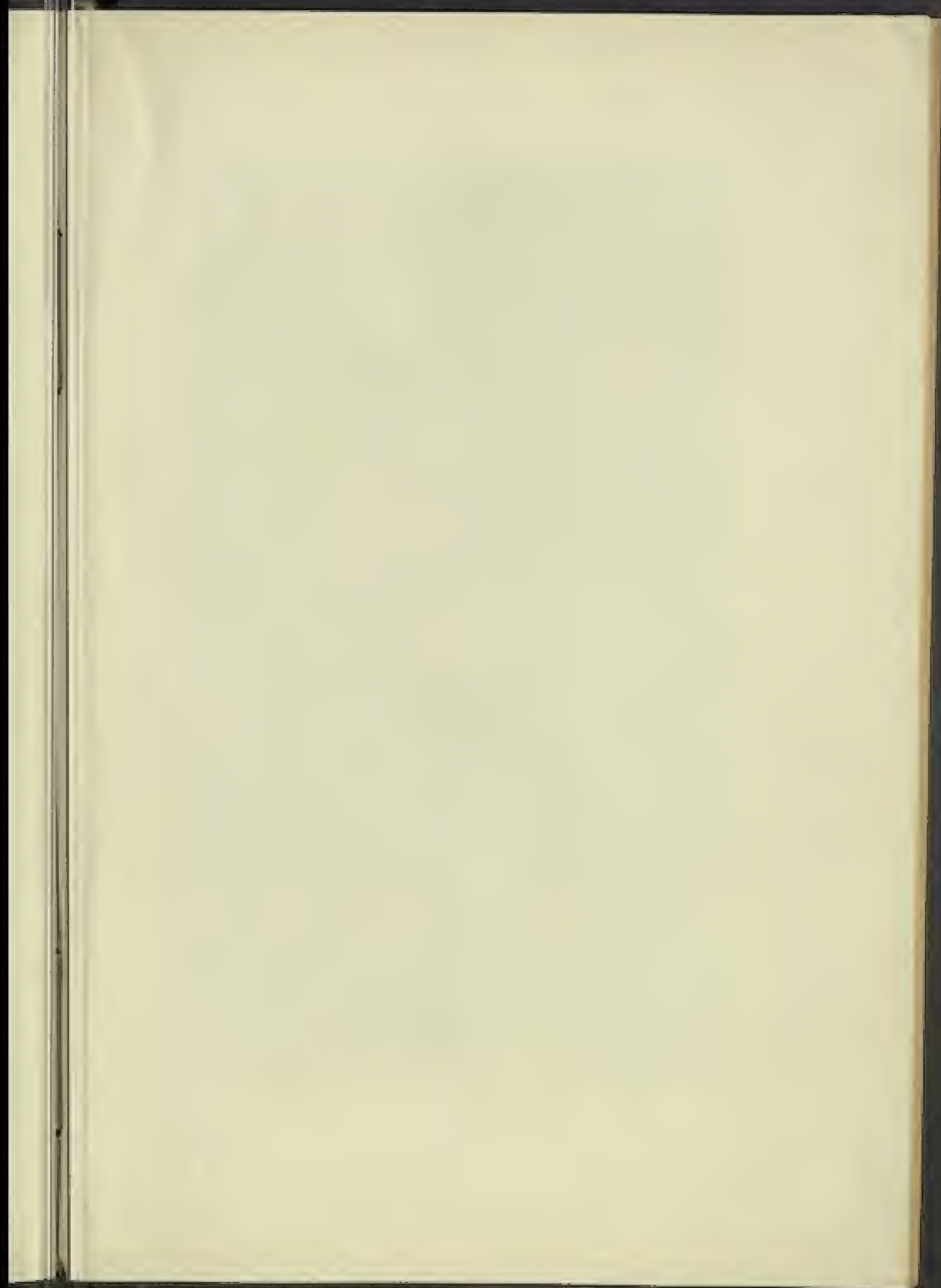


المرشال مالك ماعون (بريشة هورس فريته) .



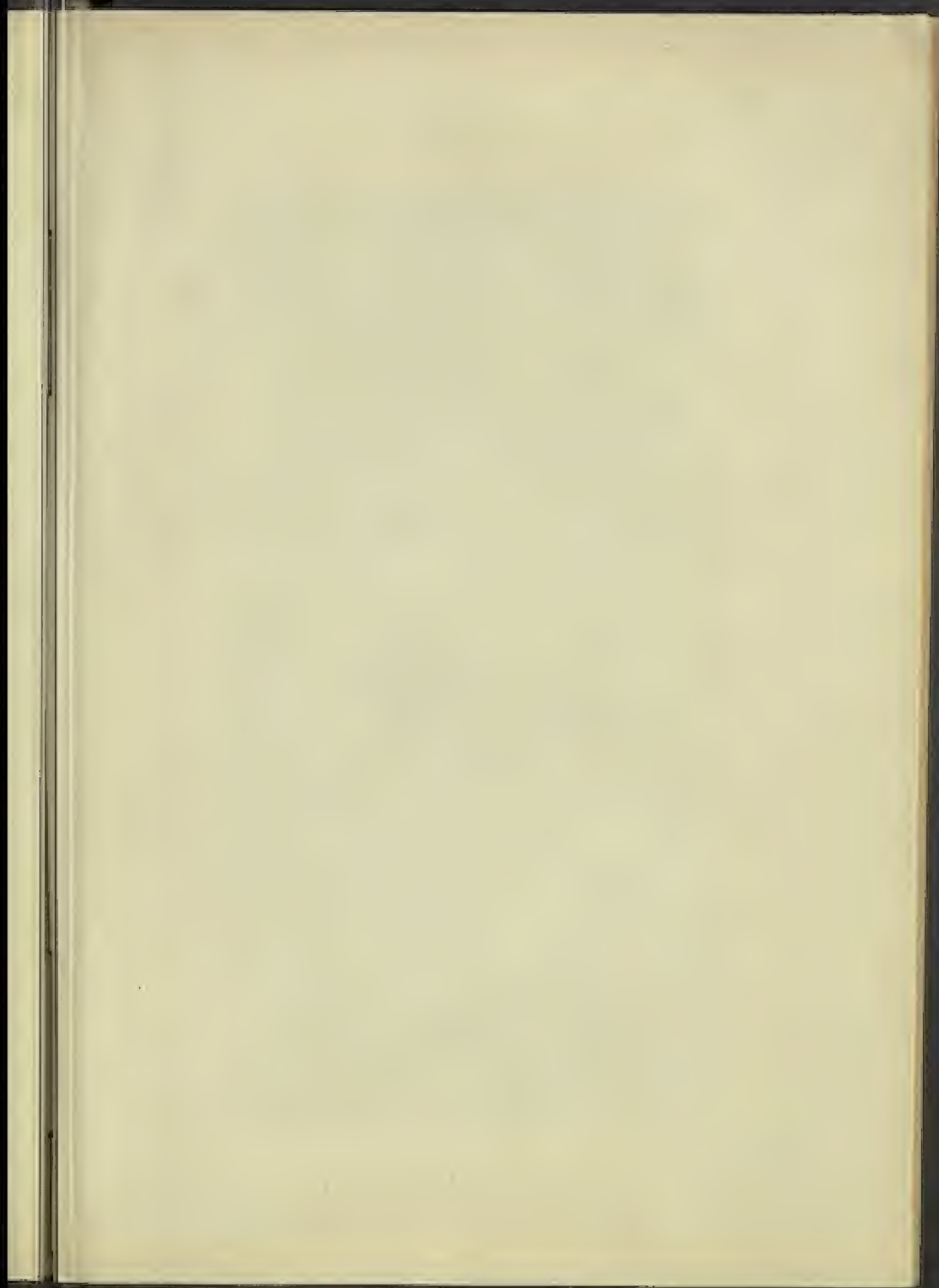


رئيس الجمهورية جول غريفي يوزع الاحلام في ميدان لونشان على كبار القادة يوم ١٤ تموز من العام ١٨٨٠ (بريشة ديناي)





رئيس الجمهورية وثيون وسانكاره يشاهد مناورات العام ١٩١٣ .



المرشال ليوتي

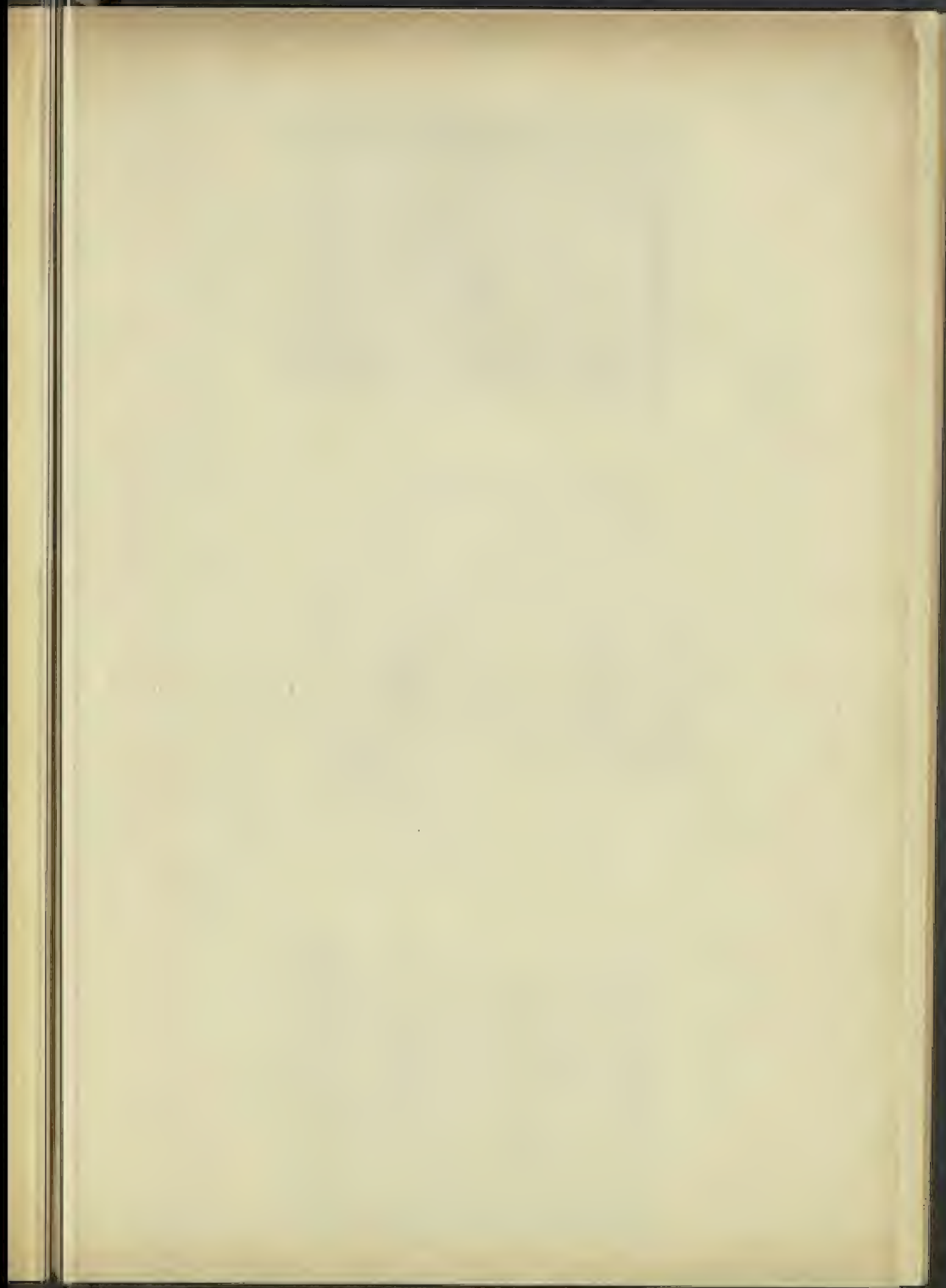


المرشال قوش



الجنرال بولانجه





أمره المارشال « ناي » ووضع المارشال « صولت » على رأس هيئة أركان الحرب العامة .

وضع خطة جريئة تكفل له مباغثة الملقاء . فقد انتهى إليه أن القوات المعادية قسمت قسمين : الجيش الانكليزي بقيادة « ولغتون » والجيش البروسي بقيادة « بلوخر » بانتظار وصول الجيش النمساوي لبؤلف القلب . وكان هذا الجيش يتقدم ببطء ، فقرر نابوليون مهاجمة الانكليز أولاً . ولكنه لاحظ عند وصوله إلى الجبهة أن الجيشين البروسي والانكليزي ما يزالان متباعدين ، فقرر أن ينشر جيشه بينها . وما عثم به الأمر حتى هزم « بلوخر » في « ليني » بينما كان « ناي » يتهيأ إلى التصر في موقعة « كاتربرا » . إلا أنه اضاع بفرده فرصة ثمينة . فقد عيّد إلى « غروشي » بمطاردة « بلوخر » وارتد هو على « ولغتون » . ولكن « غروشي » فقد أثر البروسيين الذين قاموا بمناورة بارعة ردتهم إلى ساحة القتال في اللحظة التي كان الانكليز يوشكون أن يلقوا فيها السلاح . فشدد المدد عزائهم ومشى الجيشان المتعالفان بسحقان الجيش الامبراطوري تحت ثقل التفوق العددي . ورغم هذا صمد الفرنسيون واستبسلوا ، ولم يتبدد شملهم إلا عندما خيم الظلام وقطعوا الأمل من عودة « غروشي » وخيائنه إلى الميدان . انهار مع نابوليون وجيشه في « واترلو » نظام سياسي اجتمع المؤرخون على أنه نداعى للسقوط بعد موقعة « مرسكوف » . ولكن الامبراطور استطاع دعمه بإحياه الله من مواهب إلى اليوم الذي اختل فيه التوازن بين عقله وعبقريته ، فالتفت من يده زمام الأمر ، وخيل إليه وهو يتخبط في بحران من المشاكل . أن الانتصارات العسكرية قيمة بانقاذ الموقف . فكان كمن يشد سراًباً أو يحاول المستحيل .

الفصل التاسع

الجيش الفرنسي بين ١٨١٥ - ١٨٧٠

١ - جيش الملكية الدستورية

كان على فرنسا ان تؤدي ثمن الغزوة ، فحرمتها عهدة فيينا من المعازل التي تغطي حدودها الشمالية الشرقية ، واخضعها للاحتلال الاجنبي . وقد اقتضت مصلحة الملك وسلامة اوربا ازالة الجيش الامبراطوري من الوجود . فطلت وحدات الجيش العامل ، وانشئ في كل مقاطعة من المقاطعات الفرنسية فرقة من المتطوعة تضم ثلاثة افواج ، وحصر حق الانخراط فيها بابناء المقاطعة دون سواهم . واستثنى من الحصر المتطوعون في فرق المدفعية والخيالة والهندسة . اما التجنيد الاجباري فقد بقي قائماً ..

كان الغرض من هذه التدابير بعثرة ابطال ملحمة مجيدة وشهدها ، وازالة اللصعة من جيش كانت للملكية توجس منه شراً ولا تطمئن الى اخلاصه لها . ولم يكتف العهد الجديد بتسريح الفرق الامبراطورية لتحل محلها الفرق الافريقية بل القى ملاكات الضباط ، ورضن على الذين اقمدهم السن او المرض او العاهة يرتب تقاعدي كامل ، فاعطاهم نصف ما يستحقون بحجة الترفيد .

ولم يوفر « آل بوربون » كبار القادة في الجيش الامبراطوري ، فاحيل ثمانية عشر قائداً الى المجلس الحربي بتهمة « الخيانة » ، وكان في رأس المنهين « فاي » ،

و«غروشي» و«كلوزل» و«بوتران» و«كلمبرون». وفرضت رقابة دقيقة على القادة «فاندام» و«موتون» و«ماريو» و«اليكس» وغيرهم. وقد استغرق النظر في القضايا العسكرية العام ١٨١٦ بكامله. ورفض المجلس الحربي بإعدام كثير من القادة اللامعين وتجهيد مئات الضباط من رتبهم.

قانون ١٨١٨. - انضمت فرنسا الى «الحلف المقدس» سنة ١٨١٨. وبما لبثت ان لمست اقتادوها الى جيش قوي. فعهد الملك الى المارشال «غوفيون سان سير» بمهمة تنظيم الجيش تحت اشراف لجنة عسكرية متحالفة، لان جيوش العدو لم تجمل عن الاراضي الفرنسية الا في اواخر صيف ١٨١٨.

وفي ١٨ آذار من العام المذكور عرض المارشال على اللجنة المتحالفة نظاماً عسكرياً كاملاً، يتناول التجنيد وعدد الوحدات والاحتياط والملاك والرفقة. ولما كان نظام التطوع الاختياري لا يفي بالمواد فقد وضع «غوفيون سان سير» نظام الدعوة الى حمل السلاح، وهو يقضي بتجنيد اربعين الف فرنسي في السنة يؤخذون بالقرعة من بين المذكور الذين اغوا العشرين من سنهم، ليخدموا ست سنوات في المقاطعة التي ينتمون اليها.

وقد أجاز النظام الجديد حلول رجل محل آخر. وجعل فوام جيش السلم ٢٤٠ الف رجل. اما الاحتياط فيتألف من المحاربين القدماء والجنود المسرحين الذين يوضعون تحت تصرف وزارة الحربية مدة خمس سنوات.

ونظم «غوفيون سان سير» ملاك الضباط، فاختضع الترقية لشروط معينة. منها ان رتبة ملازم ثان لا تمنح الا للمتخرج من مدرسة عسكرية او لضابط صف خدم بهذه الرتبة مدة اربع سنوات. ومنها ان الضابط لا يستحق الترقية الا بعد قضاءه مدة معينة في الرتبة التي يتطلع الى ارفع منها.

وانشأ المارشال دائرة الميرة (الانتدانس) وهيئة لركن حرب لا تختلف وظائفها عن اللجنة التي انشأها نابوليون . كما انشأ « مجلس الحرب الاعلى » واختار اعضاءه بين المارشالية وقادة الفيالق المشهود لهم بالكفاءة والخبرة .

تنظيم المدفعية . — طرأ على المدفعية بعد عودة الملكية تحول ما ينقل اسلماً لتنظيم هذا السلاح في ايامنا هذه . ففي العهد الامبراطوري كان لسرية المدفعية الراجلة سرية نقل خاصة بها ، فدخمت لجنة التنظيم في العهد الملكي جانب السريتين جاعلة منها بطارية مدفعية . وتوسع الجيرال « فاله » رئيس اللجنة في عهد الانشائي ، فناط بالبطاريات الراجلة المهام التي توكل الى المدفعية في حرب الحصار وفي الدفاع عن السواحل والمدن المحصنة . وانشأ بطاريات نقالة لمعارك الميدان .

فانون ١٨٣٢ . — بدأت حكومة لويس فيليب دوربان عهدها بتطوير الجيش من العناصر الموالية لآل بوربون ، فطلعت الحرس الملكي وعزلت عشرات القادة لتحل محلهم زملاء لهم ابعدهم حكومات لويس الثامن عشر وشارل العاشر لانهم لم يتحمسوا للعهد الجديد .

وقد ولي وزارة الحربية في عهد لويس فيليب ثلاثة عشر رجلاً منهم المارشال « صول » الذي تبني فانون ١٨٣٢ ودافع عنه في المجلس وفي الاوساط العسكرية .

لم يدخل القانون الجديد تعديلات جوهرية على قانون ١٨١٨ ، ولكنه جعل احكامه اكثر مرونة . من ذلك ان القانون السابق نص على تجنيد اربعين الف فرنسي في السنة ، فازال قانون ١٨٣٢ هذا النص ، وترك تقدير العدد المطلوب تجنيده للسلطة التنفيذية على ان يحدد بموجب قرار تشريعي . وجعلت مدة الخدمة سبع سنوات وكانت في القانون السابق ستاً .

ولم يمن القانون الجديد بالاحتياط ، ولكنه عالج مسألة الحرس الوطني الذي حل سنة ١٨٢٧ ، لانه ظاهر النبلاء ضد العرش . وكان لويس فيليب قد استهل عهده بوضع نظام جديد للحرس . وفي آذار سنة ١٨٣١ وافق ممثلو الامة على انشاء الحرس الوطني ليتولى حماية الملكية الدستورية والدستور ويحافظ على النظام العام ويساعد الجيش النظامي في الدفاع عن الحدود والسواحل . « وقد اعاد قانون ١٨٣٢ النظر في نظام الحرس وادخل عليه تعديلات بسيرة ، يقضي اهمها بتأليف الحرس الدائم من الطبقات التي تؤلف الاحتياط ، على ان يمار الى دعوة الشبان الذين لم تشملهم التعبئة الى تأليف الحرس المتحرك في حال اضطراب فرنسا لحوض غمار معارك دفاعية على ارضها . الا ان الحرس المتحرك ظل في ضمير الذين اوصوا بانثائه . اما الحرس الدائم الذي ارادته الملكية حامياً لها ، فقد كانت له في ثورة ١٨٤٨ اليد الطولى في القضاء عليها .

ولكن اذا كانت السياسة قد افسدت الحرس الوطني فقد ظل الجيش النظامي بعيداً عن تياراتها ومؤثراتها ، بفضل التدابير والتسويات العادلة التي تمت في عهد « غوفيون سان سير » و« مارشال » صولت » بين ١٨١٨ و ١٨٣٩ ، ذلك ان القوانين الاصلاحية التي وضعت ونفذت خلال هذه الفترة من الزمن ادت الى اتصاف الضباط الذين غطت حقوقهم ، وقضت على بواعث التفرع بتأمينها حقوق ذوي الرتب ، فانصرف هؤلاء الى واجباتهم غير ملتفتين الى ما يجري خارج السكينة . وقد جنت فرنسا اطياب النار من ابتعاد الجيش عن السياسة خلال قرن كامل تخللته حوادث جسام واتقلابات عظيمة .

وفي اوائل العام ١٨٣٩ حدد عدد المارشالية وقادة الضباط بقانون خاص . وبعد عامين نظم جيش السلم على اساس الكردوس كوحدة سلاح ، واشتمل

على مئة كردوس مشاة وعشرة أفواج من القناصة و ٥٤ كردوس خيالة وأربعة عشر كردوس مدفعية وثلاثة كراديس هندسية وأربع سرايا للنقل.

الحياة العسكرية . - يقول الجنرال « وبنان » في « تاريخ الجيش الفرنسي » أن فرنسا عرفت الجيش المحترف في عهد لويس فيليب ، فقد كان نظام الثكنة يعزل الجندي عن ذويه ، كما كانت صعوبة المواصلات وطول مدة الخدمة يعزلانه عن سائر العالم .

كان الجندي يقضي في الثكنة مدة طويلة قبل أن يأذن له الخروج بالخروج إلى المدينة أو بأداء مهمة ما بعيداً عن كردوسه . ويذكر المؤرخون المعاصرون أن كردوساً ثار على رؤسائه لأنهم اذنوا الجندي بالخروج من الثكنة والظهور في إحدى المدن ، مع علمهم أن مشيه ومظهره لا يشرفان الكردوس الذي ينتمي إليه .

كان الجنود يحبسون في الثكنة حياة رهبانية ، ولم يكن ثمة تبادلات سياسية تتدخلهم ونصرفهم عن مشاغليهم الأساسية . وكان يسود الثكنة جو من الثقة والاحترام المتبادلين ، لأن التدابير الإصلاحية فضت على بواضع التسخير وانصقت الجميع دون ما استثناء .

وشهدت الثكنات تنافساً محموداً بين مختلف الكراديس في ميادين الخدمة والطاعة والنظام . وشجع دوق أورليان على إنشاء سرية من جنود النخبة يخطط بها تجربة الأسلحة الجديدة ، فكانت هذه السرية نواة لفوج القناصة الراجلة الذي أضيف إليه فيما بعد ثمانية أفواج مثلت في أزمة ١٨٤٠ دوراً نجحت فيه فضائلها العسكرية .

أمنت أنظمة المارشاليين « غوفيون سان سير » و « صولت » لفرنسا جيشاً منظماً

ومنحلياً بالفضائل العسكرية ، ولكنها لم تضع في متناول البلاد القوة التي تستطيع مواجهة أزمة أوروبية . أما القادة الذين ولوا مهام التدريب والنشئة في الكتكات ، فقد حصروا اهتمامهم بالقشور دون اللباب ، أي أنهم عنوا بهندام الجنود وبثقوية روح الرفافة في نفوسهم ، إلا أنهم أهملوا تنشئتهم النشئة العسكرية التي تجعل منهم قوة بحسب حسابها إذا ما فقت السياسة بإسماح صوت فرنسا في ميدان لا يجدي فيه لغة الاقتناع .

على أن مرونة الانظمة التي وضعها المارشال « صولت » سمحت بجهو فرنسا في السلم بجيش قوامه ثلاثة آلاف رجل . وفي الحرب يرتفع هذا الرقم الى خمسة آلاف ، بحيث يتاح للبلاد ان تدعم سياستها الخارجية ذات الاهداف المحدودة بإداة حرية لا بأس بها . وقد ادى الجيش سنة ١٨٢٣ المهمة التي وكلت اليه في اسبانيا بنجاح تام . فقد كان عليه ان يعيد الى العرش الاسباني الملك فردينان السابع الذي اقتلعه منه ثورة جاحجة . واثبت كفاءته في الحملة اليونانية وفي الدفاع عن استقلال البلجيك ضد محاولة اعتدائية قامت بها هولندا . ولكنه انخفق في دعم سياسة الحكومة في مصر عندما عب لدعم مطامع محمد علي باشا متجدياً انكلترا .

٢ - جيش افريقيا

حملة الجزائر . - انبتق من حملة الجزائر ، بما بذل فيها من جهد وتضحيات وفرن ، جيش فرنسي جديد ، هو الجيش الافريقي ، الذي تميز منذ نشأته بطابع خاص ، وسط مجموعة القوات الفرنسية ، وما يزال له هذا الطابع المميز في عصرنا هذا .

فكر نابليون بفتح الجزائر سنة ١٨٠٨ ، وعهد الى الضابط « بوتان » بان يرسم خطة الهجوم لان « بوتان » هذا اقام مدة طويلة على الارض الجزائرية .

وفد افادت حكومة شارل العاشر من اختبارات الرجل ، فاستعانت في شباط ١٨٣٠ بالتصاميم التي وضعها وجهزت حملة قوامها سبعة وثلاثون ألف رجل وثلاثة وثلاثون مدفعاً . وفي ١٢ ايار ركبت هذه القوات البحر وعلى رأسها قائدان هما المارشال «دوبورمون» والاميرال «دويبره» . وقبل قيام الحملة دعي القائدان الى وزارة الحربية وافهما ان نجاحهما يتوقف على تقاعسهما . فاذا قام بينهما خلاف حول ادارة العمليات فالمارشال «دوبورمون» يتولى القيادة العامة ويكون الاميرال واحداً من معاونيه .

لم تطل الحملة ارض الجزائر الا في الرابع عشر من حزيران لان الاحوال الجوية لم تكن مواتية لها . وقد تمت عملية النزول دون مشقة لانها لم تصادف مقاومة . واتخذت الحملة معكراً لها في شبه جزيرة «سيدي فروخ» . وفي ١٩ حزيران ربح الفرنسيون معركة «سنولي» واندفعوا شطر مدينة الجزائر (الجه) فاحتلوا «حصن الامبراطور» في الرابع من تموز . وفي اليوم التالي سقطت المدينة .

وقد دفع المشاة الفرنسيون غالباً عن هذا الفوز ، فقتل منهم خلق كثير برصاص العدو المتحرك بسرعة ، لانهم مشوا الى لقائه صفوفاً متراصة حتى خيل الى فرسانه انهم امام مقاتلين يخرجون للقتال وقد شدوا بسلاسل بعضهم الى بعض .

ولكن سقوط الجزائر الذي حسبه في باريس المرحلة الحاسمة في الحملة لم يكن في الواقع سوى البداية . وسرعان ما تبخرت حماسة الجنود وهم يرون الى حيرة القادة وترددهم امام معضلة التسون والمشاكل الناجمة عن الجبل بطبيعة الارض واخلاق السكان . وزاد في الطين بلة وطأة القبط ونفسي الاويشة فصاوت القيادة رفع الروح المعنوي باستثمار النجاح المبني ، فاحتلت القوات

الفرنسية مينا في غابة ووهران ، وانصرف المارشال « دوبرمون » الى خلق نواة القوات المساعدة وتنظيم الجهاز الاداري في المناطق المحتلة ، ولكن ثورة تموز ١٨٣٠ التي اطاحت بعرش شارل العاشر وافادت على انقاضه عرش لويس فيليب ، لم تدع له مجالاً لتنفيذ مشروعاته . فعينت الحكومة الجديدة الجنرال « كلوزيل » خلفاً له . وقد ولي القيادة خلال عشر سنين ، اي بين ١٨٣٠ و ١٨٤٠ ، ثمانية رجال ، فكان معظمهم يشخص الى الجزائر مطلق التصرف دون ان تكون لديه معلومات صحيحة عن البلاد واحوال سكانها .

كان « كلوزيل » قائداً زكي الفؤاد ، شجاعاً ، وكان عيبه الوحيد تسرع . فهو يرسم الخطة استناداً الى معلومات كثيراً ما تكون غير موقوفة ، ويضع موضع التنفيذ قبل ان تتوفر لديه عناصر النجاح . وقد استبدل منه الرؤساء الجنرال « برتيزين » وهو من خطاط الجيش الامبراطوري المجرىين ، ولكنه لم يكن ذا شخصية قوية فهرب المضارب التي اعترضت مهمته وما لبث ان وضع نفسه تحت تصرف الرؤساء في باريس .

اما الجنرال « سافاري » الذي خلفه فقد كان نشيطاً ومقداماً . ولكن لم يتخلل عهده القصير اي حدث عسكري ، لانه صرف جل اهتمامه الى القوات المساعدة فوسع نطاقها واعاد تنظيمها . وحل محله سنة ١٨٣٣ الجنرال « فوارول » الذي وضع نصب عينيه احتلال الجزائر كلها ، متعدياً باريس التي كانت قبل الى الاكتفاء بما حصل لئلا يثير التوسع الفرنسي قلق انجليكنا . وفي عهد « فوارول » انشئ « المكتب العربي » ولكن مشاريع القائد اصطدمت باعراض الرؤساء من جهة وبحركات الامير عبد القادر من جهة اخرى . وكان الواثق العام الفرنسي قد بدأ يتوهم بالخلة ويطالب بانهاكها كفيها اتفق ، فعينت الحكومة الجنرال « ديرون » خلفاً له « فوارول » واوزت اليه بالاتفاق وعبد القادر . ولكن

الامير الجزائري خلى يوده الفرنسيين اليه على حمل الضعف فوسع منطقة نفوذه ودعا شيوخ القبائل الى موازنته في حرب الجهاد. فاجس الجنرال «ديرلون» شراً من جانب الامير وساق ضده حملة ضعيفة ، فهزمها الجزائريون في «ماكنا». ووصل النبا الى باريس بحسبها ، فقام خصوم التوسع وفعدوا وطلبوا سحب القوات الفرنسية حالاً ، لان استمرار الحملة يضعف مركز فرنسا في اوروبا . فالتت الحكومة لجنة عليا لدوس «اسباب الاخفاق الذي مني به المحاربون الفرنسيون في الجزائر» ، فقدمت اللجنة تقريراً بالاسباب ، وفي رأسها ضعف الحملة والجهل باحوال البلاد ، ونصحت باحتلال ساحل افريقيا الشمالي «لان الانسحاب من الجزائر يصيب هبة فرنسا في الصميم» . وقد تبنت الحكومة وجهة نظر اللجنة وعينت الجنرال «كلوزيل» حاكماً للجزائر وقائداً للحملة لانه «لا يحجم امام الصعاب وقد وعد بان يكون اكثر ثورياً في اعماله» . (من تصريح لوزير الحرية في مجلس النواب وكان بعض ممثلي الامة قد انتقد عودة كلوزيل الى الجزائر بعد ان اخفق في اداء مهمته فيها العام ١٨٣٠) .

استطاع «كلوزيل» ان يحمل الحكومة على تعزيز الحملة ، فتجمع لدين اثنتان وثلاثون الف رجل . فاحتل «مسكرا» و«تلمسان» في غضون بضعة اسابيع ثم قرر احتلال قسنطينة ، فكتب الى وزير الحرية بطلب قوات اضافية فعارض المجلس النيابي في «تحميل فرنسا اعباء جديدة» . وكانت قوات «كلوزيل» قد شرعت تهاجم قسنطينة ، ولكن الهجوم لم يصادف نجاحاً ، فعزل القائد «المسرع» كما وصفته صحف ذلك العهد وعين الجنرال «دامريمون» بدلا عنه ، فهاجم المدينة نفسها بأربعين الف رجل واحتلها عنوة . ورأت باريس ان تنفع بالنتائج الحاصلة فاوعزت الى «دامريمون»

بأن يكفى باحتلال مدن ثلاث هي الجزائر وعتابة وهران والاقليم الملتصقة بها . اما سائر المناطق فتترك للزعماء المحليين .

وقد سبق احتلال قسنطينة اتفاق عقده الجنرال « بوجو » قائد موقع « وهران » مع عبد القادر الذي اغضى عن احتلال الفرنسيين للمدينة مقابل اعترافهم بسلطته المطلقة على منطقة وهران وعلى القسم غير الفرنسي من اقليم الجزائر . وعرف الزعيم الجزائري كيف يجتدع المارشال « قاله » حاكم المناطق الفرنسية ، فتظاهر بالاخلاص الى السكينة ، وراح يتودد سرا الى القبائل ليحلبها على الانسواء تحت لوائه . وافرغ رسولا الى سلطان مراكش يستعده على الاجنبي . وفي الوقت نفسه كان الانكليز يدرون بالاسلحة ، تنقلها سفنهم الى جزيرة « راغون » التي تازل له عنها الجنرال « بوجو » . وكان الاتراك يشجعونه على المقاومة ويرسلون اليه ضباطاً يدربون جيشه ويؤمنون له الحطاط .

اخمد عبد القادر الى السكينة زهاء عامين قضاها في الاستعداد لحرب نظامية ، ولاخرى تعرف اليوم بحرب العصابات . وقد حصن المدن والقرى الساحلية ولكنه كان يعتمد على اتقائه فن المناورة وعلى الخدع الحربية في بلد لا يعرف منه الفرنسيون سوى المناطق التي يحتلوها . وعبد القادر هو القاتل : « عندما يقف المرء على الشاطئ ويرى الى الاستاك تتحرك في البحر بحرية يخيل له انه يستطيع التقاطها بسهولة ، مع ان صيدها يتطلب مجهوداً خاصاً وعناء كبيراً . ونحن العرب لسنا اسهل منالا من استاك البحر . »

هذا هو الرجل الذي وصفه الجنرال « بوجو » بأنه اذكى رجال العصر واشجعهم وارسعهم نفوذاً .

الجنرال بوجو . - اما « بوجو » فيصفه الكولونيل « ريفول » في « تاريخ

الجيش الفرنسي : بأنه اعظم شخصية عسكرية في القرن التاسع عشر بعد نابليون . خدم في الجيش الامبراطوري وانصرف الى الزراعة في عهد لويس الثامن عشر وشارل العاشر . وانتخب نائباً بعد ثورة توري وترجع لويس فيليب على العرش . وفي العام ١٨٣٦ عاد الى الخدمة برتبة لواء (جنرال دوبرناماد) وعين قائداً لموقع وهران في الجزائر .

قال فيه القادة المشهور « سانت بوف » : « لاجنرال بوجو عيوب بارزة . فهو يتحدث عن نفسه بخيلاء ويحتقر منافسيه ولا يداري عواطفهم . قضى بضعة عشر عاماً في الريف بين اناس ادنى منه فاضحت اللهجة الجافة ملكة فيه . وهو ، الى هذا ، قليل العناية بهندامه ، يجهل اسطر قواعد البلاغة . ولكنه رجل عظيم رغم هذه المظاهر ، رجل متفوق مومن بعظمته وطنه . كان زملاؤه في مجلس الامة ينهاسون اذ يروونه مقبلاً : في فرنسا رجل واحد يؤمن بالجد ، وهذا الرجل هو الجنرال بوجو . كانوا يقولونها في لهجة ساخرة .

كان « بوجو » على حق في ايمانه بالجد ، وقد دلت في افريقيا على انه لم يكن رجلاً هوائياً يجري وراء الاوهام . نعم ، كان قبل تعيينه في وهران من انصار الجلاء عن الجزائر ولكنه كان يفعل هذا لاسباب سياسية . فبان وطشت قدماء ارض افريقيا حتى رمى بالسياسة في البحر ووقف نشاطه على خدمة فرنسا .

جمع ضباط اركان حربه يوم وصوله بالذات وقال يشرح لهم تكتيكه : « اتم هنا منذ بضعة اعوام واعتقد انكم مقتنعون مثلي بان الطريقة التي اتبعتموها تزال مشبعة في محاربة الجزائريين ليست بالطريقة المثمرة . لقد حاربت وحارب معظمكم في اسبانيا سنة ١٨١٢ ، ولا شك في انكم لاحظتم الشبه

العظيم بين الحربين ، ففي اسبانيا فوجئنا بحرب العصابات وفي الجزائر بنحو اعدائنا البحر نفسه . لهذا ارى ان نكف عن تسير تجريدات كبيرة في اثر العدو وان نتخلص من هذه المدفعية الثقيلة ومن كل ما يعوق سيرنا وبحول دون لحاقنا بالجزائريين ومباغتتهم . »

وكتب الى وزير الحربية يقول : « ان الكراديس والافواج والسرايا الفرنسية في افريقيا لفي حاجة الى قادة اقوياء بدنياً ومعنوياً ، وعندي ان يسحب من الحملة آرمو الكراديس والافواج والسرايا الذين لا يتوفر فيهم هذا الشرط لان بقاءهم هذا يضر بالقضية التي نخدعها . ان احتلال افريقيا ليتطلب اكثر من نضجة ، فانصاف التداوير التي تلجأ اليها الحكومة تكلف البلاد غالباً وتذهب هباء . ففي افريقيا يجب ان تكون الفريق الاقوى والا فلتوحل قبل قوات الاوث . »

كانت مهمته محدودة . فقد ارسل الى وهران ليفاوض عبد القادر ، فلما تم الاتفاق بينها عاد الى فرنسا حيث قضى ثلاث سنوات لم ينقطع خلالها عن الاهتمام بالقضية الجزائرية ، وكان يقول للذين انتقدوا اتفاقه والامير الجزائري « ان المعاهدات لا تلزم الامم الا اذا كانت متفقة ومصالحها . ولا شك في ان الامير الجزائري سيخلق المناسبة التي تنفرع بها لنقض الاتفاق . »

واوجد عبد القادر هذه المناسبة سنة ١٨٣٩ فوقف « بوجو » في مجلس الامة يسطر رأيه في الحالة . فسفه الرأي القائل بالجلاء عن الجزائر بعد ان ضجت فرنسا في خضلال تسع سنوات بالرجال والاموال . وقال بوجوب القضاء على نفوذ عبد القادر باي ثمن لانه العقبة الرئيسية في طريق النظام الفرنسي الجزائري . وانتقل الى العمليات الحربية فقال ان الفرنسيين اذ يجاربون في اوروبا انما يسعون الى سحق الجيوش والقضاء على مصالح العدو ويجهدون في

وضع ايديهم على هذه المصالح كالمكوس (الجبارك) والمراكز التجارية والصناعية الخ... اما في افريقيا فالشعب ليس عدواً ، لهذا لا يجوز التعرض لمخاطه وفي رأسها الزراعة .

واقترح القائد الحروب ان يعهد الى التجريدات الفرنسية في الجزائر بمهمة مساعدة السكان في استئثار الارض . « اذا وليت القيادة هناك مرة اخرى اقول لقادة التجريدات انكم تضيعون الوقت سدى في مطاردة العدو . فالفناء عليه يصبح ممكناً متى عرفتم ان تحولوا بينه وبين المراعي لبسائر بها السكان الموالون لنا . ان فريقاً من النواب يضع وقد سمعت بعضهم يصف هذه الطريقة بأنها بروية . فهل نسي هذا الفريق من الزملاء ان السكان الآمنين احق بها من الذين يحاربوننا وان الخطط الحربية لا يمكن ان نستوحى من المبادئ التي اشتملت عليها الكتب المسابرة ؟ يجب ان نؤمن لتجريداتنا واصدقائنا اسباب المعيشة في تلك البلاد . »

وشرح « بوجو » خطته فقال ان اخضاع الجزائر كلها يتطلب جيشاً من ستين الف مقاتل موزعين على ست تجريدات تدرع البلاد طولاً وعرضاً ، وتكون كل واحدة منها قادرة على مواجهة العدو مهما تكن قوته . واكد ان خطته كفيلة باخضاع المناطق الرئيسية الثلاث وهي : « الجزائر » و « وهران » و « تبوتي » فينفر الأعداء الى الصحراء حيث تندر المراعي والجوب ولكنهم ان يلبثوا ان يسعوا الى مفاوضة الفرنسيين تدفعهم الحاجة الى الماء والكلأ والغذاء فيفرض الفاتحون شروطهم . اما اذا آثروا البقاء في الصحراء فالجمال يظل فسيحاً لاقطاع السكان الموالين اخضب الاراضي واوفرها انتاجاً .

وكرر القائد على مسامع النواب ما سبق له ان صرح به في وهران في حفل من الضباط فقال ان قوات عبد القادر تتقن حرب الكمين والعبات

وتجهد دائماً في استدراج التجديدات الفرنسية الى الممرات الضيقة والجبال وهذا ما يجعل مهمة الحملة في غاية الصعوبة لانها لم تدرب على حرب الحركات في مناطق تكثر فيها التوائى . ونصح « بوجو » بتوك المدفعية الثقيلة جانباً وبسير تجريدات صغيرة وخفيفة في اثر العدو .

اهتم الرأي العام الفرنسي ببيان القائد وهبت الصحف تطالب بتعيين الرجل قائداً للصحة وحاكماً للجزائر ، فزلت الحكومة على الطلب ، ووجد « بوجو » في المارشال « صولت » الذي ولي وزارة الحرية عضداً قوياً ، دعم مطالبه كلها ولم يعقل عليه بالرجال فزاد عددهم مئة بالة بين ١٨٤١ و ١٨٤٦ .

شرع « بوجو » منذ وصوله يهاجم مدن الامير عبد القادر فاحتل « مسكرا » ودمر « تاغدامت » عاصمة الامير العسكرية كما دمر « بوغار » و « نازا » و « صيدا » ثم احتل « ميديا » و « ميليانا » . فلم يبق لعبد القادر من الموائى سوى « تينيس » . واتفق الفرنسيون سنة (١٨٤٢ و ١٨٤٣) في اخضاع القوات النظامية ومعاقلة القبائل فاحتلوا « تلسان » ودمروا « غوجلا » وتوغلوا في منطقتي « داهرا » و « اوران سينيس » ، فانهارت معاقلة عبد القادر الرئيسية الواحد نلو الآخر ، وسلمت قبائل « سجالا » . وعقب هذا انتزاع اقليم الجزائر كله من الامير ، وتحطيم قواته النظامية قرب « مسكرا » (تشرين الثاني ١٨٤٣) فلبأ الى مراكش واستعدى سلطان « فاس » على الفرنسيين ، فهزم « بوجو » جيش السلطان في موقعة « ابسلي » (١٤ آب ١٨٤٤) وانتزع منه اعترافاً بان عبد القادر ثائر خطر وتعهد بانتقاله اذا وقع بين ايدي القوات المراكشية .

ما ان انتهى خبر الاتفاق الى عبد القادر حتى غادر محباً حياة واتقن على المراكز الفرنسية في خط « مافريفيا بنمور » واجاد تجريدة كاملة في « سيدي ابراهيم » (٢٣ ايلول ١٨٤٥) فاستأنف القتال على طول جنود وهران ،

وحاول الامير ان ينفخ في بوق الثورة ، ولكن ه التجردات الفرنسية المتحركة ذات المدى البعيد ، كما سماها مؤرخو العصر ، سدت دونه المآخذ وحالت بينه وبين الاتصال بالسكّات . وفي غضون سنة واحدة اخضعت القبائل النائرة .

ولم ينتظر « بوجو » ختام الحملة كي يشرع في تنظيم الجزائر ، ولكن الحكومة والبرلمان لم يتحسسا لمشروعه ، فاعتزل منصبه قبل ان يسلم عبد القادر نفسه . وقد تم تسليم الامير في الثالث والعشرين من كانون الاول ١٨٤٧ فزال العفة الرئيسية في طريق التعاون الفرنسي الجزائري ، على حد قول « بوجو » نفسه ، ولم يبق الا اخضاع مناطق الواحات وبعض المناطق الجبلية الوعرة ، فاستغرقت عملية اخضاعها عشر سنين اخرى .

الرؤساء والمرؤوسون . - اخرجت حملة الجزائر ضباطاً لامعين مثل معظمهم في حروب الامبراطورية الثانية دوراً رئيسياً . وقد نجح هؤلاء الضباط في المعارك كما لمعوا في الادارة وتنظيم القطعات المحلية . نفخ فيهم الجنرال « بوجو » (المارشال بوجو فيما بعد) من روحه وانصفهم بعد اعتقال منصبه فكان اذا ذكرت الجزائر يبرز ما في الضباط « ماكاهون » والدوق « دومال » و « كاتروير » و « سان ارنو » و « موريس » و « نيسل » و « بيدو » و « لامورسيير » الذي سلم اليه الامير عبد القادر .

وتتميز جنود الحملة الفرنسيون بالشجاعة والصبر على المكآرة ، وقد اعترف عبد القادر نفسه بان الجندي الفرنسي لا يجارى في المواقف الصعبة . وبعد تسليمه قال للكونت « لامورسيير » انه حضور بان يرى مواطنيه يقاتلون في الصفوف الفرنسية . وتتميز من بين هؤلاء ، الجنود الذين عرفوا منذ ذاك باسم « الزواف » وجنود الفرقة الاجنبية التي انشئت في صيف ١٨٣١ .

الزواف . - اطلق الجنرال « بورمون » اسم « الزواف » على الجنود المرتقة الذين جعل منهم نواة القوات المساعدة في صيف ١٨٣٠ . وبشي الزواف الى فباتل « زواوا » المشهورة بشدة البأس . وفي تشرين الاول من العام نفسه استصدرت الحكومة الفرنسية مرسوماً بإنشاء فوج الزواف الاول وعهد بقيادته الى « لامورسير » الذي اقترح بعد موقعة « مسكرا » إنشاء افواج اضافية : « لان الزواف يحاربون اشداء » ، لم تلق صعوبة في القاب حماسهم لانهم خلقوا للكفاح . « وقد انشئ الفوج الثاني في اواخر العام ١٨٣٥ ، وكان « لامورسير » قد رقي الى رتبة كولونيل فعين قائداً للكردوس الزواف الاول . وبعد موقعة قسنطينة انشئ الفوج الثالث كما انشئت سربتان من « القناصة الجزائرية » فكانتا نواة « كودوس القناصة الافريقية » الذي اجتذب للمتطوعة بالآلاف في غضون ثماني سنوات ، فما انصرم العام ١٨٣٩ حتى كان الجيش الافريقي يضم اربعة كراديس مستقلة ، منها كودوسان ضياء سرايا « القناصة الصحاحية » التي كان رجالها يتجهزون على نفقتهم الخاصة .

الفرقة الاجنية . - انشئت « الفرقة الاجنية » في التاسع من آذار ١٨٣١ ، وجعل الانضمام اليها اختيارياً لمدة تراوح بين ثلاث وخمس سنوات للراغبين في التطوع من الرجال الذين بلغوا الثامنة عشرة ولم يتخطوا الاربعين . وفي اول نيسان من العام ١٨٣٢ كانت الفرقة تتألف من اربعة افواج قوامها ٢٧٠٠ رجل معظمهم من المان رينانيا ومن البولونيين والايطاليين والفرنسيين . وقد ارسلت الفرقة في العام ١٨٣٥ الى اسبانيا لتعمل في صفوف اعداء « دون كارلوس » فقاتلت على الارض الاسبانية باسم « الفرقة الفرنسية المساعدة » وسقط نصف رجالها في ميدان الشرف .

وبعد اخفاق الهجوم الفرنسي الاول على قسنطينة قررت الحكومة

الجيش الفرنسي

الفرنسية انشاء فرقة اجنبية جديدة ، فوصل الفوج الاول منها الى الجزائر في نيسان ١٨٣٧ بقيادة المقدم بيدو . وبعد انتهاء الحرب الاسبانية انشلت ثلاثة افواج حديثة ضم احدها بقايا الفرقة الاصلية .

٣- جيش الامبراطورية الثانية

خلقت الملكية للامبراطورية الثانية جيشاً منظماً ، مكتمل التدريب ومؤسسات عسكرية سليمة ومرنة ، لكن يعوزها الاحتياط المتعلم . وقد قبلت الامبراطورية التركية على علاقتها ولم تبذل أي جهد في سبيل تسليحها وتحسينها . اجتمع المؤرخون على ان حرب القرم (١٨٥٤) كانت حلقة في سلسلة احقاد جيش الملكية الدستورية . وبالإضافة الى حملة القرم اثبت هذا الجيش اعلية في ميادين شتى ، في المشرق وايطاليا والصين والمكسيك والجزائر . ولكن كارثة ١٨٧٠ فتحت العيون على حقيقة كان البروسيون السابقين الى ادراكها والاخذ بها . فقد تعلم الفرنسيون على حسابهم ان التكتيك والعلم والتنظيم يتغلب في النهاية على الشجاعة والارتمال .

حملة القرم . - اكسد لويس نابليون يوم غودي به امبراطوراً « ان الامبراطورية هي السلم » ، وكان مخلصاً في قوله هذا . ولكن الحوادث جرت فرنسا في عهده الى اكتسار من نزاع بالرغم من مساعيه السلبية . وعندما حدد الروس القسطنطينية بذل مئة الدبلوماسيون مجهوداً جباراً في سبيل ابعاد شبح الحرب . ولما اغياهم السعي مد نابليون يده الى انكسار ، وانفق وايها على صون اراضي الامبراطورية العثمانية .

عباً الانكليز خمسة وعشرين الف رجل ووضعهم تحت امره لورد « راغلان » معاون لورد « ولفتون » في « واترلو » . وتولى قيادة الحملة الفرنسية المارشال « دوسان ارنو » بطل الانقلاب الذي لوجل لويس نابليون

الى الحكم ووزير الحرية في الحكومة الفرنسية . وقد تألفت الحملة من اربع فرق بقيادة « كلوديو » و « بوسكه » و « فوري » والامير نابليون ابن عم الامبراطور ، ومن لواء خيالة واحد . اما التدابير التي اتخذت لتفسير الحملة فقد ارجحت ارجحالا ولم يشعر المسؤولون بتقصيرهم في هذا الباب الا عندما لسوا عواقب تسرعهم .

التقت الحملتان الفرنسية والانكليزية في « غاليلوي » (بحر مرمر) وكانت معنوياتها ممتازة والتفاهم تاماً بين « الزواف » و « الايكوسين » . وفي الثلاثين من ايار ١٨٥٤ اجتاز الجيش الروسي نهر الدانوب وضرب الحصار حول مدينة « سيلتوا » . فاقترح عمر باشا قائد الجيش العثماني على المارشال « دوسان ارنو » رفع الحصار عن المدينة . فعارض اركان حرب المارشال في القيام بالمهجوم قبل وصول المؤن والعتاد . (شحنت من الموانئ الفرنسية والانكليزية بعد قيام الحملتين منها باربعة اسابيع) .

اخذ « سان ارنو » بوجهة نظر اركان حربيه ، وكان هو بحاجة الى الراحة لانه كان ضعيف القلب والرنين ، ولكنه عاد بعد ثلاثة اسابيع فقرر تجديد العثمانيين . ونحركت القوات المتحالفة باتجاه « فارنا » ، وقبل بلوغها اياها رفع الروس الحصار عن « سيلتوا » لانهم انسوا من التمسك بها لانضمام الى الحلفاء . وقبل ان يختار « سان ارنو » وجهة قواته انبرت الصحف الانكليزية تطالب باحتلال القرم وتدمير قلعة « سيستبول » الحصينة . فانساق الرئي العام الفرنسي مع التيار ، وتلقى قائد الحملة امراً بهاجمة القرم . فقرر احتلال « فارنا » اولاً ، ولكن الهواء الاصفر فتك بجنوده فتكلاً ذريعاً ، فعدل عن مهاجمة المدينة بعد ان ترك في مستنقعات « دوبروجه » اربعة آلاف جثة . وفي السابع من ايلول اقترنت ثلاث عمارات متحالفة من « سيستبول »

ولكن القائد الروسي « مانشيكوف » كان قد سد بداخل الميناء بضع سفن
أغرقها ، فزل ٦٤ ألف فرنسي وتوكي وانكليزي في بلدة « اولدفورت »
الواقعة على عشرة أميال من « سياستبول » ، ولم ينظر « مانشيكوف » اندفاع
الغزاة نحو المدينة الحصينة ، فمضى الى لقائهم على رأس أربعين ألف مقاتل ،
فتواجه الجيشان ليل ١٩ ايلول ١٨٥٤ بين « اوبانويا » و « سياستبول » وبدأ
القتال صباح اليوم التالي .

غلطة استراتيجية . - احتشد الجيش الروسي على الهضبات المشرفة على
مروج نهر « ايلما » ، فقرر الحلفاء ان تهاجم فرقة الجنرال « بوسكه » مبصرة
العدو ، على ان تهاجم القلب فرقتا الجنرال « كاتروبير » والامير « بولليون » تعاونهما
القوات الانكليزية . فانطلق الزواف بعمود نهر « ايلما » وما عزم الامر ان
انتشر المشاة الفرنسيون وسط المروج والقباض في وجه نيران المدفعية الروسية .
وارتكب « مانشيكوف » غلطة استراتيجية برده في استخدام قواته الرئيسية منذ
اللحظة الاولى ، فساعد تودده الانكليز والأتراك على الالتحاق بالفرنسيين بعد ان
ارغموا الجيش الروسي على الانكفاء . وفي هذه الاثناء كانت فرقتا « بولليون »
و « كاتروبير » تهاجمان قلب الجيش المعادي . وبعد ساعتين من الزمن خففت
الراية الفرنسية على اول مرتفع كان الروس يحتلونه ، فامر « مانشيكوف »
قواته بالراجع ولم ينس للطفاء مطاردة المراجعين لأن عنصر الخلة كان ضعيفا
جداً في الخلة .

ولم يفت القائد الروسي ان الحلفاء سيعيدون الى مهاجمة « سياستبول » قبل
ان تحتل قواته مراكزها الدفاعية ، فعد الى اقامة المتاريس وحفر الخنادق
بينما كان قواد الخلة المتحالفة يتشاورون ، فارتأى فريق مهاجمة المدينة الحصينة
من الشمال واصر فريق على الزحف اليها من الجنوب ، فبنى « سان أرنو »

راني هذا الفريق وزحفت قواته من صفاف نهر « ايلما » مجتازة مناطق موحلة .
وفي ٢٦ ايلول اصيب المارشال بالهواء الاصغر فسلم القيادة الى الجنرال
« كانرويه » ، وبعد ايام قليلة توفي على ظهر الباخرة « برتوليت » .

حصار سياستبول . - كان « كانرويه » قائداً شجاعاً ، صريحاً ، شديد
الحذب على مرؤوسيه . ولكنه ينهرب من التبعات ويتردد في اتخاذ القرارات
الحاسمة . وعلى الجملة لم يكن الرئيس الذي يتطلبه الموقف .

لم يعد الحلفاء الى مهاجمة « سياستبول » فور وصولهم الى ضواحيها ، بل
فضوا ايلما في حفر الخنادق على ثلاثة كيومترات الى الجنوب منها ، ثم شرعت
مدفيعتهم تضربها فحدثت المدافع الروسية بالمثل ، واستمر تبادل النيران ايلماً
ثلاثة اشهر بعدها الحلفاء ان الحصار سيكون طويل الامد .

اما الحامية الروسية فقد كانت ترجو الخلاص على يد الجنرال
« مانشيكوف » الذي عسكر ببيته شمالي « سياستبول » بانتظار وصول المدد .
فاجده القصر بربع فرق . وفي ٢٥ تشرين الاول ١٨٥٤ انقض مئة الف روسي
على القوات الانكليزية والتركوية في « بالاكلافا » واستطاع « القوزاق » ان يبدد
شمل الاتراك ولكنهم اصطدموا بالانكليز ، فدخلت مدفعية « مانشيكوف »
وكادت الدائرة تدور على الفرقة الاسكوتلندية التي جباها « القوزاق » لو لم
نزل الى الساحة « قناصة افريقيا » وتنفذ الموقف .

وفي الخامس من تشرين الثاني هاجم جيش « مانشيكوف » المواقع الانكليزية
في « انكرمان » ، فصدته المدفعية ، ولحقته اعاذ الكرة مستخدماً الفرسان
« القوزاق » على نطاق واسع . فظف الزواف الى نجدة الانكليز فاضطر الروس
الى التقهقر بعد ملحة هائلة ، وقد شوهدوا ينخلون « سياستبول » بعد ان قتل
منهم عشرة آلاف رجل . اما نتائج المعركة فكانت صفراً من الوجهة

الاستراتيجية .

وجد فواد الحملة المتحالفة انفسهم امام معضلة جديدة بعد معركة « انكرمان » العظيمة . لقد هجرت الحملة من اوروبا بالالبسة الصيفية ولم تجهز باللبسة الشتاء لاث الخواء العسكريين في لندن وباريس توقعوا احتلال القرم بما فيها « سياستبول » في بضعة اشابيع .

بدأ فصل الشتاء في اواخر تشرين الثاني وبدأت معه مصاعب التبريد والسكنى والمداواة . وكان اثر الحرمان في القوات الانكليزية اكثر بروزاً منه في القوات الفرنسية التي اعتادت شظف العيش في حملة الجزائر . اما الامراض فقد نشت منها الملاربا والزحار (الدوسنتاريا) . وكان الامير نابوليون ابن عم الامبراطور اول المصايين بالزحار فاستأذن ابن عمه بالعودة الى فرنسا فأذن له .

اما جبهة القتال فقد سادها هدوء . كاد يكون تاماً لولا القنابل القليلة التي كان الفريقان يتبادلانها من وقت الى آخر . وقد تلقى الفرنسيون في اوائل كانون الثاني نجدة مؤلفة من ثلاث فرق بقيادة الجنرال « بليسبه » ووصل معها الجنرال « نيل » عملاً الامبراطور في الجبهة .

تحسن الطقس في القرم حوالي اول آذار سنة ١٨٥٥ ، فاستؤنفت الاعمال الحربية وعهد « كانروبير » الى الجنرال « بوسكه » بإدارة العمليات الموجهة ضد حصن « مالاكوف » . وكان الروس قد اغفوا تحصين مدينتهم وموقع « الآكة الخضراء » المعرض مباشرة لتيوان مدفعية الحلفاء .

وفي صباح التاسع من نيسان بدأت خمسة مدفوع تصب نيرانها على « سياستبول » ، فرد الروس النجدة باحسن منها ، واستمر هذا الصراع مدة عشرة ايام وادى الى تحطيم جهاز الدفاع الروسي . ولكن قيادة الحملة المتحالفة

احسبت عن دخول المدينة ، ولو انها فعلت لما استطاعت حامتها ان تبدي مقاومة جدية .

وقد اضطر هذا الصراع العقيم عن سقوط ستة آلاف روسي والفي بريطاني وفرنسي . وكان بين القتلى الفرنسيين الجنرال « بيرو » ، فحل محله الجنرال « نيل » ولكن سرعان ما اصطدمت آراؤه المعربة عن وجهة نظر الامبراطور ولي نعمته ، بأراء « كاتروبير » الذي كان دائم التذمر من « تدخل نابوليون الثالث في ما لا يعنيه » . وحوالي منتصف ايار استقال « كاتروبير » فحل محله الجنرال « بليس » الذي كانت له صفات القائد الحقيقي .

كان لبليس خطة بسيطة وواضحة فوضع تنفيذها نصب عينيه ضارباً عرض الافق بأراء « نيل » وباضرار نابوليون الثالث على فتح جبهة ثانية في داخل بلاد القرم . كانت خطته تقضي بالعدول عن اخذ سياستبول بهجوم عام يبدأ وينتهي في يوم او يومين ، الى محاولة اخذها بالقضاء على حصونها الواحد تلو الاخر . وكانت الجنرال « كاتروبير » قد قام بمحاولة ضد شبه جزيرة « الكرج » للتحول دون تكوين « سياستبول » فلم تصادف بمحاولته نجاحاً ، فقرر « بليس » اعادة الكرة وكان التوفيق حليفه . ولكن هذا النجاح لم يرض نابوليون فارسل بأمر « بليس » بعدم التعرض لسياستبول قبل احتلال داخلية القرم . فرفض القائد اطاعة اوامر الامبراطور واصر على مهاجمة الحصون الروسية . وفقاً للخطة التي رسمها .

بدأت المدافع تضرب المدينة في صباح السادس من حزيران فالحقت القنابل اضراراً بالغة بدءاً بالآلة الحفراء ، و « الحصون البيضاء » . ومساء السابع منه بدأ الحلفاء مهاجمة المواقع الحصينة ، فاحتلوا اثنين منها في بضعة

وعشرين دقيقة . واندفعوا مع حماسهم فهاجموا حصن « مالاكوف » فردتهم مدفعيته مكابدين خائرين جنية . ومالبت الروس ان اسعدوا « الأكمة الخضراء » ولكن الجنرال « بومكه » انتزعها منهم بفضل قوائمه الاحتياطية .

على اثر هذا النجاح النسي ارسل الامبراطور بنين « بليسيه » وبأمره مجدداً باحتلال داخلية القرم أولاً ثم عزل « سياستبول » قبل مهاجمتها . فاجاب القائد انه لن يتوحد في الاستقالة اذا واصل نابوليون التدخل في ما لا يعنيه . ولم ينتظر الجواب بل امر باستئناف الهجوم . فشئ الانكليز في ١٨ حزيران نحو حصن « ريدان » والفرنسيون نحو حصن « مالاكوف » ولكن المحاولتين اخفقتا بالرغم من الشجاعة التي ابداهما المهاجمون . وقد اخطرت الفريقان الى اعلان يوم هدنة كامل انصرفوا خلاله الى دفن قتلاهم .

اغضب هذا الاخفاق نابوليون الثالث والرأي العام في فرنسا وانكفرا فاصدر الامبراطور امراً بعزل « بليسيه » ولكن الوزيرين « بايان » و « فوري » حالاً دون نشر الامر في الجريدة الرسمية . فظل « بليسيه » على رأس الحملة بالرغم من اختلافه والانكليز .

وفي اواخر حزيران ظهر وباء الهواء الاصفر مرة اخرى فتوفي لورد « راغلان » في ٢٨ حزيران فصل محله الجنرال « ميمسون » . ورأت القيادة الفرنسية ان العمل من شأنه ان يقوي معنويات الجنود فامرت بحفر خنادق جديدة . اما الحالة في « سياستبول » فلم تكن أفضل منها في صفوف الحلفاء ، فقد ضعفت روح المقاومة من جراء الخسائر الكبيرة التي منيت بها الحامية ومن جراء انتشار الامراض وندرة المواد الغذائية . وسجل الجنرال « غورنشاكوف » محل الجنرال « ماشيكوف » في قيادة « جيش الحلاص » الذي

كان يجتشد شمال «سياستبول» ، هاجم مراكز الحلفاء في «تشرنابا» ولكنه رد على اعتاقه مكابداً خاسراً قاذحة .

اثرته هذه الصدمة في اعصاب «غورنشاكوف» فكتب الى «بطرسبرج» يقول ان الاستمرار في الدفاع عن «سياستبول» عمل جنوني ، وشعر «بليسيه» ان الروس أصبحوا اضعف من ان يواجهوا المقاومة فعند اليوم الثامن من ايلول موعداً للقيام بهجوم عام يضي حساب المدينة قبل حلول فصل الامطار . مهدت المدفعية للهجوم الكبير بصها القنابل على المواقع المحصنة فاندلعت حرائق هائلة وحدثت انفجارات في مخازن البارود . وحوالي الظهر زحفت فصائل «الزواف» بقيادة الجنرال «ماكاهون» على انغام الابواق . ووسط الخفاف بحياة الامبراطور تسلقوا اسوار حصن «مالاكوف» . وبعد معركة عنيفة خربت البطاريات الروسية وخفقت الراية المثلثة الالوان على الحصن . وفي هذه الاثناء كان الانكليزيون يحاولون الانسحاب على حصن «ريدان» فحصلتهم الرشاشات حصداً ، وكر الروس على فرقة الجنرال «ديلاك» التي تمكنت من احتلال احد الحصون الصغيرة فأخرجوها منه . وجرت هذه المعارك الى ملاحم هائلة جرح فيها القواد : «كوردنو» ، «ويوشو» ، «بوسكه» ، «بورباكي» ، اما «بليسيه» فكان يراقب الالتحامات من «الاكمة الخضراء» وهو مالك زمام اعصابه . وكان «مكاهون» في حصن «مالاكوف» يجابه كرات الروس اليانسة فبعث اليه القائد الانكليزي «سمبسون» ياله : «علام عولت ؟» . فأجاب «مكاهون» : «انا هنا وسأبقى ..»

واخيراً ايقن «غورنشاكوف» انه خسر المعركة فأمر قواته بالتراجع معتزماً الجلاء عن «سياستبول» تحت جنح الظلام .

وقبل ان يغادر الروس مدينتهم دمروا كل ما يمكن ان يتفجع به الحلفاء .

ونسفوا مسنودعات الذخيرة وفقدوا مدافعهم الى البحر ، ثم اضرعوا النار في المنازل ووقفوا هم شمال المدينة والحلفاء شرقاً بنأملون « سياستبول » الجزيرة الكبيرة التي اخبر من وهجا وجه السماء .

اسباب الانحطاط . - لم تفتح المعاصر والمشاق التي عانتها الحملة الفرنسية في القرم ، اعين الرؤساء في باريس على التوافق التي لا تدعه عن سدها في جيش ، ارادوا ان يجعلوا منه اداة فتح وتخريف ، وان يدعوا به سياسة خارجية راحت تعجز النساء بتأييد الوحدة الإيطالية ، وتثير قلق روسيا وانكفروا بهذا التأييد . لقد كشفت حرب القرم عن نقص في التنظيم وتقصير واضح في الاعداد والتجهيز ، وعن قصر نظر بدت عواقبه عندما دهم الشتاء الجنود وليس لديهم ألبسة شتوية .

وقد هزم الفرنسيون الجيش النمساوي في « ماجستان » و « سولفرينو » في صيف ١٨٥٩ ، ولكن النتيجة البروسية اوشكت الامبراطور على عقد هدنة لتلا تقابلاً فرنسا بهجوم من الشرق وهي بعد متورطة في المسألة الإيطالية . وبدلاً من ان يعد نابليون الى تنظيم الجيش على اسس جديدة ، ترك كل شيء على حاله مكثفاً بتعزيز حاميات الحدود . وقد حمله المؤرخون المعاصرون تبعية الكارثة التي نزلت بفرنسا سنة ١٨٧٠ ، لانه لم يدع للوزراء المصلحين مجالاً للعمل منذ ان ارتقى العرش . كان يأخذ بأراء المستشارين المتزلزين لانها تتفق دائماً ونظرياته ، وي طرح نصائح الوزراء والقادة المجردين . وقد سلم مقدرات الجيش الى رجال اعلم لهذه المهمة الدقيقة اخلاصهم لشخصه وتقائهم في خدمته .

ولم يكن لفرنسا في عهد نابليون الثالث هيئة اركان حرب عامة . اما مدرسة اركان الحرب فكان يدخلها الملازمون الثانون ويخرجون منها بعد عامين

ضباط اركان حرب ، فيصرفون الى العمل وراء المكاتب بعيدين عن الجيش لا يعرفون شيئاً عن عيوبه وحاجاته وامانيه . وعندما فكر الامبراطور في الغاء نظام البديل الذي ورثه الامبراطورية الثانية عن لويس فيليب ، صاح الضابط « فوربان » ، وكان عضواً في اركان الحرب : « ألا يزال نظام البديل قائماً ؟ حقاً انها للطخنة عار في جبين هذا الجيل ! »

يقول الجنرال « ده غول » في كتابه « فرنسا وجيشها » ان نظام البديل انذي ظل معمولاً به رغم الغائه رسمياً ليحل محله نظام تشجيع التطوع ، حمل الى الجيش في مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر عناصر عديمة القيمة . وقد قضى النظام الجديد بان يقدم الذين لا يرغبون في الخدمة مبلغاً من المال الى صندوق الجيش لينفق في دفع رواتب التطوعة ، اي ان البديل اعطي اسماً آخر دون ان ينجي المؤسسات العسكرية فائدة ما من هذا الاصلاح الاسمي .

السلاح . - في العام ١٨٢٩ انتقد الجنير العسكري الفرنسي «موران» تحول اركان الحرب العامة وقال في حضرة الملك : « هزمنا أوروبا لبضعة عشر عاماً مضت لان جيشنا كان اكثر مرونة من جيوش الاعداء ، تمكن قسمته بسهولة اذا ما دعت الحاجة الى المجازفة خارج ميدان القتال الرئيسي . وقد اخذ خصومنا عنا درساً مفيداً في هذا الباب ، اما نحن فتوشك ان نهمل ما لقاته سوانا . » وبعد ثلاثين عاماً جاء الانذار من الخارج . فقد كتب قائد بليكي في العام ١٨٥٩ يعجب بمجود فرنسا في الوقت الذي تخطو فيه الامم المحيطة بها خطى جبارة الى امام .

وفي الواقع كان التقدم بطيئاً جداً في حقلي التسليح والتكتيك . جيز جيش المشاة بعد حرب القرم ببندقية مخططة Raye تلقي من فوهها . وقد جرت في موقعة « ماجنتا » فاعطت التجربة نتائج مشجعة . ولكن

التحصين الذي أدخل على سلاح المشاة لم يرافقه أي مجهود في سبيل جعل حركتهم أكثر مرونة وانطلاقاً.

وجهز الجيش في العام ١٨٥٨ بدافع مخططة تبصق مقذوفاتها إلى مدى ثلاثة آلاف متر وتلقم من قوتها. أما الصاروخ فلم يخضع لتجارب لاي خابط. بينما كان البروسيون يجهزون جيشهم بدافع بعيدة المدى، تلقيم من قاعدتها وينفجر صاروخها في الوقت المحدد لانفجاره.

وقد اغفل نابليون الثالث شأن المدفعية مع ان عمه نابليون الاول دون في مذكراته « ان المدفعية هي سيدة مصائر الشعوب والجيش ». وعندما لفته الجنرال « بليسيه » إلى ما قد يترب على هذا الاغفال من عواقب في وقت تكفر بروسيا من « افواه النار » (أي المدافع) عز الامبراطور كفيه وقال : « هزمتا الروس بمدفعية هزيلة وصحقنا النمسيين دون ان نكون في حاجة إلى هذا السلاح الكثير التكاليف ».

ورفض نابليون الثالث تعديل قانون التعبئة والحشد الذي وضعه « غوفيون سان سير » تحت اشراف الحلفاء في غضون ١٨٦٨، كما رفض بعث الوحدات الكبيرة الدافقة كالقبلي والفرقة واللواء، وقد ارتحلت هذه الوحدات ارتجالاً كما ارتحلت هيئات اركان حربها ونظام ثوبنها في حلفي القوم وإيطاليا. لم يكتب « سان ارنو » إلى مولاه من « غاليبولي » : « تصوروا جيشاً يشي إلى لقاء العدو وحدات غير منظمة. بل تصوروا جيشاً يجتاز القواصخ بالمتات ليقاوم على ارض معادية وليس لديه من مقومات الحياة سوى مؤنة اسابيع معدودة. ان الحرب يا مولاي تحتاج إلى أكثر من بندقية ومدفع وسيف. ان جنودكم لفي حاجة إلى الحبز والاعذية وإلى القدرور ملاهي حياء ! »

وفي هذه الاثناء كان « مولتكه » يهر ألمانيا بجيش عظيم ويضع مقدرات

هذا الجيش بين ايدي قادة تلمذوا على « غلوزويتز » وآمنوا بمجدى الهجوم المبالغت بوسائل متفوقة . وقد امن نظام التعبئة لجروسيا النزاعة الى السيطرة جيشاً عاملاً فوامه نصف مليون رجل ، بعززم اربعة وخمسون الفاً من جنود الاحتياط .

اصلاح متأخر . - ولي المارشال « نيبيل » وزارة الحربية في العام ١٨٦٧ فاقنع الامبراطور بوجوب اصلاح نظام التعبئة ، والى البديل ليحل محله نظام دعوة الطبقات ، على ان يكون المعاون فئتين : فئة تخدم خمس سنوات واخرى خمسة اشهر ، ويتم الاختيار بالقرعة . اما الرجال الذين لا تشملهم التعبئة فيتألف منهم « حرس وطني متحرك » تناط به في الحرب مهمة تعزيز الجيش العامل .

كان اصلاح « نيبيل » خطوة لا بأس بها نحو الخدمة الجبرية ونحو استخدام كل موارد الامة في الرجال . ولكن المشروع ظل حبراً على ورق لان صاحبه اقبل قبل ان يضعه موضع التنفيذ . وقد احجم الامبراطور عن العمل به لانه يحمل الامة الفرنسية اعباء باهظة ، في وقت كان الرأي العام شديد التوجع بسياسة البلاط ، غير راض عن نتائج حملة المكسيك التي كلفت البلاد غالياً على غير طائل .

الكارثة . - اعتمدت هيئة اركان الحرب الالمانية في القضاء على المقاومة الفرنسية خطة وضعها « غلوزويتز » وبنائها « بسرك » و « مولتكه » . وهي تقضي باحراز نصر حاسم في موقعة او اكثر ثم بالاستيلاء على باريس ومطاردة الجيش الفرنسي الى ما وراء نهر « الموار » . وقد تمت التعبئة الالمانية بدقة ونظام تامين . اما الوحدات الفرنسية العاملة فقد حدثت بمحنة في مناطق الحدود على ان يلحق بها الاحتياط والعتاد الاضافي .

قضت الخطة الاستراتيجية الألمانية بنشر عدة جيوش لكل واحد منها دور معين في العملية الهجومية المدروسة. ونشر الفرنسيون ضالقتهم على جبهة طولها مئتان واربعون كيلومتراً ولم يؤلفوا منها مجموعتي جيوش «اولاهما في «الازاس» بقيادة «ماكاهوت» والاخرى في «الدورن» بقيادة «بازين» الان تحت ضغط الحوادث وفي زحمتها. وقد اثبتت الاستباكات الاولى في «سيكبيرن» و«فورت» تفوق القيادة الألمانية في التصميم والتنفيذ وفي معالجة المواقف الطارئة. على ان خسائر الفرنسيين معركة الحدود لم تسد ذوقهم سبل المناورة، وهذا ما امل على «مولسكه» القائد الألماني الشاب الحذر والحيطة في استئثار النجاح المبني. وبسم الحظ للقيادة الفرنسية في «روزنبيل» حيث انتقض الالمان صباح ١٧ آب ١٨٧٠ على جيش فرنسي لا يعرفون عنه شيئاً، وكادت الدائرة تدور على المهاجمين لولا تردد المارشال «بازين» وسرعة خاطر الامير «فردريك شارل» والجنرال «الفنسلين» فانهي الجيش المهاجم. وفي مساء ذلك اليوم كتب «بازين» الى الامبراطور مؤكداً خروجه منتصراً من موقعة «روزنبيل» لانت العدو اخفق في قطع مواصلاته مع مدينة «متز». وفي الوقت نفسه كان القائدان الالمانيان يعدان نفسيهما منصرين لانهما قطعاً طريق «فردون» ليوغما خصومهما على الانسحاب الى «متز».

وفي صبيحة ١٨ آب تراجع الفرنسيون في «سان بريفا» فطاردهم الالمان وظلوا يحدون في اثرهم حتى دخل هؤلاء «متز» فضربت القوات الالمانية حولها نطاقاً وما زالت بها حتى سالت في السابع والعشرين من تشرين الاول. وبعد اسبوعين على معركة «سان بريفا» ألقت قوات «ماكاهون» السلاح في «سيدان». وزالت قوات فرنسا النظامية من الوجود بعد مضي ثلاثة اشهر على

نشوب الحرب .

كان جيش «ماكاهون» يتألف من ثلاثة فئات وفرقة مشاة سجت من «تولوز» ومن ثلاثة ألوية تنتمي الى «الحرس المتحرك» . وقد ضم هذا الجيش ١٢٤ ألف رجل منهم عشرة آلاف خيالة . كان على القيادة بعد انسحاب «بازين» الى «متز» ان تعتمد مناورة من ثلاث كان القيام بها ممكناً . فاما ان نحاول وقف العدو مرتكزة على مرتفعات «الارغون» لتغطية الطرق المؤدية الى باريس ، واما ان تنكفي الى العاصمة وتكرس الجهود للدفاع عنها ، واما ان تندفع نحو «متز» لمساعدة «بازين» المحصور في داخلها .

لاقت الفكرة الاخيرة استحساناً في وزارة الحربية ، ووافق عليها مجلس الرأية ومستشارو الامبراطورة «اوجيني» . ولكن تنفيذها يحتاج الى جيش ملتهب حماسة والى قائد مقدام ، نافذ البصيرة ، سريع الحاطر ، فولاذي الاعصاب . وهي شروط لم تتوفر في «ماكاهون» ولا في جيشه . قرر المارشال في ٢١ آب الانسحاب من مواقعه في «شالون» والاعتصام في «ريس» . وفي ٢٢ منه اتجه الجيش نحو «باريس» بالرغم من تعليمات الرؤساء القاضية بالانجاء نحو «متز» . ولكنه بدل انجاءه غروب اليوم نفسه لان «بازين» ابرق بقول انه سيحاول بلوغ الطريق المؤدي الى «سانت منهد» ومنها الى «شالون» . اما اذا كانت الطريق محمية فانه سيتابع سيره الى «سبدان» ومنها الى «ميزير» و«شالون» . وما ان اخذ «ماكاهون» علماً بهذه البرقة حتى قرر الاسراع الى ملاقاته زميله سالماً الطريق التي تمر شمال «الارغون» .

وفي ٢٣ آب ولى الجيش الفرنسي «باريس» ظهره وبلغ نهر «سين» ولكنه

لم يجد في هذه المنطقة المؤن التي كان في حاجة اليها ، فاتجه شمالا ليمتد
 بواسطة الخط الحديدي الذي يربط « ريس » بـ « ميزير » . وفي ٢٥ آب
 استأنف الزحف شرقاً فبلغ نهر « الين » بين مدينتي « ريل » و « فوزيه » .
 وفي اليوم نفسه عرف « مولنك » ان الفرنسيين ينهبون شمالا بشرق
 وانهم ينوون الاتصال بجيش المارشال « بازين » . وعلى الامر ادخل القائد
 الالماني تعديلا على جبهته بتلام والوضع الجديد . وفي ٢٦ آب اتجه الجيش
 الفرنسي نحو « مونبدي » فاصطدمت ميسنته في قرية « بوزاسي » بوحدة
 من الحيلة الالمانية . وبدلا من ان تتخطى هذا الحاجز قيعت في براكزه
 واسرع « ماكاهون » فحشد قواته الرئيسية في وجه الحيلة المعادية . وفي
 صباح ٢٧ آب عرف القائد الفرنسي ان تدابيرهم لم تكن في محلها فامر قواته
 بان تنسحب الى « ميزير » صارفاً النظر عن بلوغ « مونبدي » . ولكن
 الجيش لم يبت ليلة في « ميزير » فقد تلقى « ماكاهون » ارسالا من « باريس »
 بوجوب السعي الى الاتصال بـ « بازين » مها كلف الامر ، فلم يسعه الا الاذعان .
 وفي ليل ٢٨ آب نشر قواته على النحو الاتي :

عسكر الفيلق الخامس في بلدة « بلفال » والفيلق السابع في « بو. أو. بوا »
 والفيلق الاول في بلدة « لوشين » والفيلق الثاني عشر في « بوزاس » .

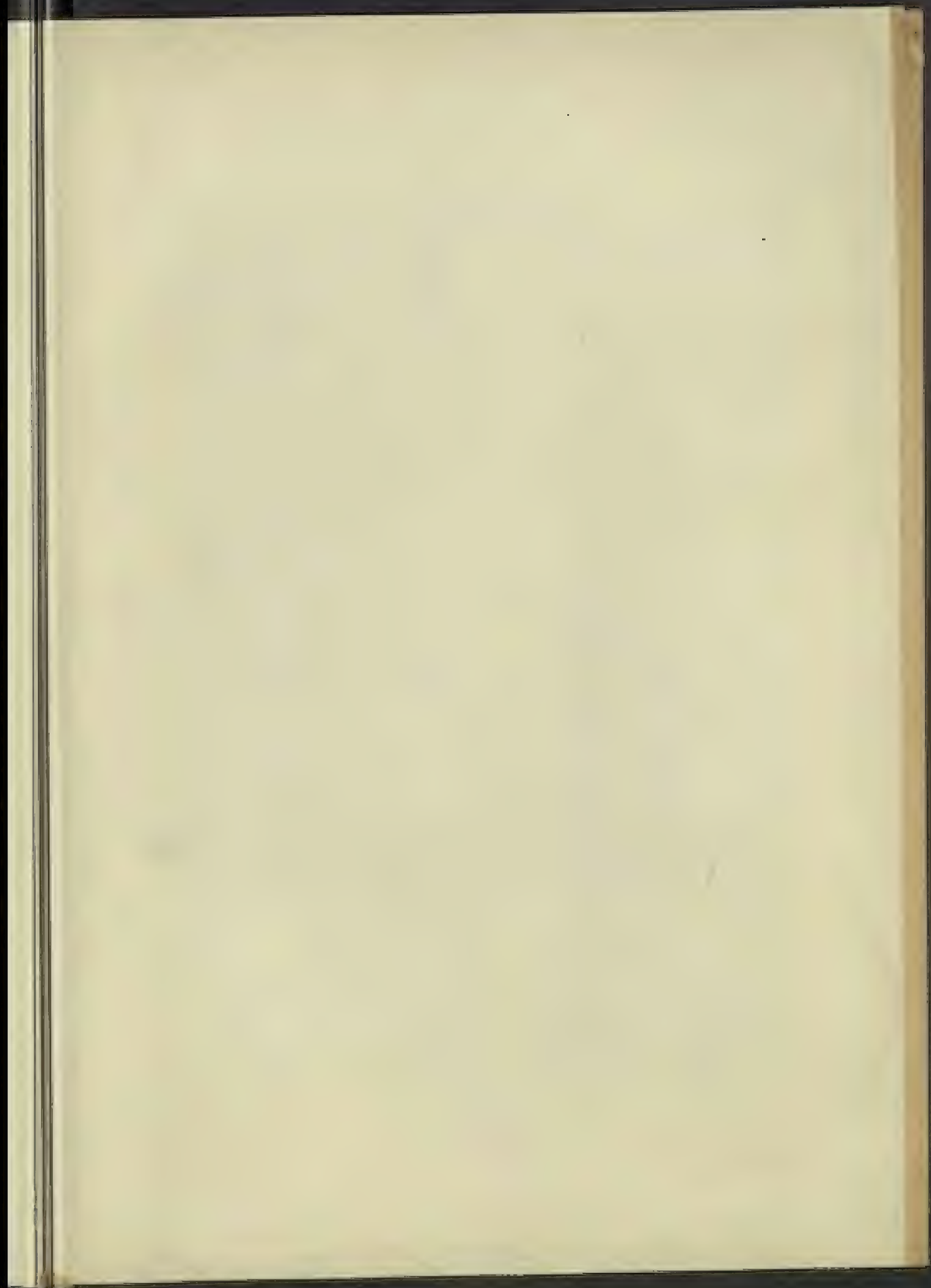
وفي اليوم التالي حاول « ماكاهون » عبور نهر « الموز » مستخدماً في
 هذه العملية جسر « سيناي » فوجد الجيش الالماني الرابع قد سبقه الى
 احتلال الجسر . وجرب « مولنك » استدراج خصمه الى القتال على الضفة
 اليسرى للنهر ، ولكن القائد الفرنسي نقادى المعركة وشرع جيشه بعبور « الموز »
 الى الضفة اليمنى . فعبره الفيلق الاول دون حادث ماراً فوق جسر « ريجلي » ،
 وعبره الفيلق السابع عند « فيليو » و « ريجلي » و « سيدان » ، تطارده الحيلة



سرب من طيارات ، قزوين ، من طراز العام ١٩١٣ .



جنود من سكان الامبراطورية الفرنسية (من الشمال الى اليمين : مراكشي ، جزائري من اصل فرنسي ، هندي صيني ، سنغالي) .



فولنيس غارنيد

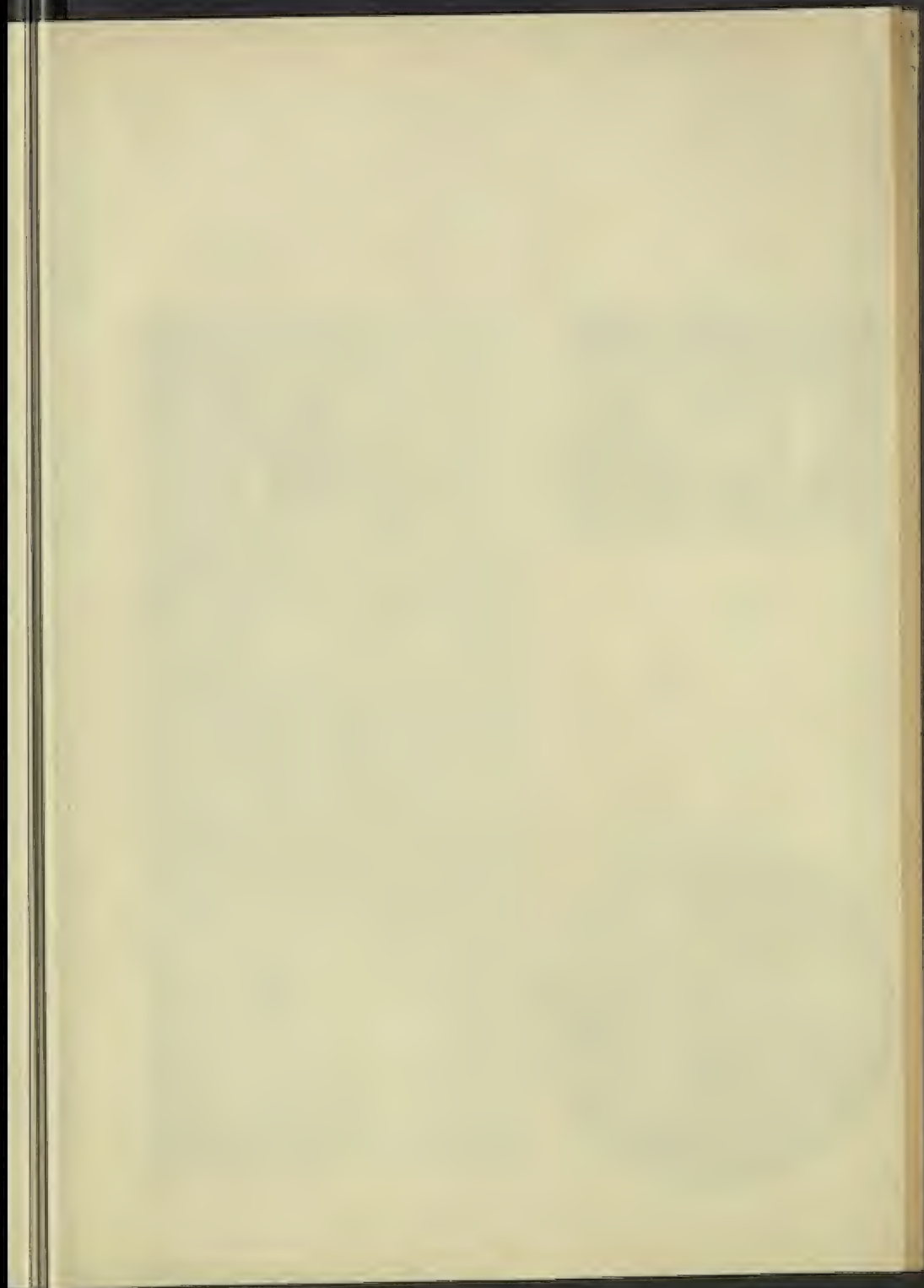


الادوي ال ريفودي جنوبي



اسيلا، الادويال
 ريفودي جنوبي على
 مدينة سيفون عاصمة
 الهند الصينية في اليوم
 السادس عشر من شباط
 ١٨٥٩ (بريشة موريل
 ماسيو).







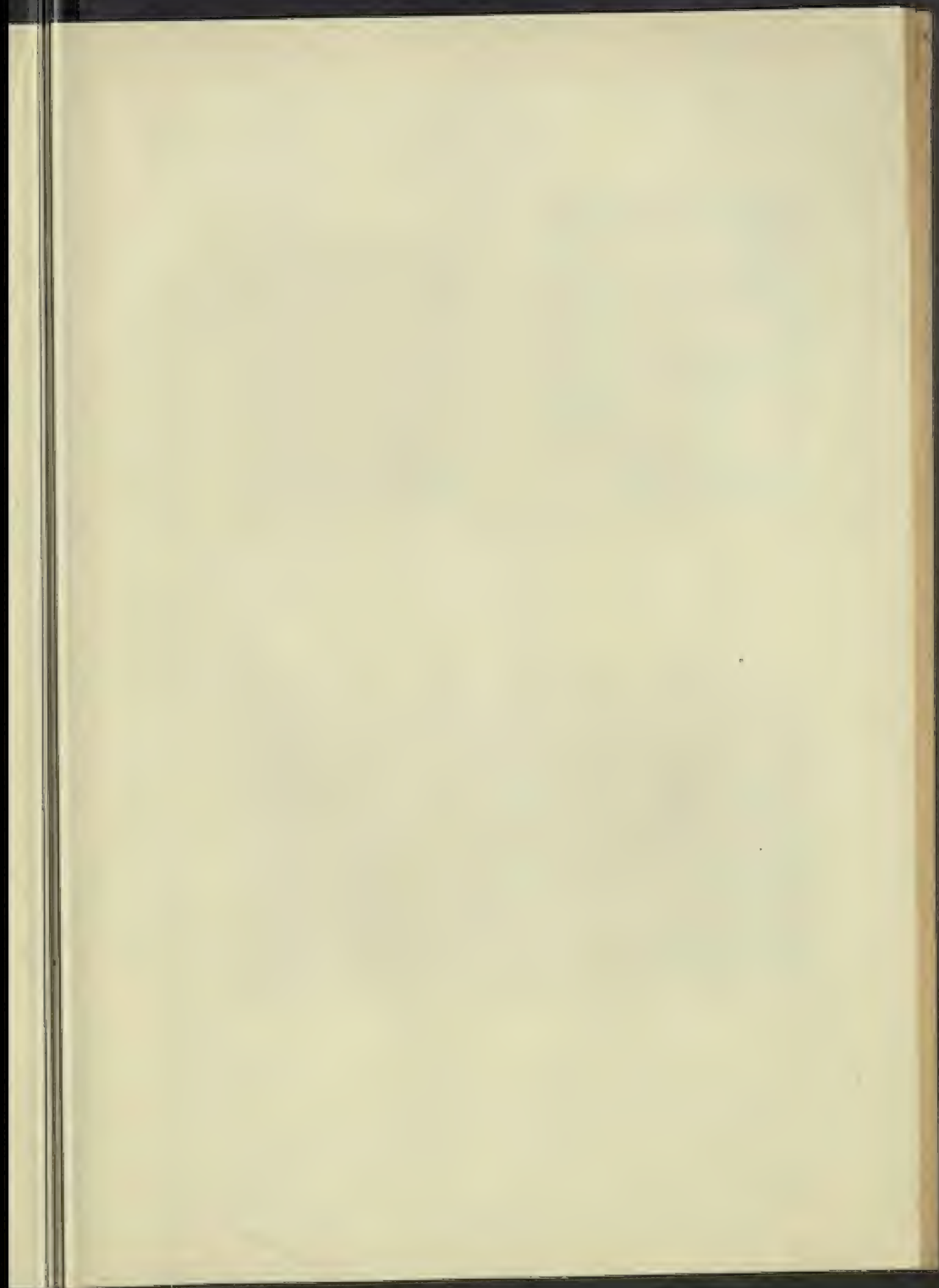
الجنرال غالياني



الاميرال كوريه



الجنرال دروشين يدخل الى «انتسيرايف» عاصمة جزيرة مدغشقر.

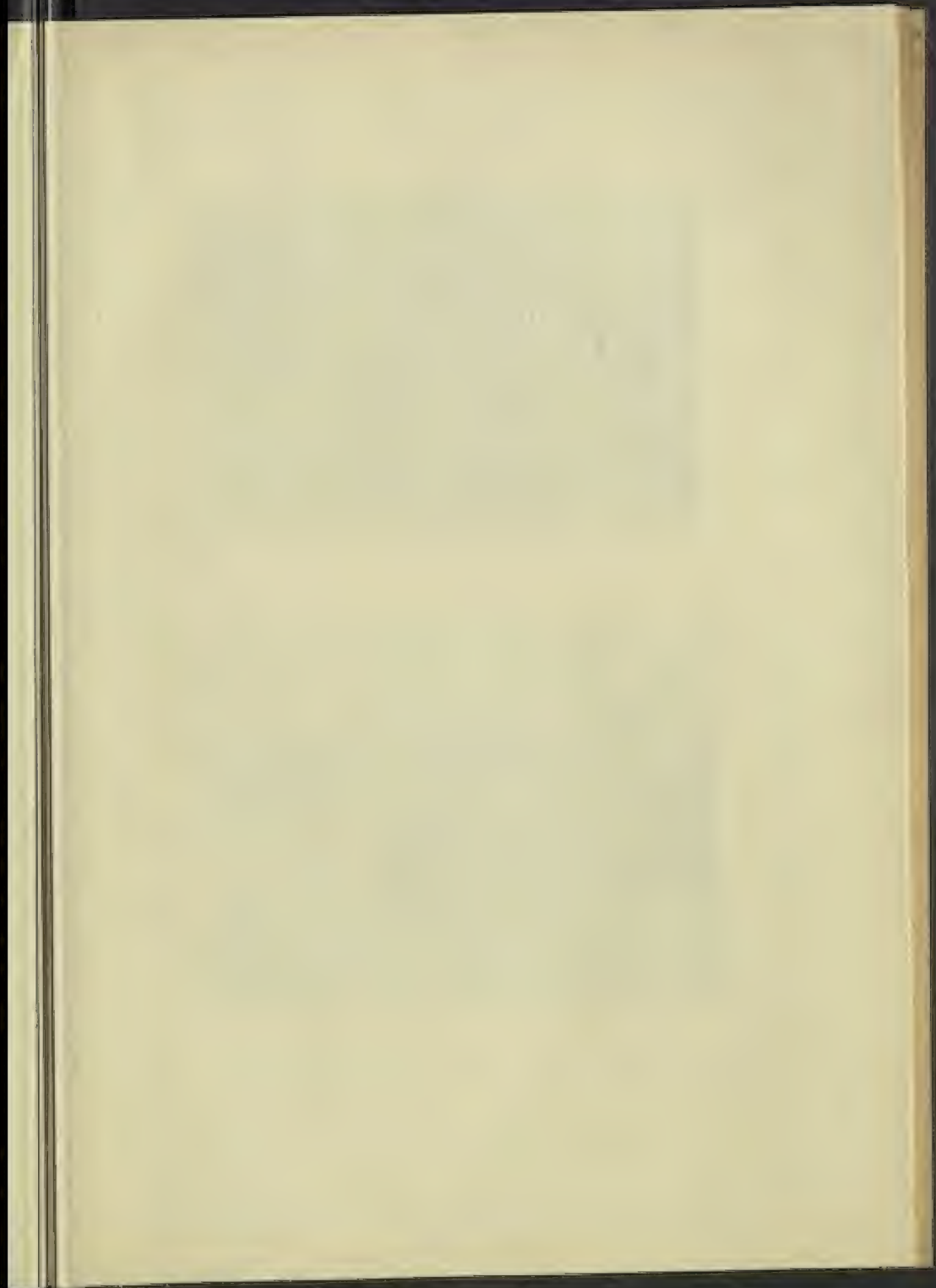




رماة من فرقة « القوم » في قفار مراكش



مدفع رشاش هوتشكيس (١٩١٦)

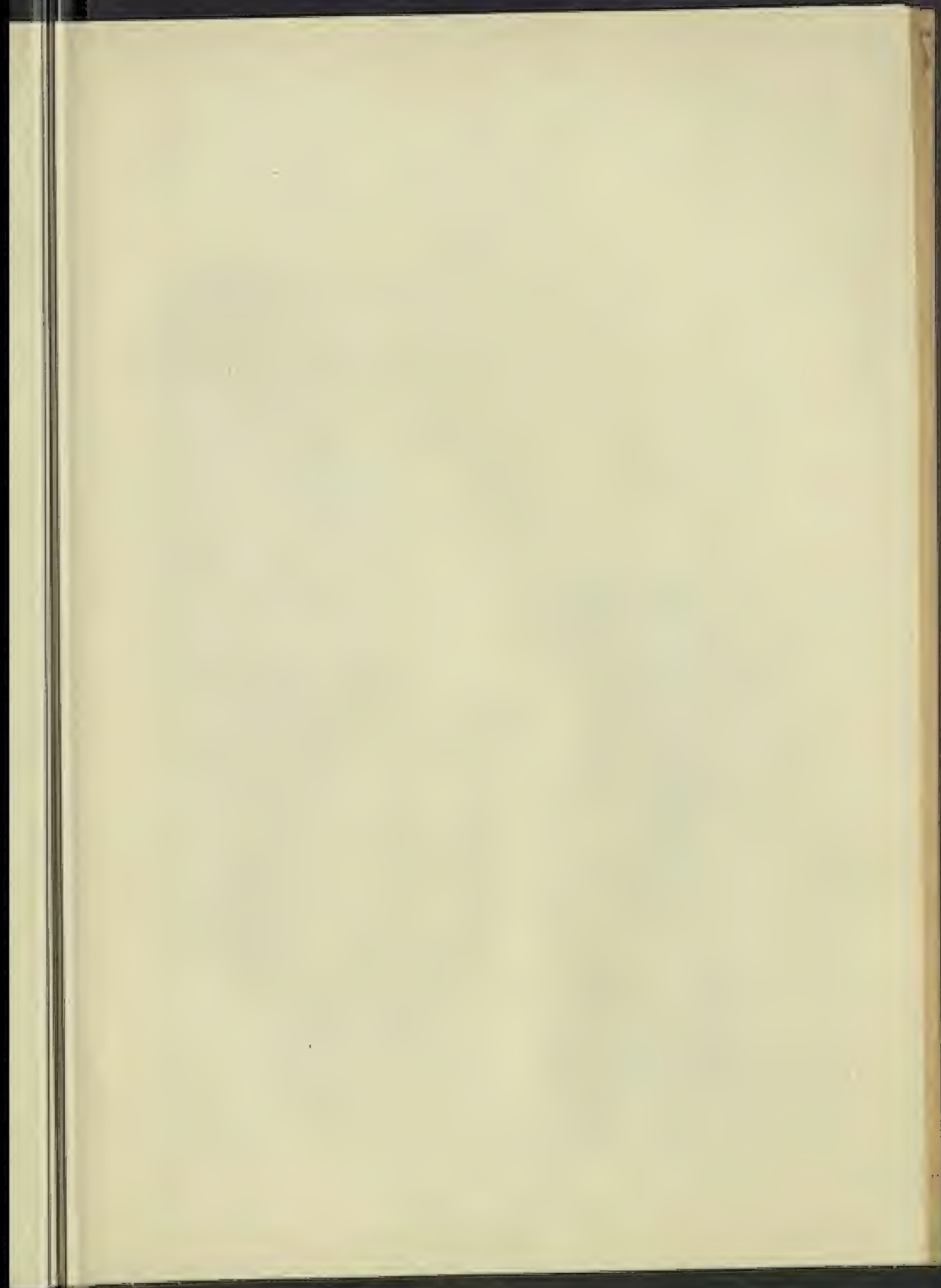


مدفع من عيار ١٠٠
وهو طراز جديد من البندقية التركية



مدافع جديدة من
عيار ٢١٠ تقطرها
سيارات خفيفة .



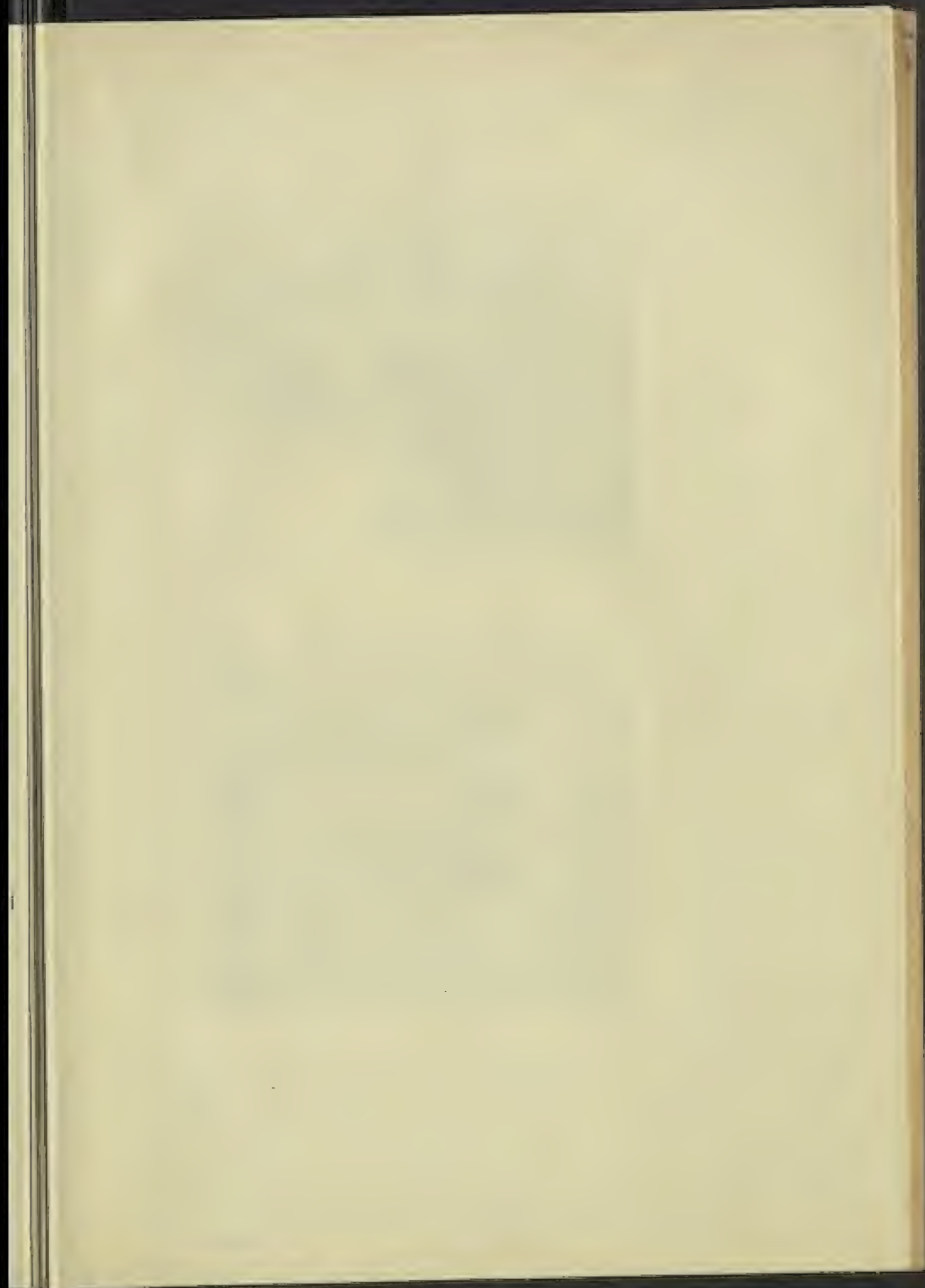




دبابة

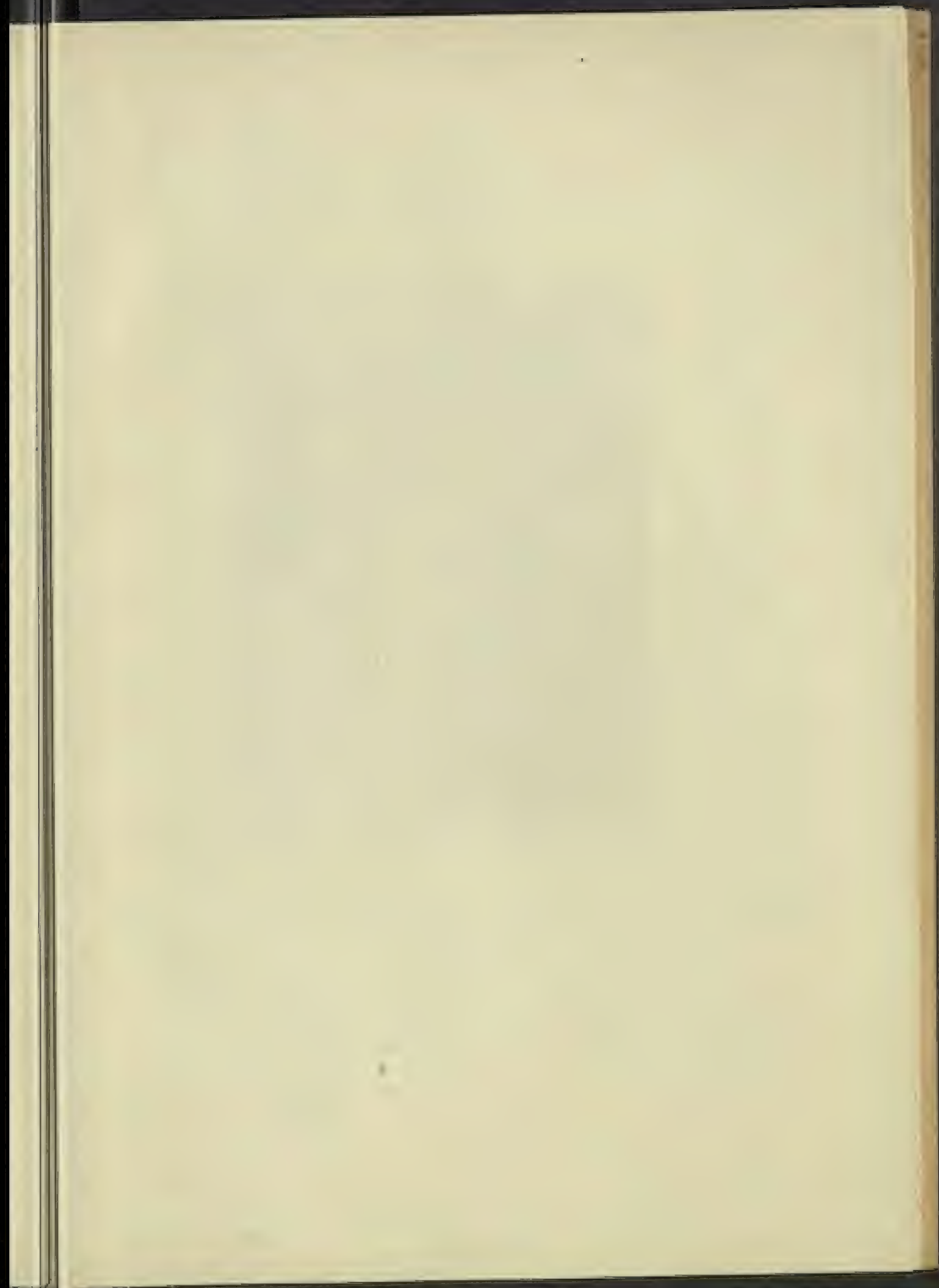


آلة لومى الرمانات من الخندق





المارشال فوش يغادر مركبة قطار النصر عائداً الى باريس يحمل للحكومة نص الهدنة (تشرين
 الثاني ١٩١٨ الساعة السابعة والدقيقة ٤٥) ، ويبدو في الصورة
 عن شمال المارشال : الاميرال هوب الاميركي ، وعن يمينه الاميرال
 السير بيلسن رئيس الاسكندرزي ، فالجنرال وبغارت .





عبد الكريم زعيم الويف الشهير بعد استسلامه



الالمانية . ولاقى القبايل الخامس مشقة كبيرة في الانتقال الى الضفة الاخرى عبر جسر « موزون » . ونجلى في الطريق عن نصف مدافعه . وهكذا نجح « ماكاهون » في وضع النهر حاجزاً بينه وبين العدو ، فقصص له ضباط اركان حربه بالسير نحو « ميزير » والاتجاه منها شمالاً بغرب ليتسنى له تضادي التطويق . ولكنه لم يفعل بل حشد جيشه على المنحدر المثلث الزوايا الذي يشرف على « سيدان » . واغفل احتلال مرتفعات « سان مانج » و « فاليزيت » التي تسبق له عند الاقتضاء القيام بحركة انكفاء ناجحة .

ورأى « مولتسكه » ان يبدأ باحتلال قوتني « كاربنيان » و « دوزي » ليقطع على الفرنسيين الطرق المؤدية الى الشرق . وقد قام بهذه المهمة الجيش الرابع . وفي الوقت نفسه كان الجيش الثالث باقياً جوراً على نهر « الموزل » (دمر الفرنسيون الجسور بعد عبورهم النهر) وبعده عند « ريمبي » و « دونشيري » الواقعين جنوب « سيدان » .

وفي اول ايلول عاجم البافاريون والساكسونيون بلدي « بازيل » و « لامونسيل » ، فجرح « ماكاهون » امام هذه البلدة وسلم القيادة الى الجنرال « دوكر » ، وكان من المتحسين لفكرة الانسحاب الى « ميزير » . فما ان آلت اليه مقاليد الجيش حتى اصدر تعليماته بالانسحاب . وقبل ان توضع خطته موضع التنفيذ وصل من باريس الجنرال « ومين » وبرز مرسوماً بتعيينه قائداً عاماً . وكان اول تدابيرهم الغاء اوامر « دوكر » والاصرار على مواجهة العدو .

وفي صباح الثاني من ايلول شرع « مولتسكه » بتنفيذ التطويق . فاحتل البافاريون « بازيل » والساكسونيون « لامونسيل » و « ديني » ، وابتعد الى الشمال كانت مدفعية الحرس البروسي تطلق على القبايل الفرنسي الاول نيرانها الكثيفة .

الجيش الفرنسي

وكان الفيلقان الالمانيان الخامس والحادي عشر يهاجمان من مرتفعات « سانت مانيع » المواقع الفرنسية في « ايرلي » و « فلوان » . وما لبثت مدفعية سائر الفيالق الالمانية ان فتحت افواها لتتبع الحيلة الفرنسية من شن حملات تضد خطة التطويق . وعند الظهر جلا الفيلق الفرنسي السابع عن « ايرلي » واهل العدو على « فلوان » فعملت عليه الحيلة محاولة فاشة ، ولكن جهودها تكسرت على صخرة عناده . وافلت الزمام من يد القيادة فواخت الوحدات الفرنسية تلجأ الى « سيدان » بعد ان اعباها اختراق النطاق الالمانى . وادرك نابليون الثالث ان المقاومة في « سيدان » لن تجدي فتيلاً فامر قواته بالقاء السلاح .

الفصل العاشر

جيش الجمهورية الثالثة

١ - كيف ارتحل الدفاع الوطني

بعد ثورة الرابع من ايلول ١٨٧٠ لم نجد « حكومة الدفاع الوطني » من القوات النظامية سوى خمسة كراديس من المشاة وستة من الجبال وعشر بطاريات ، وكانت حكومة الامبراطورية قد ارتحلت في زحمة الحوادث ثلاثة وخمسين كرادوساً من المشاة والحقها بالحرس الوطني « المتحرك » ، وقضت باب التطوع الاختياري لقبول الذين لم تشملهم التعبئة ، ودعت طبقتي ١٨٧٠ و ١٨٦٩ فبلغ عدد المجندين من الطبقتين ٢٤٠ ألف رجل . وشرعت وزارة الحربية منذ ٢٥ ثوز ١٨٧٠ تنشى الاستحكامات حول باريس وناطت الدفاع عن العاصمة بالحرس الوطني تعززه حاميه المدينة وكانت تتألف من اربعين ألف رجل . وفي الوقت نفسه شجعت وزارة الداخلية تأليف العصابات ووزعت الاسلحة عليها بسخاء .

وخطت الحكومة خطوة لا بأس بها نحو التعبئة العامة فاستصدرت مرسوماً بدعوة جميع الحارين القدماء القادرين على حمل السلاح وجعلت الانخراط في « الحرس الوطني المتحرك » واجباً وطنياً ينضم على من هم دون الثلاثين القيام به تحت طائلة العقوبات الشديدة . اما من هم فوق الثلاثين فقد دعوا الى التطوع

في الحرس ، وفرض على الذين تخلفوا ، التنازل عن اسلحتهم للدفاع الوطني .
ولكن الانتفاضة التي هزت الامبراطورية الثانية في ايامها الاخيرة ظلت مقصورة على انتصار العهد ولم تبرز الشعب الا بعد زوال الامبراطورية « المسؤولة عن الكارثة » . (من خطبة لقامبتا في ٤ ايلول ١٨٧٠) . وما ان حصل انقلاب ٤ ايلول حتى اتسم بمجهود الدفاع الوطني بطابع شعبي ، وهبت فرنسا من انصاعها الى افساحها تطالب بتعبئة القوى والموارد ووضعها في كفة الميزان .

الدفاع عن باريس . - تألفت الحكومة الجديدة (حكومة الدفاع الوطني) من عناصر باريسية بحت ، فكان طبيعياً ان يقرر الوزراء البقاء في العاصمة المهددة ليشرفوا على الدفاع عنها . واذاً في السادس من ايلول بياناً جاء فيه : « قررت الحكومة البقاء في باريس لتشرف بنفسها على العمليات الدفاعية ، ولا غرو ، ففي باريس تتجمع آمال الوطن وامانيه . لقد اولانا سكان المدينة ثقتهم الغالية ووضعوا مقدرات العاصمة بين يدي القائد المخلص « تروشو » الذي اخذ على عاتقه تنظيم الدفاع . »

عين « تروشو » قائداً عاماً لحامية باريس في التاسع عشر من آب ١٨٧٠ . وجاءت حكومة الدفاع الوطني فاختير القائد رئيساً لها واحتفظ بالقيادة العامة « لانه أمن العاصمة كميات لا بأس بها من الاطعمة والذخائر » . على ان « تروشو » الذي اشرف على تحصين باريس لم يدخل على الحصون القائمة التحصينات التي يتطلبها تقدم السلاح الهجومي . فالمعسكرات الحصينة التي انشئت في عهد « فوبان » ظلت على حالها . وسار العمل ببطء في حفر الخنادق وانشاء الحصون المستقلة خارج الاسوار . وعند وصول الالمان لم يكن ثمة حصن واحد مكتمل البناء .

يقول المؤرخ « ف . كاثونج » في كتابه « الحرب الفرنسية الألمانية » :
 « ان « تروشو » لم يكن رجل الساعة . كان الموقف خطيراً لا يعالجه سوى
 رجل متفوق ولم يكن الجنرال « تروشو » هذا الرجل . »

انصرف القائد رئيس الحكومة الى السياسة فوقف عليها نشاطه مهلاً ما
 عداهما . وقد خلت تدابير ابان الحصار من الحزم اللازم فكان الدفاع
 فوضى ، ولم يطل الامر بالحامية حتى دب الوهن الى عزيمتها . وينصف بعض
 المؤرخين ، ومنهم الكولونيل « ريفول » ، القوات النظامية فيقول انها فالتت
 بحماسة حتى اللحظة الاخيرة . كانت هذه القوات تألف من اربعة عشر الف
 بحار وقائمين الفاً من الجيش العامل وخمسة آلاف خيال وثلاثين بطارية عززت
 فيها بعد بتسعين بطارية ميدان .

اما الوحدات التي ارتحلت ارجحاً فقد كانت تضم نصف مليون رجل
 منهم مئة الف ينتمون الى الحرس الوطني المتحرك جاء بهم « تروشو » من
 الاقاليم ، وقد انصرف هؤلاء في اثناء الحصار الى السكر والعريضة والسلب
 والنهب . وروى الجنرال « دو كرو » في مذكراته (وكان من قادة
 الحامية الباريسية ابان الحصار) ان « تروشو » عهد الى ١٥ الفاً من
 رجال الحرس بالدفاع عن حصن « مون فاليريان » فرفضوا لاث الحصن
 كان عرضة ليران المدفعية الالمانية .

وضمت الوحدات المرتجلة ٣٥٠ الف رجل من المحاربين القدماء والمتطورة
 فكانت مسلك معظمهم غير مشرف بشهادة الجنرال « دو كرو » . اما القباق
 الحرة فقد تميز منها : « كشافه السين » و « فصائل الهندسة المساعدة » .
 وجنح بعض القطعات الحرة الى العمل على هواه غير ملتفت الى اوامر
 الرؤساء ونواهيهم .

ولئن يكن الاحتمال قد اعطى نتائج محيية للامال من هذه الناحية ، فقد جاءت نتائجه مرضية في حقل الاعتدة .

كان في متناول الحامية منذ اللحظة الاولى نصف مليون بنديقة و ١٢٢ مليون رصاصة . ولم تعوز الحامية المدافع والمقذوفات . اما المؤن فقد امتتها حكومة الامبراطورية بفضل التدابير التي اتخذها وزير التجارة بالاستئراك والمجلس البلدي . ولم تنقطع العلة بين باريس والحارج بفضل المناطيد التي استخدمت للمرة الاولى في مطلع شهر تشرين الاول . وقد غادر منها العاصمة في اثناء الحصار خمسة وستون منطاداً ناقلة ١٦٤ مسافراً ومليونين ونصف مليون رسالة ، ولم يسقط منها بايدي الاعداء سوى ثلاثة مناطيد .

على ان ما سبب اخفاق الدفاع عن باريس لم يكن عاملاً مادياً بحتاً . فقد واجهت المدينة الحصار بثقة وايمان بقدرتها على الصمود . ولكن هذا الايمان وتلك الثقة لم يعبرا طويلاً لان الحكومة لم تعرف كيف تبقي على معنويات السكان سليمة فالتهارت وانهارت معها المقاومة .

الحرب خارج العاصمة . — قلنا ان حكومة الدفاع الوطني أتت برشح باريس ولكنها سرعان ما ادركت خطأها . فالعاصمة من الوجهة العسكرية ذات اهمية ثانوية ، وبقاء « ترويه » وزملائه فيها يعني تخليهم عن المناطق المهمة بالاجتياح واثيرهم السياسة على ادارة الحرب .

وفي السادس عشر من ايلول ١٨٧٠ غادرت باريس الى « تور » بعضة حكومية عهد اليها بتنسيق الجهود الدفاعية في المناطق . فألفت البعثة الجو متلبداً بالغيوم . فالتاس غير راضين عن اغفال الحكومة الدفاع عن البلاد . والقوات النظامية متبرمة بضوولة العناد الذي ترك لها لانت الحكومة عززت الدفاع عن باريس على حساب سائر المدن الفرنسية .

وفي التاسع من تشرين الاول نقل منطاد الوزير « غامبتا » من العاصمة الى مدينة « تور » بحية فوق العادة ، فسلم فور وصوله مقدرات وزارتي الحربية والداخلية وبسط منهاجه في نداء وطني دعا فيه المواطنين الى الاتحاد وتكريس الجهود للحرب . ووضع « غامبتا » نصب عينيه تجهيز الحاميات بالاسلحة وتنظيم الصناعة الحربية ، ولكنه لم يجد العدد الكافي من الموظفين وارباب الاختصاص فقد استأثرت باريس بتسعين بالمئة من رجال الادارة والقادة العسكريين . وعلى الرغم من ذلك عآت وزارة الحربية وجهزت في غضون اربعة اشهر ستمئة الف جندي بين فارس وراجل . وتمكن فرع المدفعية خلال المدة نفسها من مير الجيش بالف واربعمئة قطعة من مختلف العيارات .

وعالج « غامبتا » مشكلة الملاكات بثلاثة حلول :

١ - مضاعفة عدد الجنود في السرية الواحدة لان عدد الرؤساء (كابتن) لم يكن كافياً ، ٢ - وقف العمل بقوانين الترقية ليتسنى للحكومة ان تضع المتقدمين (قومندان) على رأس الكراديس ، والترعاء (ليونتان كولونيل) على رأس الالوية ، وآخري الالوية على رأس الفرق والفيالق ، ٣ - تنظيم الجيش المياعد ، وقد قضى هذا التنظيم بان يتولى كل فوج من المتطوعة انتخاب قائده .

واهتم « غامبتا » بتوحيد القيادة في المناطق ووفق الى قائد لامع هو الجنرال « شانزي » فاستطاعت الجيوش الفرنسية المنهكة ان تقاوم العدو اربعة اشهر وبضعة عشر يوماً . واعتوف « مولنكه » في مذكراته بان اركان الحرب الالمانية دلت على قصر نظر عندما استقطت من حسابها حيوية الشعب الفرنسي ووطنيته : « خيل الينا ان الحرب انتهت بعد « سيدان » و « متر »

ولكن القوات الفرنسية غير النظامية اوغمتنا على القتال شحة اشهر واجبعت الكثير من خططنا . »

ويعتقد الكولونيل « ريفول » ان جيش الامبراطورية الثالثة المرئجل كان ، رغم عيوبه الكثيرة ، قادراً على احراز النصر لو قبض له قيادة اكفاء ومواصفات منظمة واسلحة موازية للأسلحة الالمانية . يضاف الى هذا جبل أركان الحرب وتقاعس المؤخرة عن سد حاجات الجيش وانعدام اللاحمة بين القطعات المختلفة .

٢ - السلم المسلح

حرصت الحكومات التي تعاقبت في فرنسا بين ١٨٧٢ و ١٩١٣ ، على تسمية الجيش العامل على الرغم من تناقص عدد المواليد . كان عدد القوات العاملة سنة ١٨٧٥ ، ٤٤٠ الف رجل فبلغ سنة ١٨٨٢ نصف مليون . وفقر سنة ١٨٨٩ الى ستمئة الف بفضل القانون الذي جعل مدة الخدمة ثلاث سنوات . وحافظ على هذا المستوى حتى سنة ١٩٠١ فبدأ يتناقص . وعبط في اواخر سنة ١٩٠٤ الى نصف مليون ، لان الحكومة خفضت سنوات الخدمة فجعلتها اثنتين بدلا من ثلاث . ومنذ العام ١٩١٠ اخذ قادة الرأي يتجهون نحو الخدمة الطويلة الامد بعد ان سمعوا بحللاء قرقعة السلاح عبر الرين . وفي العام ١٩١٣ اخضعت الطبقات لخدمة مدتها ثلاث سنوات ، فارتفع عدد الجيش العامل الى ٨٦٩ الف رجل ، يعززه في الحرب ثمان وعشرون طبقة من قوات الاحتياط .

ولم تقصر حكومات الجمهورية الثالثة اهتمامها بالجيش العامل على زيادة عدد المجندين ، بل حرصت على رفع مستوى الجندي الفرنسي ، اي انها عتبت بالكيفية والنوع في وقت معاً .

اكتشفت حكومة ١٨٧٢ أهمية النوع على ضوء الحرب البعيدة . وقد جاء قانون ١٨٧٢ نتيجة فوز انصار الجيش المحترف او جيش النخبة الذين طالبوا في المجلس الوطني بتقديم الجودة او النوع على العدد . غير ان القانون المذكور ابقى على نظام « الامة المسلحة » لان النواب العسكريين اصرروا على المساواة في التكاليف العسكرية .

وقد وفق القانون بين التزعتين بأن فرض الخدمة الجبرية على الفرنسيين المذكور وعلى البدل والاستثناء فاضى بهذا انصار العدد او نظام « الامة المسلحة » . اما انصار الجودة او الجيش المحترف فقد ارضاهم بأن اخضع للخدمة الطويلة الامد (خمس سنوات) عدداً معيناً من المعايين . اما الباقون فينطوعون لمدة ستة اشهر ويتألف منهم الاحتياط العام .

بدا هذا التمييز موقفاً للوهلة الاولى . ولكن العيوب التي خفيت على مجلس ١٨٧٢ اتضحت للمجلس الذي تلاه . فقد لاحظ ممثلو الامة ان المساواة في التكاليف العسكرية لا وجود لها الا بالاسم مادام جنود الكردوس الواحد يخدمون آجالاً متفاوتة ، وان جيشاً يتكون نصف قطعاته متعلماً ومدرباً اكمل تدريب والنصف الاخر ملأ بفن القتال المياماً سطحياً لا يمكن ان تشد بعضه الى البعض الآخر رفاقة السلاح واللحمة التي لا ندعة عنها في جيش نظامي .

وقد اقترح فريق من النواب في العام ١٨٧٦ جعل مدة الخدمة ثلاث سنوات والغاء التطوع والاستثناء ، واقترح فريق آخر جعل المدة سنتين للمشاة وخمساً للخيلة ، وانتهت الاقتراحات بين ١٨٧٧ و ١٨٨١ دون ان يعتد المجلس واحداً منها . وفي العام ١٨٨٥ وافق النواب على قانون السنوات الثلاث ولكن الشيوخ ردوه . فطرح على بساط البحث مجدداً بعد اربع

سنوات (١٨٨٩) وكانت حجة انصار المشروع انه يؤمن المساواة في التكاليف العسكرية ، فاقوته اكثرية المجلسين «لانه يتيح تنشئة الامة عسكرياً» . (من خطاب النائب فريبسنه في المجلس) .

يبدو ان الاحتفاظ بالمجندين مدة ثلاث سنوات عبء ينوء به كاهل الحزينة ، فعادت الدولة الى نظام الاستثناء فاعفت رب العيلة التي لا ميل لها سواء واكبر الايتام سنّاً ووحيد الارمل . وجعلت مدة الخدمة سنة واحدة لاصحاب المهن الحرة الذين لا يجوز انفكاكهم عن عملهم مدة طويلة كالاطباء مثلاً .

ولم يطل الامر بالرأي العام حتى عتب يطالب بتقصير مدة الخدمة ، وتبنى كثير من النواب والشيوخ هذه الفكرة لان قانون ١٨٨٩ اضر بالبلاد اقتصادياً وعسكرياً . ففي الحقل الاقتصادي ابعد الفلاحين والصناع عن ميادين نشاطهم مدة طويلة ، فلما انتهت خدمتهم لم يعد كثير منهم الى ارضه وموطنه ، فثأر الجهاز الاقتصادي بهذا الامراض الى حد كبير . وادى اغفاء اصحاب المهن الحرة من ثلثي المدة الى اقبال الشبان عليها ، فافقرت البيوت التجارية والمعامل .

وفي الحقل العسكري ادت كثرة الاستثناءات الى انعدام التضامن بين الخاضعين لقانون الثلاث السنوات وبين المجندين لسنة واحدة فكان هؤلاء في نظر اولئك فئة مدللة على حسابهم ، فطبعي والحالة هذه ان تسوء العلاقات بين الفئتين . يضاف الى هذا ان الجيش ضم جنوداً درب فريقين منهم في ثلاث سنوات التدريب الكافي وجاءت تنشئة فريق آخر غير مستوفية الشروط .

ظل قانون الثلاث السنوات معمولاً به حتى ربيع ١٩٠٥ فخفضت المدة سنة واحدة والتقي الاستثناء (قانون ٢١ آذار ١٩٠٥) . وامن القانون الجديد المساواة في التكاليف العسكرية واضعاً مدرسة الامة ، وانفى مخدور اقرار الريف والمصانع ، فزادت المحاصيل الزراعية والمنتجات الصناعية

ما يقرب من الضعفين .

فرض قانون ١٩٠٥ الخدمة لمدة سنتين ، جاعلاً قوام الجيش الدائم ربع مليون رجل . اما الاحباط فقد جعلت مدة خدمته سنة واحدة . وهكذا فازت نظرية الامة المسلحة كما فازت نظرية الجيش المخزف او جيش النخبة . على ان اغراق المانيا في الحشد والتسلح حمل الفرعبيين على السعي الى زيادة قوات السلم دون ان تؤدي هذه الزيادة الى الماس بالبادي . التي يقوم عليها القانون الجديد . وبعد اخذ ورد طويلين وافق ممثلو الامة في آب ١٩١٣ على العودة الى خدمة الثلاث سنوات . اما الاستثناء فقد ظل لانغياً . تنظيم الملاكات . — تعاضد دور الضباط وضباط الصف على الاخص في الجيوش الحديثة تبعاً لاتساع نطاق المعارك وتشتت القطعات في القتال . فقد صار على ضابط الصف ان يقود الخيرة العاملة تحت امرته بعزل عن سائر قطعات الجيش .

ولم يكن النظام المتبع في المانيا ممكناً تطبيقه في فرنسا . كان ضباط الصف في الجيش البروسي يؤلفون فليلاً محترفاً ، تخرج افرادهم من مدارس خاصة تعهدت تنشئهم عسكرياً منذ نعومة اظفارهم . وكان الالتحاق بهذه المدارس وفقاً على ابناء اسر معينة ، فلم يكن معقولا والحالة هذه ان تهم فرنسا الديمقراطية هذا النوع من الابرار .

وافق ممثلو الامة بين ١٨٧٢ و ١٨٧٨ على سلسلة قوانين ترمي الى زيادة عدد ضباط الصف : مكافأة نقدية لمن يجتهد نظريته ، مرتب مضاعف ، مرتب تقاعدي ، الترقية الى رتبة معاون الخ . . . ولكن ضباط الصف الذين يجددوا عقودهم لم يرب عدددهم على ثمانية آلاف من اصل خمسة وثلاثين ألفاً . حدث هذا في الوقت الذي كان معمولاً بقانون خدمة

السنوات الخمس . فلما طرح قانون السنوات الثلاث خشي كثير من النواب والشيوخ ان يستمر تناقص عدد ضباط الصف رغم تقصير امد الخدمة ، فاجسوا بالاكثار من المقربات . ولكن الميزات التي كفلتها قوانين ١٨٨٩ و ١٨٩٣ و ١٨٩٧ للذين يجددون عقود التطوع لم تأت بالنتيجة المنشودة ، فظل ضباط الصف دون العدد المطلوب .

وفي العام ١٩٠٥ كان عددهم في جيش السلم ٢٢ الفاً من اصل ٤١ الفاً ، فجاء قانون الخدمة القصيرة الامد (ستان) فحل المشكلة الى حد ما لان خدمة اربع سنوات متوالية ليست بالعبء الثقيل يشرب منه مواطن تكفل له القوانين ميزات لا بأس بها .

وبعد العودة الى قانون الثلاث السنوات (١٩١٣) لم يطرأ تبدل على نسبة المتطوعين لان حمى الوطنية ألحبت الصدور . وعند نشوب الحرب سنة ١٩١٤ كان لفرنسا اربعون الف ضابط مقابل مئة وعشرة آلاف في الجيش الالماني .

الضباط . - بعد الحرب السبعينية عملت حكومة الجمهورية على تشجيع الانساب الى المدارس العسكرية بائثار الضباط المتخرجين منها على زملائهم الذين رفقوا في الحرب مكافأة لهم على اعمال معينة . وفي العام ١٨٨٢ انشئت ثلاث مدارس جديدة في « سان ميكسان » و « سومور » و « فرساي » الى جانب « سان سجر » و « بوليتكنيك » .

وفي اقل من عشر سنين تخرج من المدارس العسكرية ثلاثون الف ضابط . غير ان الاقبال على الرتب العسكرية من طريق المدارس اخذ يخف شيئاً فشيئاً لان القوانين التي صدرت في اواخر القرن التاسع عشر قيدت الترقية من رتبة الى اخرى بقيود ثقيلة ، منها ان الملازم الاول يظل في رتبته اثني عشرة سنة ،

والرئيس بسلخ ست عشرة سنة في السعي الى رتبة مقدم . يضاف الى هذا العامل ان معظم الذين انتسبوا الى المدارس العسكرية لتخرجوا منها ضباطا محترفين يخدمون وطنهم في ميادين القتال ، وينشدون المغامرة ولو بين اشواق الموت ، وجدوا انفسهم في السلم مسوقين الى اداء مهام تتبرم بها خصائيرهم كابعاد الرهائن ورفع الاضطرابات الخ . . . وزادهم زهداً في السلك قانون ١٣ آذار ١٨٧٥ المكمل بقانوني ١٩٠٣ و ١٩٠٩ ، الذي نظم ملاكات ضباط الاحتياط ، وحث دعوة هؤلاء الى ممارسة القيادة في الحرب ، فقد ضباط السلك بهذا ميزة التفرد بالقيادة . وفي اقل من عشرين سنة تناقص عدد المتسبين الى « سان سير » من ٣٤٠٠ الى ٨٠٠ ، واضطرت الحكومة سنة ١٩١٢ لتولية خمسة معاون (ادجودان) الى رتبة ملازم ثان لسد النقص الناجم عن الزهد في المدارس العسكرية .

التنظيم الاقليمي والقيادة . — عثت حكومات الجمهورية الثالثة بالتنظيم الاقليمي عنايتها بالملاكات . فقررت منذ ١٨٧٣ جعل فرنسا ثلثي عشرة منطقة عسكرية في كل منها يعسكر فيلق كامل العدد ، له قيادته الخاصة برؤوسه واركان حربه . وقد انشئ في مطلع القرن العشرين منطقة اضافية في الجزائر وفيلقان لتغطية الحدود في « اللورين » و « الفوج » . اما حاكمينا باريس وليون العسكريتان فقد ظلتا خارج هذا التنظيم الاقليمي .

اقر بمثلو الامة التنظيم الاقليمي في ٢٤ غوز ١٨٧٣ . وفازت في اثناء المناقشات ، النظرية القائلة بابقاء الفيلق في منطقة معينة بالذات على النظرية القائلة باجراء حركة تبادل بين الفيلقات مرة كل سنتين . ولكن الفوائد العسكرية تقدمت محل يوفق بين النظريتين ، فاقترحت توزيع المجندين الجدد على المناطق كافة ، اما جنود الاحتياط فيظلون لاصقين بالفيلق المعسكر في

المنطقة التي ينتمون اليها .

وفي العام ١٨٧٨ تخلت وزارة الحربية عن هذا النظام المختلط « لانه يبعد جنود الاحتياط عن الرؤساء الذين تولوا تنشئتهم » . (الكولونيل ريفول : تاريخ الجيش الفرنسي) .

وفازت في الندوة النظرية القائلة بوضع المنطقة العسكرية والفيلق تحت امرة قائد واحد على النظرية التي ارنأت جعل قيادة الفيلق مستقلة عن قيادة المنطقة العسكرية . واستثنى من التوحيد الإدارات الخاصة المنوط بها الاهتمام بحاجيات الدفاع الوطني ، فكان رؤسائها يعودون في شؤونهم الى وزارة الحربية مباشرة ، ولكنهم اخضعوا مسلكيا لمراقبة قيادة الفيلق .

كان قائد الفيلق يلقب بـ « القائد العام » ولكن وظيفته كانت موقوتة ومتنقلة حقة . فإذا ترك القيادة جاز للرؤساء ان يعهدوا اليه بقيادة فرقة ، وعي دون الفيلق . الا ان قانون ١٨٩٥ الذي هذا الجواز وابقى لقادة الفيلق رتبهم بعد تركهم الوظيفة ليحل سواهم محلهم .

ولم تفكر حكومات الجمهورية ، قبل نشوب الحرب العالمية ١٩١٤ - ١٩١٨ ، بإنشاء رتبة قائد جيش . لهذا ظلت قيادة الفيلق ارفع رتبة عسكرية في جيش السلم . ولكن رؤي منذ ١٨٨٧ ضرورة انشاء قيادة عليا تشرف على تنسيق الجهود الزامية الى اعداد العدة للحرب . وكان يعاون وزير الحربية في هذه اركان حرب خاصة اطلق عليها اسم « اركان حرب الوزارة » فاضحت منذ العام ١٨٨٨ « هيئة اركان حرب الجيش » وجعل رئيسها مسؤولا مباشرة تجاه الوزير . وفي بحر العام نفسه بعث مجلس الحرب الاعلى وهو المجلس الذي انشئ ١٨٧٢ ، ولكنه لم يأت عملاً نافعا ، وانقطع عن العمل منذ ١٨٧٤ . فبعثه الوزير « فريسييه » سنة ١٨٨٨ وحتم على الاعضاء

عقد اجتماعات دورية برئاسة وزير الحربية ، او برئاسة نائبه الذي يعين لمدة سنة بين اعضاء المجلس ، ويكون في الوقت نفسه قائد المجموعة الرئيسية من مجموعات القوى المعبأة اي القائد الاعلى للجيش الفرنسية .

اما سائر اعضاء المجلس ، فقد انتدب معظمهم لقيادة العمليات في حالة نشوب حرب ، ونبط بكل واحد منهم قيادة جيش بكامله . اما في السلم فتعهد اليهم وزارة الحربية بهام تكتيكية وبأخرى استراتيجية ، وبالإشراف على مناورات الحربي . وفي العام ١٨٩٩ اُلحق بكل قائد جيش هيئة اركان حرب خاصة .

بقي ان يقوم حد فاصل بين صلاحيات اركان حرب الجيش ، وهي الجهاز الاعداي ، وبين المجلس الاعلى وهو جهاز القيادة . وقد حاول قانون ١٩١١ ان يحدد هذه الصلاحيات . فطُغى ما كان منها عائداً الى نائب رئيس المجلس الاعلى على صلاحيات رئيس اركان حرب الجيش . وفي كانون الثاني ١٩١٢ اصبح « جوفر » نائباً لرئيس المجلس الاعلى ورئيساً لهيئة اركان الحرب العامة والقيمت رئاسة اركان حرب الجيش .

وما لبث هذا التنظيم ان آتى ثماره ، لان قانون ١٩١٢ اطلق يد رئيس هيئة الاركان العامة في تطوير الملاكات ، وتعيين الضباط الاكفاء في المناصب الرئيسية دون ان يكون للوزير حق التدخل . وقد انشئ لتفريع رؤساء الاركان « معهد الدراسات العسكرية العليا » فهو البلاد بجموعة طيبة من القادة التلامذة ، عاونوا « جوفر » في حمل العبء ابان الحرب العظمى الاولى . تنظم الوسائل . — نحتاج القيادة في استخدام القوى التي وضعت تحت امرتها الى دوائر تكون صلة الوصل بينها وبين القوى المذكورة ، وهيئة اركان الحرب هي اكثر هذه الدوائر انصافاً بالقيادة .

كان لثابوليون بوناپرت دوائر اركان الحرب حشد فيها ضباطاً لم ينشأوا تنشئة خاصة . وبعد عودة الملكية انشأ « غوفيون سان سير » وحدة خاصة اطلق عليها اسم « وحدة اركان الحرب » ولكنه جعل الالتحاق بها مقصوداً على فريق من الضباط دون الآخر . وابقى ضباط الاركان بعيدين عن الجيش . ظهرت عيوب هذا التنظيم في الحروب التي خاضت فرنسا غار معاركها خلال القرن التاسع عشر ، وكان أبرزها جعل ضباط اركان الحرب حاجات الجيش وعجزهم عن ممارسة القيادة الفعلية ، لانهم حشوا ادمتهم بالنظريات . وفي العام ١٨٧٧ فتحت « المدرسة العسكرية العليا » ابوابها لقبول الضباط الراغبين في الالتحاق بدوائر اركان الحرب ، بقطع النظر عن الاسلحة التي يشتمون اليها . وحم قانون ١٨٨٠ على كل ضابط من هؤلاء ممارسة القيادة مدة معينة خلال انتسابه الى المدرسة العسكرية العليا ليتوسر بهذا الفن ويتعرف الى حاجات الجيش .

بعد ان تم للقيادة تنظيم نفسها ، انصرفت الى اكمال ما بدأه اولى حكامات الجمهورية الثالثة في حقل تنظيم دوائر الارتباط ووسائل النقل . فقد اكتشفت « حكومة الدفاع الوطني » بعد غزوة ١٨٧١ ان بقاء البرق والسكك الحديدية مصالح مدنية بحتاً لا يؤمن حاجات الدفاع في الحرب ، وشرعت منذ ١٨٧٢ تسبها بطابع عسكري دون ان تلحقها بالجيش . ونص قانون ١٨٧٥ على جعل نسبة الموظفين العسكريين في البرق والسكك الحديدية اربعين بالمائة بين مجموع الموظفين ، على ان توضع هذه المصالح في الحرب تحت اشراف السلطات العسكرية .

وبين ١٨٩٠ و ١٩١٢ انشئت في الجيش كراديس خاصة اُلحقت بفرق الهندسة ودربت على العمل في ورش السكك الحديدية وفي انشاء مراكز

٢ - حرب الخنادق

معارك ١٩١٥ - قضت الخطة الاستراتيجية الخليفة ، بعد الانخفاق الذي منيت به المحاولات الفرنسية في مناطق الحدود ، بارغام العدو على القتال في الشرق دون ان يؤدي هذا التدبير الى تفصيل روسيا فوق ما تستطيع . وقد كان تدخل الروس في الوقت المناسب عاملاً حاسماً في انقاذ باريس وفي ما احرزته الحلفاء من نجاح في موقعة نهر « المازن » . وعملاً بالخطة الاستراتيجية الآتية الذكر ، انتقل الجيش الفرنسي الى الهجوم حالماً شرع الالمان ينقلون فيالتهم من الغرب الى الشرق لتواجه الزحف الروسي . وقد كان الغرض من الهجوم الفرنسي تحييد الكبر عدد ممكن من الفرق المعادية لئلا يهبط العبء كله على الخليفة الشرقية (روسيا) .

شن الفرنسيون هجماتهم الاولى في اواخر ١٩١٤ واول ١٩١٥ . وكان مسرح العمليات الرئيسي سهول « شامبانيا » وحوض نهر « الاين » . ولكن ضعف الوسائل الهجومية جعل تضييعات الفرنسيين عقبة . وفي شباط وآذار لجأ الفريقان المتحاربان الى الخنادق وحلت الهجمات الموضعية محل الهجمات الواسعة .

وفي ٢٢ نيسان ١٩١٥ استعمل الالمان الغازات السامة للمرة الاولى على جبهة نهر « الاين » فتوجت الحلفاء بهذا السلاح الذي احدث نقصاً عظيماً في صفوفهم . وفي ايار استأنف الفرنسيون النشاط الهجومي في قطاع « فيسي » واشترك الجنرال « بيتان » على هذه العملية ، فتراجع العدو امام حملة الفرسان المراكشين ولكنه استطاع سد الثغرة قبل ان يوسعها المهاجمون . وقام جيش « بيتان » في اواخر الصيف بمحاولة مماثلة في سهول « شامبانيا » واستطاع ان ينزع من العدو نقاطاً ارتكازية مهمة ولكنه لم ينجح في اختراق الجبهة الالمانية .

الجيش الفرنسي

وقد تمخلل ١٩١٥ عمليات ذات طابع استراتيجي خارج اوربا الغربية ،
 منها عملية بحرية ضد المضائق التركية ويزول حملة فرنسية بريطانية على الساحل
 الغربي لشبه جزيرة «غاليلوي» . وكان الغرض من هذه الحملة تخفيف الضغط
 عن الروس باجذاب بضع فرق المانية الى البلقان . ووضع دخول بلغاريا
 الحرب الجيش الصربي بين نارين ، وجعل اليونان في مركز دقيق . وكانت الحملة
 الخليفة قد جلت عن «غاليلوي» فوجهت الى اليونان ، حيث اتخذت من
 «سالونيك» معسكراً حصيناً وقاعدة للعمليات في شبه الجزيرة البلقانية .

التكتيك والاعتدة . — ادرك «جوفر» على ضوء مواقع ١٩١٥ اسباب
 اخفاق محاولاته الهجومية . ادرك ان اختراق الجبهة المعادية لا يمكن ان يكون
 نتيجة هجوم مرتجل ، فالمشاة لا يستطيعون احتلال ارض لم تضرها المدفعية
 بغية القضاء على اسلحة العدو وعلى الحواجز التي اقامها لفرقة زحف المهاجمين .
 وادرك القائد الفرنسي في الوقت نفسه ان الموجات الهجومية المتعاقبة لا
 تأتي بتدريج اذا كان المدافع مالكا رباطة جأشه وهو قابض في خندق او معصم
 في حصن . اما اذا مهد لهذا النوع من الهجوم بنا يكفل اشاعة الفوضى والذعر
 في صفوف العدو ، كالتضرب المدفعي الكثيف ، فان مهمة المشاة تسهل نسبياً .

ولم يغفل «جوفر» الناحية المادية فكرر مناشداته بالاكثار من المدافع
 والقنابل والرماتات (Grenades) والمدافع الرشاشة . وقد تجمع لديه في اول
 كانون الثاني ١٩١٦ ثلاثة آلاف ومئتا مدفع تراوح عيارها بين ٩٠ و ٢٧٠ ،
 وارفع عدد المدافع الرشاشة من خمسة آلاف الى احد عشر ألفاً .

معارك ١٩١٦ . — قرر الحلفاء سنة ١٩١٦ شن هجمات واسعة النطاق على
 مجمل الجبهة ، على ان يكون الغرض منها افساد استعدادات العدو وارغامه على
 استخدام الاحتياط . وقد تمخلل الاشهر الاولى من السنة المذكورة معارك خاربة

وطولية الامد اهمها معركة « فردون » التي اجمع النقاد العسكريون الالمان على انها كانت نقطة التحول في الحرب .

في ٢١ شباط تحرك المشاة الالمان من خنادقهم شمال « فردون » بدعمهم الف مدفع . وبعد ثلاثة ايام من الصراع العنيف شن العدو طريقه مهدداً المراكز الفرنسية الحيوية . فبادر « جوفر » الى اتخاذ التدابير الفينة بإتخاذ الموقف وعهد الى القائدين « بيتان » و « كاستلنو » مهمة الدفاع عن « فردون » ووقف العدو على الضفة اليمنى لنهر « الموز » .

وقد استمرت معركة « فردون » بضعة اشهر استفدت خلالها ما كانت للجيش الفرنسي من احتياط في الرجال والعتاد ، وكلفت في الوقت نفسه الجيش الالمانى خسائر باهظة . ويقول الكولونيل « ريفول » في صدد « فردون » ان وطنية الفرنسيين تجلت باروع مظاهرها خلال المعركة . فقد ساهم في احباط المحاولات الالمانية جنود خط النار وحاميات القلاع وسرايا النقل وفرق الهندسة . كما ساهم في المهمة نفسها العمال الذين تطوعوا لبناء الحصون الاضافية وترميم الحصون المتهمة وحفر الخنادق .

استطاع العدو ان ينتقل الى الضفة « الموز » اليسرى ولكن محاولاته ضد حصن « مورهوم » اصطدمت بمقاومة عنيدة واستطاعت حاميته الثبات حتى شهر ايار . وسقط حصن « فو » في السابع من حزيران . وقبل انصرام الشهر المذكور سقط حصن « دومون » و « فلوري » ولكن الالمان صدوا امام حصن « سوفيل » ، حيث بذلوا آخر مجهود هجومي كبير . ثم اضطرهم نفاذ الاحتياط للوقوف . وفي هذه الاثناء حل الجنرال « نيفل » محل « بيتان » في « فردون » وقررت القيادة العامة اعتماد خطة هجومية في قطاع نهر « السوم » على ان تلام قوات « نيفل » موقف الدفاع الهجومي

على نهر « الموز » بانتظار الظروف المواتية للهجوم .

بدأ هجوم « السوم » في أوائل تموز وساهمت فيه القوات البريطانية وفرنسي « فوش » الاشراف على سير العمليات وتنظيم التعاون بين الفرنسيين والبريطانيين . وكان شديد الحرص على إزالة العقبات والمخاطر الفائقة في طريق المشاة قبل قيام هؤلاء بمحاولاتهم الاختراقية . وقد تولت المدفعية العمليات التمهيدية يعاونها الطيران كمعصر استطلاعي شين . ونجح الهجوم نجاحاً نسبياً ولكن التخرابات التي سببها القصف المدفعي حالت دون توغل المشاة توغلاً عميقاً في الجهاز المعادي ، لأن الاخبايد التي حفرتها القذائف عاثت عمليات النقل وحركات المدفعية الثقيلة ذات العجلات ، وجات رداءة الاحوال الجوية في الحريف تزيد في مصاعب النقل والتموين .

وافادت جبهة « فردونت » من هجوم « السوم » لأن الضغط الحليف هنا ارغم العدو على استخدام فرقته الاحتياطية في مواجهة الخطر الجديد وكانت هذه الفرق معدة في الاصل للحلول محل العناصر المتعبة في جبهة « فردونت » . وفي ٢٤ تشرين الاول انتقل الفرنسيون الى الهجوم واستردوا حصن « دومون » وبعد اسبوع طردوا العدو من حصن « فو » . ولم تنصرم سنة ١٩١٦ حتى كالت الالمان قد خسروا معركة « فردون » نهائياً . وقد شجعت هذه النتيجة المارشال « جوزف » على اعداد العدة لهجوم عام يبدأ في اوائل ١٩١٧ ولكن السياسة قضت بابعاده عن القيادة الفعلية وبتمعين الجنرال « نيفل » قائداً عاماً للجيش القطاعات الشمالية الشرقية . اما « جوزف » فقصده حي قائداً عاماً للجيش الفرنسية ومستشاراً فنياً لوزارة الحربية ورئيساً لمجلس الدفاع ، فلم تجتمع هذه الالقاب وما لبث أن انسحب . قرر « نيفل » شن هجوم عام دون انت يعني باعداد العدة اللازمة له .

فقد خيل اليه ، وهو يرى الى انهيار الجهاز الألماني في « فردون » ، ان الوقت حان لتسديد الضربة القاصمة الى العدو . بدأ الهجوم في الاسبوع الاول من نيسان بداية حسنة واستطاع البريطانيون احتلال نقاط استراتيجية هامة . وفي الاسبوع الثاني تقدم الفرنسيون بعقب سبعة كيلومترات واخذوا ستة عشر ألف أسير ومئة وعشرون مدفعاً . الا ان الجهود الحثيثة لم تنل من بلوغ الاهداف التي حددتها القيادة لان الجهاز الألماني كان عميقاً ومرناً بحيث لا يؤدي اختراقه في نقطة الى انهياره وزوال قيمته كخطط دفاعي .

ومن العوامل التي سببت اخفاق هجوم « نيفل » اغتيال القائد شأن الطفس في مرحلة من الحرب اضحي فيها الطيران العنصر الرئيسي في الاستطلاع . فقد بدأ الهجوم في احوال جوية رديئة حالت دون قيام الطائرات بهبتها فكانت المدفعية تقذف بقنابلها دون ما قبّر ، فذهب معظم مجهودها هباء .

وفي الخامس عشر من ايار ١٩١٧ حل « بيتان » محل « نيفل » ومعه « فوش » رئيساً لاركان الحرب العامة . فاعتد اولها خطة الهجمات ذات الاهداف المحددة على ان تمهد لها المدفعية وتدعمها الى النهاية . ووضع نصب عينيه الاقتصاد بالقوى وبما يتم حشد الوسائل التي تسبغ الحلفاء من هجوم حاسم .

وكانت تنتظر « بيتان » مهمة جد دقيقة ، وهي القضاء على الفوضى والتمرد اللذين شاعا في بعض القطعات على اثر اخفاق هجوم « نيفل » . وقد لجأ القائد الجديد باذى ذي بدء الى التدابير الواجزة ، ثم اجتهد في تحري اسباب التدمير وعمل على ازالتها .

واهتم « بيتان » بالدبابات ، هذا السلاح الجديد الذي اعطى نتائج مشجعة

في موقعة « السوم » ، فطلب من وزارة الحربية الاكثار من استنصاع الدبابات الخفيفة وايدته « فوش » في هذا . وعينت الحكومة بتعريض من القيادة بالاكثار من المدافع البعيدة المدى ومن فذائها التي ارتفع عند المنزوع منها في اليوم من ١٤ ألفاً الى ٢٥٠ ألفاً . ويقول الكولونيل « ريفول » في « تاريخ الجيش الفرنسي » ان الفرق كانت مجهزة عند نشوب الحرب بتسع بطاريات عيار ٧٥ ، فعزيزت بعد معركة « فردون » بثلاث بطاريات عيار ١٥٥ . وانشئ في العام ١٩١٧ احتياط المدفعية وكان مؤلفاً من اثني عشر كردوساً من المدفعية الثقيلة تسير على الخطوط الحديدية او تجرها المركبات ومن ٢١ كردوساً عادياً تجرها المركبات و ٣٠ كردوساً تجرها الجياد و ١٥ كردوساً من مدفعية الخنادق وثلاث عشرة بطارية بحرية و ٣٧ كردوساً من المدفعية عيار ٧٥ . وقد اتاح توفر المدفعية للقيادة ان تتوسع في استعمالها . فحشدت في « الفلاندر » ٢٤٠ قطعة ميدان و ٣٧٣ مدفعاً ثقيلًا على جبهة لا تزيد على اربعة كيلومترات . وفي موقعة « ماليزون » حشدت على جبهة عرضها عشرة كيلومترات ٦٢٤ مدفع ميدان و ٩٨٦ مدفعاً ثقيلًا . واحتلت السلطات في الوقت نفسه بتجسين طرق الاطلاق مستعينة بالقن الطوبوغرافي وبالطيران كعصر استطلاعي ممتاز .

وطراً نجح ملوس على سلاح المشاة خلال ١٩١٧ . كان الكردوسون مجهزة بسة مدافع رشاشة عند نشوب الحرب ، فاصبح لديه منها الضعفان في العام ١٩١٦ واربعة اضعاف في العام الذي تلاه . وظهرت في الوقت نفسه البندقية الرشاشة . وهي سلاح خفيف يمكن الجندي نقله كما ينقل البندقية وتطلق في الدقيقة ٨٠ - ١٠٠ طلقة . وقد احدث ظهور هذا السلاح انقلاباً في السرية التي جيزت بثاني بندق رشاشة . واتاحت قوة النيران (عشرة

أضعاف البندقية العادية) تقيض عدد جنود السرية الواحدة من ٢٥٠ رجلاً إلى ١٧٥ .

وظهر في أواخر ١٩١٧ المدفع عيار ٣٧ فكمّل به سلاح الفوج واستخدم في أخراس الرشاشات الموهنة .

وذكر الكاتب الفرنسي « هنري يسدو » في مذكراته عن الحرب العظمى أن الفوج في الجيش الفرنسي كان سنة ١٩١٤ يضم ألف مقاتل مجهزين بالبنادق ذات الحراب وبالرمات اليدوية . وكانت الفوج تتألف من أربع سرايا . وفي أواخر ١٩١٧ ضم الفوج ٧٠٠ رجل يؤلفون سرية رشاشات وثلاث سرايا من الرماة بالبندقية . أما الكردوس فقد ألحق به وحدات من سلاح الإشارات وجهاز مدفعية خفيفة .

وجاءت الدبابة تدعم عمل المدفعية . ويقول الجنرال « ويفان » أن الجيش الفرنسي مدين باختراع هذا السلاح العظيم للجنرال « إيتان » الذي عرض على « جوفر » أول تضاميه في أواخر ١٩١٥ . فاعجب المارشال بالاختراع واوعز إلى مصانع « شنيذر » و« سان شاتون » بصنع ثمانية دبابة . وقبل أن يتم صنعها أزيل الإنكليز أولى دباباتهم إلى الساحة في معركة « السوم » فاحترقت نجاحاً لا بأس به . وعند نشوب معركة « الأين » سنة ١٩١٧ ظهرت الدبابات الفرنسية وكان عددها ١٦٠ ، فهايت بلاء حسناً ، ولكن الجنرال « إيتان » لاحظ أنها بطيئة وغير مرنة وسريعة العطب ، فوضع تصميم الدبابة الخفيفة من طراز « رينسو » التي مثلت في معارك ١٩١٨ دوراً رئيسياً .

الطيران . - كان دور الطيران سنة ١٩١٤ مقصوراً على عمليات الاستطلاع وأرشاد المدفعية إلى الأهداف . وكان كل فلبق مجهزاً بسرب

من الطائرات وبمطاد واحد . وفي العام ١٩١٥ ظهر اول فوج من القاذفات وساهم في العمليات الهجومية بكامل عمل المدفعية . ثم ظهرت طائرات الطراد فيض بها حماية القاذفات الخليفة ومقاتلة الطائرات المعادية .

وما انتصف العام ١٩١٥ حتى كان سلاح الطيران في الجيش الفرنسي يضم ١٤٤٦ طائرة ، وشجع نجاحه في مواكبة المشاة ودعم نشاط المدفعية وفي الاغارة على الاهداف المعادية في المؤخرة ، شجع القيادة على انشاء قيادة جوية نيط بها الاشراف على انتاج هذا السلاح . وقد بدأت فرنسا معارك ١٩١٨ بـ ٢٧٥٠ طائرة منها ١٤٠٠ للاستطلاع ، و ٢٠٠ قاذفة ، و ٩٣٠ مقاتلة .

وعينت السلطات العسكرية الفرنسية بوحدات الهندسة ووحدات النقل ، معتبرة بالمصاعب التي واجهت المدافعين عن « فردرن » . وقد اتاحت هذه التحسينات للفرنسيين وحلفائهم ان يواكبوا حوادث ١٩١٨ بقابو عامة بالايان بالرغم من انهيار الجيش الروسي ومن اخفاق معظم الخطط الخليفة في النمسا والبلقان . وجاء دخول امريكا الحرب ، يعوض خسارة الخليفة الشرقية ، وامن تسلم كلنصر زمام فرنسا الاستقرار الحكومي المنشود .

٣ - معركة فرنسا

في آذار ١٩١٨ كان للالمان في فرنسا مئة واثنان وتسعون فرقة بما فيها فرق الاحتياط وطبقة ١٩١٩ . وكان للحلفاء تسع وتسعون فرقة فرنسية وست وخمسون بريطانية واثنين عشرة فرقة بلجيكية وفرقناات بورتغاليين وست فرق اميركية قيد التدريب . ولم تكن فرنسا قد استخدمت احتياطها الاستراتيجي لان طبيعة العمليات خلال السنوات السابقة لم تلجئها الى التوسع في استخدام مواردها في الرجال والاعدة .

وأدرجت القيادة الألمانية أن التفوق العددي الذي تملكه لندو طابع موقوت ، لأن الولايات المتحدة نشطت لتعبئة الطبقات وتدريبها ولأن فرنسا لم تعين طبقة ١٩١٩ ، فقررت الاستفادة من هذا التفوق بشن هجوم بين نهري « اسكارب » و « الموز » الفرض منه اختراق الجبهة الخليفة بدق اسفين بين البريطانيين والفرنسيين ، ثم احتلال مولفي « المانش » وارغام الحلفاء على قبول الصلح الذي تقضيه بولن .

ولم تفت الحلفاء نبات الالمان فقرروا تلقي الدفعة المعادية ثم شن هجوم تعقبه عمليات اختراقية واسعة النطاق .

قيادة فوش . - في ٢١ آذار ١٩١٨ اندفعت ستون فرقة المانية نحو مراكز الجيشين الانكليزيين الثالث والخامس ، قصدها اوصيا وانكفا الآخر كاشفاً المصرة الفرنسية . وكاد العدو ينجح في دق اسفين كبير بين الجيشين المتحالفين لو لم يتدخل « فوش » في الوقت المناسب ويتخذ سلسلة تدابير جريئة ادت الى قلب الموقف رأساً على عقب .

القيت مقاليد الجيوش المتحالفة الى « فوش » مساء السادس والعشرين من آذار . وكان الموقف جد دقيق ، يتطلب بدهاء جريئة واعصاباً فولاذية . فوضع القائد العام نصب عينيه منع العدو من الفصل بين الانكليز والفرنسيين على أن يراقق الصعود كرات عتيقة ويثا بحين الوقت المناسب للانتقال الى الهجوم .

استطاع الفرنسيون والانكليز وقف الدفعة المانية بين نهري « السوم » و « الواز » . ولكن يكن الهجوم المعادي قد قصر عن بلوغ هدفه الاساسي فقد احرز نتائج استراتيجيه لا بأس بها ، إذ بلغت طلائفه نقاطاً لا تبعد عن « اميان » سوى اربعة عشر كيلومتراً وعن « ابفيل » خمسين كيلومتراً ،

وكانت هاتان المدينتان عقدي الاتصال بين الجيشين المتحالفين .

وفي التاسع من نيسان قام الالمان بمحاولة جديدة باتجاه موانئ ساحل « الفلاندر » واستطاعوا فتح فجوة في الصفوف البورتغالية والبريطانية . فسارع الاحباط الفرنسي الى سد الفجوة وانفق في هذا السيل مجروداً جباراً وكابد خسائر باعطة ، ولكن النقص الذي سببه معارك الفلاندر خلال شهر نيسان في صفوف الفرنسيين وحلفائهم ، مدته الولايات المتحدة الاميركية ، فوصل الى فرنسا نصف مليون جندي اميركي خلال شهري نوار وحزيران .

وفي اواخر ايار شن الالمان هجوماً كبيراً باتجاه نهر « المارن » فاحتلوا مدينة « ريس » واندفعوا غرباً شطر باريس فبلغوا الضفة المارن الشرقية بين « دورمان » و « شاتوبيري » وقطعوا الخط الحديدي المؤدي الى « ناني » فباتت باريس على سبعين كيلومتراً من طلائعهم . ولكن « فوش » ظل سيد اعصابه امام هذه المفاجأة فاعزز الى قوات القائدين « فابول » و « مانجان » المرابطة امام العاصمة بان تشن على العدو هجوماً مضاداً فانجح الهجوم في وقف الدفعة الالمانية الخطرة .

انتهى الى « فوش » في اوائل تموز ان القيادة الالمانية تتوي مهاجمة المراكز الفرنسية بين « شاتوبيري » و « الارغون » . فقرر ان تلزم قواته موقفاً دفاعياً في هذا القطاع ، على ان تنقل الى الهجوم المضاد ضد الثاني الالمان في غرب الجبهة . وقضت الخطة الدفاعية بنقل القوات الرئيسية الى اماكن لا تطلها نيران العدو ، اما الخط الامامي فتنتشر فيه عناصر الطليعة لتعمل على عرقلة الزحف الالمانى . وعهد « فوش » الى الجنرال « غورو » مهمة تنظيم الدفاع عن المراكز الرئيسية وتسبق عمل المدفعية التي دعت لتشغيل الدور الرئيسي في احباط المحاولة المعادية . اما الهجوم المضاد فقد عهد

به الى اربع وعشرين فرقة بقيادة الجنرال «مانجان» يعاونه الجنرال «ديفوت» .

بدأ الهجوم الالمانى صباح ١٥ تموز ١٩١٨ واستطاعت طلائع «لودندورف» ان تعبر «المارن» ولكنها انحرفت في التوغل ما وراء الضفة الغربية لانت مدفعية «غورو» اثبتت لها من مكانها وفتحت عليها نيراناً كثيفة . فعزل القائد الالمانى عن تهديد باريس من هذه الجهة وانتقل الى «الفلاندر» لتنظيم هجوماً جديداً . فسبقت الى العمل فرق «مانجان» و«ديفوت» وفتحت في الصفوف المعادية فجوة عرضها خمسون كيلومتراً بعق عشرة كيلومترات وغتت الوف الاسرى وعناداً وافرأ .

فقد «لودندورف» زمام المبادرة في معركة «الفلاندر» وعجز منذ ذلك عن استردادها ، لان «فوش» عرف ان يحتفظ بها لنفسه وان يستمر في موقفه الهجومى الى النهاية بالرغم من العقبات الطبيعية والمصطنعة التي قامت في طريق جيوشه . ذلك لان الوسائل التي وضعتها فرنسا وسائر الأمم المتحالفة في متناول القائد العام شجعت على المضي في خطته غير هباب ، فهو يملك من الدبابات والمدافع والطائرات اضعاف ما يملكه «لودندورف» ووضعت الولايات المتحدة تحت امرته سبعمائة وعشرين فرقة نواقة الى القتال . اما العدو فقد استنفد احتياطه ونال التعب من جهوده .

وهكذا استطاعت الجيوش المتحالفة بين ١٨ تموز والسابع من تشرين الثاني ان تتخطى الحواجز القائمة في طريقها وان توج بالجيوش الالمانية في مأزق لا تحسد عليه ، وتوغلها في النهاية على القاء السلاح .

وقد اجتمع القواد العسكريون على رد النصر الذي احرزه الحلفاء بعد اربع سنوات من النزال العنيف الى العوامل التالية :

١ - يخطط القائد «جوفر» بعد ان قام الالمان بعملتهم الاختراقية الناجمة على الحدود ونجاحه في ابقاء اللجة تشد الصفوف الفرنسية والحليفة بعضها الى البعض الآخر فاحيط بهذا خطة القيادة الالمانية الرامية الى شطر الحلفاء شطرين .

٢ - تنبه الحلفاء في الوقت المناسب الى اهمية توسيع نطاق العمليات لارغام العدو على توزيع قواه ، فكانت حملة البلقان وانضمام ايطاليا الى الحلف الثلاثي . وقد سبق هذا اسراع روسيا بنعنة قواتها وبهاجرة روسيا الشرقية بما اجل العدو الى تخفيف الضغط عن القرب لمواجهة الخطر المثل من الشرق .

٣ - تنبه الحلفاء الى اهمية التفوق في الرجال والعتاد . وقد تقاعدوا الاشباك والعدو في معارك حاسمة عندما كان التفوق له ، فما ان نجح لديهم العمد الكافي من الفرق والاسلحة الآلية الجديدة حتى تركوا التحفظ والحذر جانباً .

٤ - مثلت شخصية « فوش » دوراً رئيسياً في الهجوم الحاسم . كان هذا القائد من القائدين بالدفاع مرافقاً بالكرات الموضعية عندما تكون كفة العدو راجحة على ان يعتمد الحلفاء خطة الهجوم المضاد حيث ترجح كفتهم ، وقد قال بالهجوم والهجوم الى النهاية حالما توفر لديه العدد الكافي من الدبابات والطائرات والمدافع .

وقد صرح المارشال « لودندورف » بعد الهدنة بان الحرب لم يرتجى المارشال « فوش » انما ويحبها البداية لان الالمان فوجئوا بهذا السلاح الذي يدرج على سلاسل متجدداً الاسلاك الشائكة والمدفعية .

الفصل الثاني عشر

المورد الى السلم المسلح

١ - - دروس الحرب المظفر

ادرك الفرنسيون على ضوء معارك السنوات الاربع اهمية العتاد الحربي ولاسيما الاسلحة الآتية كالمطائرة والدبابات ، ولم تقم اهمية الاحتياط الاستراتيجي كعنصر اساسي في نزاع طويل الاعداء كثير التكاليف . وكان أبرز النتائج التي اسفر عنها تطور الاسلحة وتعاطف شأنها انخفاض نسبة الحاربيين خمسة وعشرين بالمئة لان انتاج الدبابات والمدافع والمطائرات اقتضى التوسع في تعبئة الالهي العاملة وارباب الاختصاص . وقد اخذ معظم هؤلاء من الجهة حيث اتاحت كثافة التبران للقيادة ان تخفض عدد الجنود في كل سرية مخففاً محسوساً .

وتعلم الفرنسيون ، على حسابهم ، ان الدفاع عن بلادهم يجب ان يبدأ على الحدود لان توغل المحتاج يحرم فرنسا من مناطق غنية بالزراعة والصناعة . وهذا ما اعمى على المسؤولين بعد هدنة ١٩١٨ مشروعات دفاعية الغرض منها تأمين غطاء متين يتألف من جهاز متناكس وتنعصم فيه قوات مخففة . قانون التعبئة لسنة ١٩٢٣ - خرجت فرنسا من الحرب منهوكة القوى مثقلة بالديون . فكان طبعياً ان يعنى المسؤولين بتخفيف الاعباء العسكرية

والمالية ، بشجعهم زوال الخطر الألماني ووجود قوات فرنسية في رينانيا كرمز لانتهار العسكرية البروسية .

وقبل ان تصدر عن بعض الدول المنتصرة الدعوة الى ترزع السلاح ، اعلنت حكومة باريس في العام ١٩٢٣ انها قررت خفض الانتاج الحربي الى الحد الأدنى . وعرضت على البرلمان قانون الخدمة العسكرية لمدة ثمانية عشر شهراً وقانوناً آخر يجعل مدة الخدمة الشخصية ثمانية وعشرين عاماً منها عام ونصف عام في الاحتياط الاول وثمانية اعوام في الاحتياط الثاني . واعتبر القانون الجنود في الاستبداد رجالاً تابعين للجيش العامل وقد انفكوا عنه مؤقتاً ليقتضوا اجازاتهم بين ذريعتهم واجازوا لوزير الحربية ان يدعو منهم من يرى لزوماً لدعوته .

وبموجب قانون تبعة ١٩٢٣ جعل قوام الجيش ٦٧٥ الف رجل منهم ٤٣٣ الفاً من الفرنسيين و١٢ الفاً من الاجانب و١١٣ الفاً من ابناء شمال افريقيا و١١٥ الفاً من المستعمرات . وقد وزعت هذه القوات على النحو الآتي : ٦٥ الفاً في رينانيا و ٢٩٣ الفاً في فرنسا و ٢٤ الفاً في الجزائر وتونس و ١٨ الفاً في مراکش و ١٧ الفاً في بلدان الشرق و ١٤ الفاً في المستعمرات .

قانون ١٩٢٧ . — تناول قانون ١٩٢٣ بالتعديل نظام التبعة دون سواء ، فبما قانون ١٩٢٧ فنظم الجيش تنظيمياً عاماً ، جاعلاً اياه ثلاثة اقسام : القوات المربطة في فرنسا وهي قوة الجيش العامل ، وقوات ما وراء البحار وهي مكلفة بحماية الممتلكات الفرنسية البعيدة ، والقوات المتحركة وقد اعدت للتدخل في الخارج اذا ما حدث ما يستدعي تدخلها .

وفي العام ١٩٢٨ وضع قانون خاص بملاك خباط الصف المسلحين ،

فأصبح لصف الضابط العادي ان يبلغ مستوى زميله المسلكي ويستمتع بامتيازاته وذلك اذا اثبت كفاءته وجدارته خلال خدمة تراوح بين اربع سنوات وست . وخفض القانون مدة الخدمة فجعلها سنة واحدة . وكان القانون السابق يخضع للخدمة من بلغوا العشرين من سنهم فجعل القانون الجديد سن الخدمة للواحدة والعشرين والفى الاستثناءات الغاء تاماً .

وجدد القانون عدد الفرق بالجيش المربط في فرنسا بعشرين فرقة مشاة وخمس فرق خيالة وثلاث فرق جوية . وجعل عدد الفرق في القوات المتحركة اربعاً يضاف اليها حضائر قوامها جنود فرنسيون وصينيون . واعتم القانون برفع مستوى ضباط الاحتياط ، فاضعهم لتثنية وتدريب خاصين .

غطاء الحدود . - جالت فكرة تحصين الحدود الفرنسية المقابلة للحدود الألمانية في رؤوس الفرنسيين والنزاع بعد في عامه الاول . وما ان وضعت الحرب اوزارها حتى انبرى الخبراء لدرس هذه الفكرة وتقدم فريق منهم بمقترحات ونصائح الى وزارة الحربية فاحالتها الى اللجان المختصة . ولكن مجلس الدفاع الاعلى لم يعرها بما تستحقه من التفات .

وفي العام ١٩٢٨ استطاع الجنرال ماجينو وزير الحربية انتزاع موافقة البرلمان على انشاء جهاز دفاعي مناسك بقي فرنسا شر المفاجآت . وفي خمس سنوات تم انشاء الخط الذي حمل اسم الوزير الذي تبنى فكرة بنائه وكلف الحزبة الفرنسية اموالاً طائلة .

وقد نص مشروع الجنرال ماجينو على تغطية الحدود من سويسرا حتى البحر ، ولكن الذين تعاقبوا في وزارة الحربية وفي مجلس الدفاع بعد سنة ١٩٢٨ اوتأروا الاكتفاء بتغطية المناطق الفرنسية المحاذية للحدود الألمانية مباشرة وتركوا المناطق الواقعة على محاذة الحدود البلجيكية مكشوفة اعتقاداً منهم

على خط «قناة الير» في البلبيك وعلى طبيعة الارض في منطقة
«بيدان» .

سابق . — ولم يكف الفرنسيون بتحصين حدودهم ، فقد عنوانه العام
١٩٣٢ بإنشاء فيلق مصنع ، واختلت وزارة الطيران تعنى بتسيمة السلاح
الجوي . وقام بين الضباط الشبان امثال «شارل ديغول» و«لاروك» من
يذهب الى انشاء جيش محترف بتدريب تدريجياً خاصاً على الحرب الميكانيكية
ويكون مجهزاً بوسائل آتية لجعله قادراً على مصالحة العدو في ميدان حرب
الحركات . ولكن القادة الذين كانت لهم الكلمة النافذة في الجيش ووزارة
الحربية اغربوا هذه الفكرة وقالوا ان الجيش المحترف يحمل الامة الفرنسية
عبئاً باعظاً ، وقد كفاهما ما تحمله في الحرب وفي انشاء خط ماجينو
الحصين .

وبعد وصول امر هتلر وحزبه الوطني الاشتراكي الى الحكم في المانيا
تجدد في فرنسا الجدل حول الاسلحة الميكانيكية والجيش المحفوف لان
المانيا الجديدة وجهت الى الدبابات والطائرات غاية خافية بعد نقضها معاهدة
«فرساي» . وكانت حجة المطالبين بالاكثار من الدبابات والطائرات وبتحصين
نوعها ان خط ماجينو لا يكون عنصر طمانينة بحد ذاته ما لم تدعمه قوات
متحركة . ولكن المسؤولين في هيئة اركان الحرب رفضوا اعطاء الاسلحة
الميكانيكية «اهمية لا تستحقها» واستشهدوا بأراء المارشالين «بيتان»
و«فرائش ديسبره» للتدليل على ضوولة الدور التي يمكن الطائرة والدبابة ان
تتلاءم في حرب عالمية ثانية تكون فيها فرنسا في خور حريز بفضل خط «ماجينو» .
وظل هذا الهمم مسيطراً على العقول بالرغم من كون خط «ماجينو»
غير كامل ، وما اظهرته الاختبارات ابان الحرب الاهلية الاسبانية . على ان

اغراق المانيا في التسليح وتفتتها في وضع الطائرات والدبابات والمدافع حلا
الفرنسيين على ابلاد الاسلحة الميكانيكية بعض العناية . ولكن انتاج
الطائرات والدبابات ظل بطيئاً لاسباب عدة ، اهمها جنوح العمال الى الاضراب
التيه بعد الفبة تحقيقاً لمطالبهم ، وتردد البرلمان الفرنسي في الموافقة على
اعتمادات الدفاع الوطني ، لئلا تثير ضخامتها مخاوف الجيران .

وفاجأت الحوادث فرنسا وهي تجه مستعدة لمواجهة . فمن احتلال
الامان رينانيا وتفضهم احكام معاهدة « فرساي » الى قضائهم على استقلال
النسا وتخلطهم علناً في الحرب الاسبانية . وقد تجلت قوتهم العسكرية
الاخذة بالنمو في هذه الحوادث جميعاً . وحاولت فرنسا ان تجاريهم في هذا
المضار قبل فوات الاوان . ولكن ارتباطك مالميتها وتعاقب الاضرابات في
المصانع ، وانقسام سياسيها شعباً واحزاباً متضاربة النزعات والاهواء ، وتفسخ
الجيش الفرنسي الذي تسلمت السياسة اليه من طريق قادته انفسهم ، هذه
العوامل كلها اتاحت لالمانيا ان تحتفظ بقصب الشبق ، وشجعنها في العام
١٩٣٨ على فرض مشيتها في « مونيخ » .

وفي « مونيخ » ولت فرنسا جليفتها روسيا ظهرها ، فارنكت بعدا هذا
غلطة استراتيجية استغلها الالمان استغلالاً بارعاً ، فعملوا بعد احتلالهم
تشكوسلوفاكيا على التقرب من الاتحاد السوفياتي ، ليتسنى لهم ان يضربوا
ضربتهم في الغرب وهم مطمئنون الى نيات جارتهم الشرقية . وهذا ما حاول
غلبوم الثاني تحقيقه سنة ١٩١٤ ، ولكن التوفيق لم يعالقه .

٢ - كارثة ١٩٤٠

كانت كارثة ١٩٤٠ نتيجة طبيعية للعوامل التي اسلفنا ذكرها . فقد
خاضت فرنسا مخزات حرب لم تكن مستعدة لها . وشجعها اعتمادها المبالغ
الجيش الفرنسي

فيه على غطاء الحدود، على القيام بأخطر مغامرة في تاريخها، دون أن تكون واثقة من مقدرة حلفائها على مساعدتها.

وقد ذهب الخبراء العسكريون مذاهب شتى في الحكم على مسلك الجيش الفرنسي في الحرب العالمية الثانية. فمنهم من أعطى عنه صورة تظهره بمظهر الجيش المنسحق المنكسك الاوصال، وزعم أنه رفض القتال لأن الدعاية ادخلت في روعه أنه مسوق إلى الحرب للدفاع عن مصالح الرأسماليين. ومنهم من أصرى بطولية الجيش واندفاعه وحمل القادة والرؤساء تبعه الحزينة لأنهم ما أحسنوا أعداد البلاد للحرب ولا عرفوا أن يتجنبوا النزاع.

معارك ال ٤٥ يوماً. — نشبت الحرب العالمية الثانية في أول أيلول ١٩٣٩ فشدت فرنسا قواتها على الحدود في غضون النصف الثاني من الشهر المذكور، وأرسلت بريطانيا حملة إلى القارة بقيادة الجنرال «غورت» فاحتلت مراكزها عند مسيرة الفرنسيين.

فواجه الجيشان الفرنسي والألماني طيلة سبعة أشهر لم يتخطيا سوى مناوشات بسيطة. وكان الأول يحتل مواقعه على طول الحدود الشمالية من البحر حتى الحدود السويسرية، وكان الجناح الأيمن، من «لونغيون» حتى «بال»، يعتمد على خط التحصينات المعروف عند العامة بخط «ماجينو».

وفي العاشر من أيار سنة ١٩٤٠ كانت القوات الفرنسية المنتشرة على طول الحدود تتألف من ثلاثة جيوش: من البحر حتى «لونغي» كان يربط الجيش الأول بقيادة الجنرال «بيوت»، ومن «لونغي» على طول ضفاف الرين حتى منطقة «سيلستا» كان يربط الجيش الثاني بقيادة الجنرال «بريتيلا»، وأبتداء من منطقة «سيلستا» حتى حدود سويسرا كان يربط الجيش الثالث بقيادة الجنرال «بيتون».

كان الجنرال جيرو يقود الجيش السابع المنفوخ من الجيش الاول الكبير . وكان يؤلف الجناح الاقصى للجيش المذكور ويرابط على طول الساحل ، استعداداً للاندفاع نحو البلجيك اذا ما قررت القيادة العامة ذلك .

والى بين الجيش السابع كان يرابط الجيش البريطاني بقيادة الجنرال « غورت » ملتقاً حول المدن التالية : « ليل » ، « روبه » ، « توركوآن » . وكان هذا الجيش يتألف من ثلث فرق . والى بين الجيش البريطاني كان يرابط جيش الجنرال « بلانشار » المؤلف من ثلاث فرق افريقية بمنازة وفرقتين ميكانيكيتين خفيفتين وفرقة مشاة من الاحتياط الاول . وكان هذا الجيش يعتمد على منطقة « اويوج » التي تشطر وادي نهر « سامبر » شطرون .

وبين نهري « سامبر » و « الموز » احتل الجيش التاسع بقيادة الجنرال « كوراب » منبسط « روكروا » وانتشر على خفة نهر « الموز » حتى جنوب « ميزير » . وكان هذا الجيش يتألف من فرقتي خيالة وكتيبة من الصباحيين انتشرت شرق نهر « الموز » .

ووراء الجيش التاسع وجيش الجنرال « بلانشار » ، احتشدت القوات الاحتياطية التي احتفظت بها اركان الحرب العامة اذا ما دعت الحاجة للتدخل في البلجيك . وكانت هذه القوات تتألف من ثلاث فرق سيارة وفرقتين عاملتين ندعهما جميعاً ثلاث فرق مصفحة .

وكان الجيش الثاني بقيادة الجنرال « هونتيجير » يؤلف الجناح الايمن من الجيش الاول الكبير ، وكالجنوش التي تقدم ذكرها ظل هو ايضاً خارج خط التجهيزات ولكن جناحه الايمن كان يستند الى حصون « لونغيون » . وكان مركز الجيش الثاني يتيح له ان يؤلف نقطة الارتكاز اذا ما قررت اركان الحرب الاندفاع نحو البلجيك .

وكانت الكتلة الثانية بقيادة الجنرال «بريتيلا» تتألف من ثلاثة جيوش فرعية هي التالية :

١ - الجيش الثالث بقيادة الجنرال «لوند» تمتد خطوطه من «لونغبون» حتى «سارلوي»، وإلى يساره أمام «الوكسبورغ» فرقة من الحيلة أعدت للدفاع نحو الامارة الصغيرة إذا ما حاول الألمان مهاجمتها . ووراء الحيلة كانت تربط فرقة مشاة وست فرق من الاحتياط الاول .

٢ - الجيش الرابع بقيادة الجنرال «ريكان» وكانت خطوطه تمتد من «سارلوي» .

كانت طبيعة هذا الجيش مؤلفة من فرقتين من الجيش العامل تعززهما فرقتان احتياطيتان ، أما خطوطه فكانت تمتد من قيس «سارلوي» حتى مرتفعات «سارنغن» أي أنه كان يربط في خط «ماجينو» .

٣ - الجيش الخامس بقيادة الجنرال «بوريت» . كان هذا الجيش يغطي الزاوية الشمالية الشرقية من فرنسا ، أي أنه كان ضمن خط «ماجينو» أيضاً كالجيش الرابع . لذلك لم يكن معزواً بقوى مصفحة كبرى ولا بفرق الحيلة . وكان يتألف ، عدا الفرق التي كانت داخل الحصون ، من فرقتين عاملتين تعززهما فرقتان احتياطيتان على حدود نال «بالان» ومن فرقة احتياطية مرابطة أمام غابة «هينغو» . ووراء هذه القوى جميعاً كان يمتد خط دفاعي آخر حدث فيه ثلاث فرق احتياطية .

أما الكتلة الثالثة بقيادة الجنرال «بينسون» ، فكانت مؤلفة كما يلي : الجيش الثامن بقيادة الجنرال «غارثيري» ، وكان يؤلف الجناح الأيمن الأقصى للجيش الفرنسي كله ، وكان عليه أن يحول دون تسلل الألمان من نقرة «بلفور» . لذلك امتدت خطوطه من شمال «سيلستا» حتى «مونييه» ،

وكان يعززه فرقة من الصباحين ترابط عن يمينه .

وكان الجيش الثامن يتألف من قوى مرابطة في الحصون ، ومن ثلاث فرق عامة ، وأربع فرق من الاحتياط الثاني .

وكان يرابط وراء جيوش « الألاس » و « اللورين » جيشان احتياطيان كبيران ، أحدهما أعد للانفداع نحو « سويسرا » إذا ما حاجها العدو ، ويتألف من ثلاث فرق احتياطية ، والآخر مؤلف من ثلاث فرق عامة احتفظ بها الجنرال « غاملان » لجهة « الألب » التي كانت جيوشها بقيادة الجنرال « أورلي » .

خطة القيادة . - في العاشر من أيار ، بينما كان الألمان يتحاربون « هولندا » و « بلجيكا » و « اللوكسمبورغ » كانت جيوش شمال فرنسا ، من البحر حتى نهر « الموز » ، تندفع الى الامام بالشكل التالي :

عهد الى الجيش السابع المرابط على طول الساحل ، بان يتقدم حتى غرب « انفرس » في « بلجيكا » . وقد تقدم هذا الجيش واحتل المراكز التي عينت له ، اي انه أصبح على حدود « هولندا » التي تغلف مصب نهر « الايسكو » . وكان على الجيش السابع - في حال امتداد التدخل الفرنسي في « هولندا » - ان يحتل الضفة النهر .

ولم تعد القيادة الفرنسية الى الجيش البريطاني مهمة معينة ، لانه كان خاضعاً لامرة الجنرال « غاملان » بالاسم فقط ، لذلك تولى الجنرال « غورت » وضع خطة العمل لجيشه ، فقرر ان يحمي الجيش البريطاني رقعة جسر « غاند » حيث يلتقي نهر « الايسكو » و « ليس » على ان يشد في الوقت نفسه ازر حامية « انفرس » .

اما البلجيكيون فقد طلبوا ان يتركهم الدفاع عن « لوفان » . وهذا

التعديد يعني ان خط « لوفان » - « فاقر » كان الحد الأقصى المقروض
لحلف الجيش البريطاني .

وكان على الجيش الاول ان يحشد في جبهة تمتد من « فاقر » وتنتهي بعد
« نامور » ، ويحول دون تسلل العدو من ثغرة « غمبلو » . اما الجيش
التاسع فقد صدر اليه الامر بالتمركز على نهر « الموز » من « نامور »
حتى « جيفه » .

وعهد الى فرق الخباله بان تفصل عن الجيشين الاول والتاسع وتندفع نحو
الخطوط البلجيكية على الحدود حيث يكون الجيش البلجيكي منصرفاً الى
عرقلة تقدم العدو ومنعه من اجتياح الحدود بسرعة .

وفي الوقت نفسه يطلق الجيش الثاني خيالاته الى الامام في منطقة
« الاردن » البلجيكية حتى منطقة « ارلوث باستوني » على ان تكون
بلدة « سان هوير » نقطة الاتصال بين الجيشين الثاني والتاسع .

وهكذا يتبين لنا ان جيوش الحلفاء لم تدخل بلجيكا للقيام بعمل هجومي ،
بل كانت خطة القيادة ترمي الى تركيز الجيوش في جبهة دفاعية تمتد من
« انفرس » الى « لوفان » الى « فاقر » الى « نامور » ، والى لم شعت
الجيش البلجيكي في حال تراجعهم .

قوى الطرفين . - في العاشر من ايار كان الجيش الفرنسي يتألف من
مئة وخمسين فرقة مشاة (الفرقة ١٥ - ٢٠ الفاً) يتألف من مجموعها خمسة
وثلاثون فيلقاً .

وكانت القيادة العامة قد حشدت اربعة اجناس هذا الجيش في الجبهة
الشمالية الشرقية على حدود المانيا وبلجيكا . ففي هذه الجبهة حشدت
القيادة ٩١ فرقة وضعت تحت امرة الجنرال « جورج » الذي كان رئيساً

لأركان الحرب ومعاوناً للقائد العام الجنرال غلامان .

أما استبقاء سائر الفرق خارج الجهة الشمالية الشرقية فقد كان الغرض منه استخدامها في الجهة الجنوبية الشرقية إذا ما تدخل الإيطاليون في النزاع لمصلحة الألمان .

وفضلاً عن الفرق الفرنسية الواحدة والتسعين التي كانت محشدة في الجهة الشمالية الشرقية ، كان هناك أيضاً عشر فرق بريطانية وفرقة بولندية واحدة ، أي أنه كان تحت إمرة الجنرال « جورج » ستة فرق وفرقتان ، منها ثلاث عشرة فرقة أعدت للدفاع داخل خط « ماجينو » في « موبج » و « الأردن » وفرق إشبالة المختلفة .

وعلى هذا لم يكن جيش الميدان الفرنسي يتألف من أكثر من سبع وستين فرقة مشاة منها ٣٩ فرقة من الجيش العامل ، وعشرون فرقة من الاحتياط الأول ، وست عشرة فرقة من الاحتياط الثاني .

وكان لدى الفرنسيين فرق خيالة تضاف إليها خمس كتائب خيالة منها ثلاث كتائب صابحة .

أما الوحدات الميكانيكية الكبرى فكانت تتألف من ثلاث فرق خفيفة وثلاث مصفحة ، وامتازت هذه الأخيرة بالمناورة والقوة ، وقد قست إلى كتيبتين من الدبابات أحدهما ثقيلة ومعروفة باسم الدبابة « ب » والآخرى خفيفة من طراز « هوكيس » ، يضاف إليها شُرعة من القناصة الذين يجاربون تمطين سيارات مصفحة ، وفرقة مشاة ، وفرقة مدفعية ضد الدبابات ، وعناصر هندية مختلفة .

وفد نبين بعد الملحق الكبير أن كل فرقة مصفحة فرنسية كانت معززة بـ ١٥ دبابة ، والألمانية بخمسة . ونبين أيضاً أن الدبابات التي وضعت تحت

نصرف الفرق العاملة كانت حديثة الطراز . اما الدبابات التي وضعت تحت تصرف الجيوش الاحباطية فقد كان معظمها قديم العهد يعود نصفه الى الحرب الماضية والنصف الآخر الى السنوات الاولى التي عقيت الهدنة .

وبحسب الاعتراف بالالمان احسنوا استعمال دباباتهم الكثيرة لانهم تمروا على استعمالها مدة غير قصيرة . اما الفرنسيون فقد اخرج معظم دباباتهم الحديثة من المصانع في تيان ، ولم ينس للجنود والضباط ان يتمروا على استعمالها التمرين التكتافي .

وكان من الطبيعي نجاح هذه الحيلة ان يتفوق سلاح الدبابات الالمانى تفوقاً ساحقاً ، فقد كان للفرنسيين دبابة مقابل عشر دبابات يملكها اعداؤهم . اكتشفت القيادة الالمانية خطة عسكرية جديدة بفضل الدبابات ، وكانت لهذه الخطة اثر كبير في توجيه بحرى الحرب . فلما دى العسكرية كانت تقول انه لا يجوز للجيش المهاجم ان يغامر بنفسه في دفع جناحيه الى امام لينغلا في خطوط العدو اذ يتعرض الجناحان لخطر الهجوم من جهتين .

على هذا الاساس كانت تجري الهجمات الحربية منذ عدة فرون ، فلا تدفع القيادة بالجناحين الا اذا كان الصدر قريباً يتحرك ابضاً مع الجناحين . بيد ان القيادة الالمانية اكتشفت قبل الحرب ان الخطر الذي يتعرض له الجناحان اذا توغلا في خطوط العدو ليس اكبر من الخطر الذي يتعرض له خطوط العدو نفسها بسبب ذلك التوغل .

لذا قررت القيادة الالمانية استعمال خطة دفع الجناحين الى الامام بدلا من كبح تقدمهما . وبدلا من ان يكون للجيش جناحان فقط بتوغلات في خطوط العدو ، جعلت له عشرات الاجنحة او الخطوط ، على ان يجري التوغل في كل مكان ممكن .

ثم ناطت القيادة تطبيق هذه الخطة بالدبابات، فهدت الى امراض منها مهمة التوغل بدلاً من المشاة . وفعلًا رأينا الدبابات الألمانية في معارك الجبهة الغربية تهاجم خطوط العدو في كل مكان، فاذا استطاعت ان تخترقها وتتوغل فيها، تتابع تقدمها دون الاهتمام بالمؤخرة او بالخطر الذي يهددها من الجانبين، فلا تترك بضع ساعات على توغلها حتى تبلغ سؤخرة العدو وتشر فيها الغوصي . ويمكن القول ان بنمور الاثر الذي أحدثته هذه الخطة، عندما يدرك ان مئات « الاجنحة » كانت تتوغل في الصفوف المحمية فتخترقها وتعبث عساراً في المؤخرة، فتعزل دون تأمين الاتصال بين المؤخرة والمقدمة، ثم تهاجم العدو من الخلف بينما يهاجم المشاة من الامام والجيران من فوق، فيقع بين ثلاث نيران .

اما الخطة العامة التي اعتمدتها القيادة الألمانية في اجتياح الاراضي الفرنسية فهي صورة طبق الاصل عن خطة « فون شليفن » المعدلة . وقد اعطت المصفعات والطائرات المعركة طابعاً متحركاً منذ اللحظة الاولى وسهلت لعناصر الاختراق مهمتها الى حد كبير . وهي مهمة نبطت في الحرب العظمى الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) بالدعوة الضخمة . اما حرب الحركات فقد تولاهها في ذلك العهد فرق الجبال . وفي الحرب العظمى الثانية اسند الالماني هذا الدور الى الدبابات تدعماً للطائرات، لان اخبارات المعارك الاخيرة في الحرب العظمى السابقة علمتهم ان الدبابات هي سلاح الهجوم الرئيسي . وهو ما اكتشفته الفرنسيون قبل سواهم ولكنهم انفلوا العناية بهذا السلاح العظيم انكساراً منهم على خط ماجينو من جهة وعلى مبدأ السلامة الاجماعية من جهة اخرى، هذا المبدأ الذي اخلصوا هم الى « موتخ » بينما كان سواهم يعمل سراً على نفس المبادئ التي تستند اليه، اي الى المبدأ، لان بعضها

لا يتفق ومعالجه في القارة .

فلما انت الدبابات والطائرات التي واجه بها الفرنسيون الهجوم الالمانى في العاشر من ايار والايام التالية ، كانت اضعف من ان تقوى على صد العدو ، فقد كان للامان التفوق الساحق نوعاً وكمية وتكتيكاً . والغريب ان الفرق الفرنسية التي عهت اليها القيادة العامة في ١١ و ١٢ ايار باتت توقف دفعة العدو الخطرة كانت مجهزة بثمة وثمانين دبابة ، وستين مدفعا مضاداً . مع ان الطيران الاستطلاعي اخطر المقرر العام بان العدو يهاجم في ذلك القطاع بثلاثة دبابه تدعها الف طائرة . وقد جربت القيادة ، امام عجزها عن مجاراة الالمان في استخدام الدبابات بصكوة ، جربت وقف الزحف المعادي بجملات تشبه الحباله ، فكان نصيب التجربة الاخفاق التام . ومقابل الوف الطائرات الالمانيه التي اخذت الفضاء منذ اللحظة الاولى للهجوم لم يستطع الحلفاء ان يطلقوا اكثر من الف وتسعة طائرة . فلا عجب والحاله هذه ان رأينا الجيش الالمانى يصفي حساب الجيش المتصانف في بضعة اسابيع ، بعد تسلمه من تغرة سيدان ولله حول خط ماجينو ، هذا الخط الذي لم يقد فرنسا شيئاً لانه ظل ناقصاً . ولم يكن عبور الالمان انهر « الحوز » و « السوم » و « الأبن » وتكتيكهم عرى الجبهه المتصافه في « الفلاندر » نتيجة اخطاء ارتكبتها القيادة . انما كانا نتيجة طبيعيه لتفوق الوسائل الالمانيه ذلك التفوق العظيم . نعم اخذ بعض القراء على الجنرال « غاملان » اخراجه الفرق الفرنسيه من مراكزها الحصينه على الحدود ليدفع بها الى داخل البلجيك وهولندا ، ولكن عمل « غاملان » لا يشكل الغلطه الاستراتيجيه التي يتوهم عليها انهيار جبهة وهزيمة جيش . فقد خسرت فرنسا ، في تاريخها ، اكثر من معركة حدود ، ولكنها كانت دائماً تكتبح

جماح اتعدو على ارضها . فهزيمة ١٩٤٠ ليست هزيمة عسكرية بالمعنى الصحيح لان الجيش الفرنسي ظل سليماً حتى اللحظة الاخيرة ، وقد كانت له مواقف بطولية على « السوم » شهد بها الالمان انفسهم واعترفوا بان افتقار خصومهم الى العناد الحديث عطل بالكارثة .

لقد كان لفرنسا في الحرب العالمية الثانية جيشها ، وكان لهذا الجيش قاده ، اما اسباب الهزيمة فيجوز ان نتحررها على ضوء معركة ال ٤٥ يوماً دون ان تتسرع بالحكم على الجيش الفرنسي كمؤسمة وطنية لها تاريخها المجيد . فالسبب الهزيمة الظاهرة هي عجز الجيش عن الصمود في وجه اعظم آلة حربية في تاريخ الحروب الحديثة . اما الاسباب الحقيقية فكامنة في عوامل ذات صلة وثيقة بنظام الحكم الفرنسي ، وبالاتظمة العسكرية التي لم يتدخل عليها ، بعد سنة ١٩١٨ ، سوى تعديلات سطحية . وهي عوامل لم يلق عليها بعد نور كاف كي يجوز للمؤرخ ان يقف عندها ويتبسط بشرحها .

٣ - جيش فرنسا الحاربة

غابت فرنسا ، كدولة عسكرية ، على امرها . الا ان روحها صكامة حية لم تغلب . وكما حدث بعد كارثة ١٨٧٠ عقب فائدة وزعماء يستنضون الحمم ويدعون الى مواصلة الكفاح في الوطن الام وفي الامبراطورية ، لان فرنسا خسرت معركة ولكنها لم تخسر الحرب ، على حد قول الجنرال شارل ده غول . ولئن يكن الزعماء الفرنسيون قد انتقموا احراراً لم يسلموا بالهزيمة النهائية ، وتعاونيين خرجوا من معركة ال ٤٥ يوماً مقتنعين بان بلادهم خسرت الحرب ، فقد ظل الشعب الفرنسي في صميم المعركة ، لان الفدنة التي كرسها هزيمة فرنسا لم تمنعه بان الحرب انتهت بالنسبة اليه . فابى الا مواصلة الكفاح في السر والعلانية . وما ان ارتفع صوت الجنرال

« ده غول بالدعوة المي حمل السلاح في الوطن الام والامبراطورية حتى لبس مواطنوه النداء . وثأقت في افريقيا الاستوائية نواة جيش فرنسا الحرة بقيادة ضباط بشاطرون زعيم هذه الحركة التحررية رأيه في الحرب الميكانيكية ، وقد شمع من هؤلاء القادة الشباب : « لوكاير » و « كونيغ » و « دولارمينا » في مواقع الصغاري الافريقية ومعارك تونس . وفي الوقت نفسه كانت عناصر المقاومة في الوطن الام تتجمع وتقاوم الاحتلال ومباشرة التعاون بوسائلها المحدودة .

فما جيش فرنسا المحاربة نبعاً لنمو الحركة التحررية ، وحرص الجنرال « ده غول » منذ اللحظة الاولى على تجهيز قواته بالذبابات والطائرات لانه اول من اكتشف اهمية هذين السلاحين ودعا الى تعزيزهما منذ ١٩٣٣ . وبعد نزول الحلفاء في شمال افريقيا سنة ١٩٤٢ خف القائد الفرنسي البها من لندن حيث عني بتنظيم الجيش الفرنسي والجيش الافريقي على اسس جديدة وامن الاتصال بين الجزائر ومراكز المقاومة الداخلية في فرنسا ، وراح يغذي هذه المقاومة وينشطها . فلما دقت ساعة الخلاص ، وتزل الحلفاء في مقاطعة نورمدي الفرنسية في حزيران ١٩٤٤ ، وجدوا في قوات المقاومة هذه عضداً قوياً ومساعداً ثميناً .

وبعد تحرير فرنسا دعم « ده غول » قوات المقاومة في الجيش النظامي وسمح لها بان تحتفظ بشاراتها وراياتها وضباطها حتى نهاية الحرب في اوروبا ووربما تضع الجمهورية الرابعة اسس التنظيم العسكري الجديد . هذه لمحة موجزة عن جيش فرنسا المحاربة ، هذا الجيش الذي غل غار المظبية وانقذ شرف فرنسا فاستعادت مكانتها كدولة عظمى واستأنفت السير قدماً في طريق المجد .

الفصل الرابع عشر

جيش المستعمرات

في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ وضعت المستعمرات والحصص الفرنسية تحت إمرة القيادة العامة نحواً من سبعة ألف مقاتل ، وقد مثلت هذه الممتلكات دورها في الحركة التحريرية التي تزعمها الجنرال ديه غول . ولم تكن مساعدة الممتلكات في الجهود الحربية الفرنسية نتيجة تدمير مرئجل اذا كانت قوة تنظيم موثق يرقى الى مطلع القرن العشرين . في السابع من غوز ١٩١٠ انشأت الحكومة الفرنسية جيشاً جديداً سمته « جيش المستعمرات » والحقة بوزارة الحربية ، الا انها وضعت له نظاماً خاصاً وجعلت ميزانيته مستقلة عن موازنة الدولة . وقد جعل قوام هذا الجيش ستة وعشرين كرويساً (آلاي) منها تسعة عشر كرويس مشاة وسبعة كرافيس مدفعية . وضم قوات فرنسية وأخرى عثت في الممتلكات باستثناء افريقيا الشمالية .

١ - القوات السنغالية

تضم القوات السنغالية مقاتلين عثوا في افريقيا الغربية وافريقيا الاستوائية ، وتضم الاولى خمس مستعمرات هي « السنغال » و « نيجريا » و « غينيا » و « الشاطي » العاجي » و « داغومي » . والسنغال هي اقدم مستعمرة فرنسية هبطها التجار

الفرنسيون في القرن الرابع عشر . وقد انشئ أول فوج من الرماة السنغاليين في العام ١٨٥٧ . ولكن استعمار البلاد لم يكن سهلاً فقد كلف الفرنسيين غناء كبيراً ولم يطمثوا إلى مائة الوضع الجديد إلا قبل نشوب الحرب العالمية الأولى بوضع سنوات ، وبعد أن اخضعوا أفريقيا الغربية كلها لحكومة مركزها دكار عاصمة « السنغال » .

أفريقيا الاستوائية . - وضعت أفريقيا الاستوائية تحت سلطة حاكم عام في العام ١٩٠٨ وهي تضم « غابون » و « الكونغو الأوسط » و « أوبانغي شاري » و « تشاد » . وبعد الحرب وضعت بلاد « كامرون » تحت الانتداب .

وكان نواة الإمبراطورية الفرنسية في هذه البقاع قسم من منطقة مصب نهر « غابون » استولى عليه الفرنسيون سنة ١٨٣٩ واتخذوا منه قاعدة لتوسيعهم مستعمرين يادى ، ذي بدء القوات « السنغالية » ، ثم القوا سنة ١٨٨٣ حملة خاصة عززتها كتائب من أبناء البلدان التي اخضعت قبل سواها .

أهمية القوات السوداء . - كان جيش المستعمرات عند نشوب الحرب العالمية الأولى يضم سبعة وثلاثين فوجاً ، وعشر بطاريات ، وثلاث سرايا خيالة ، وكتيبتى هندسة . وفي العام ١٩١٧ ارتفع عدد الأفواج السوداء إلى واحد وأربعين ، وفي العام التالي إلى تسعين .

وفي الحرب العالمية الثانية كان عدد الفرق السوداء في فرنسا وأفريقيا الشمالية اثنتي عشرة .

٢ - قوات الهند الصينية

استولى الفرنسيون على الهند الصينية في عهد الإمبراطورية الثانية وساهم في احتلالها قوات جزائرية . وقد بدأ التوسع الفرنسي في تلك البلاد

الاسيوية سنة ١٨٥٨ باحتلال اراضي « كوشن » و « كامبودج » . وبعد عشر سنين على الاحتلال انشئت الميليشيا المحلية والحقت بجيش المستعمرات .

وسيطت فرنسا حمايتها على « انام » و « تونكان » سنة ١٨٨٥ بعد نضال طويل شاق .

وفي الحرب العالمية الاولى وضعت الهند الصينية ٤٣ الف مقاتل تحت امره القيادة الفرنسية العامة ، واستخدم من ابنائها في اعمال المؤخرة خمسون الف رجل ، فكان هؤلاء واولئك مثال الاخلاص والامانة . وهذا ما اهاب بوزارة الحربية الفرنسية خلال السنوات التي سبقت النزاع العالمي الثاني ان تشجع حركة التطوع في تلك البلاد ، حتى اذا دعت الحاجة الى اعلان التعبئة العامة توفر لديها قطعات مدربة ، تمسست على اساليب الحرب الحديثة .

٣- قوات المستعمرات الصغيرة

مدغشقر . - اهم الفرنسيون مدغشقر في عهد الكودينال « ريشليو » الذي انشا في جنوب الجزيرة قاعدة صغيرة « فوردوفين » . وفي الثلث الاول من القرن التاسع عشر ارسلت حملة فرنسية الى الجزيرة لان ملكتها باءت مواطناً فرنسياً في سوق النخاعة ، فاجتلت مدينة « تاماتاف » . وفي عهد لويس فيليب احتل الفرنسيون جزيرة « مايبوت » و « نوي - به » ، وسيطروا على ساحل مدغشقر الغربي . ولكن ملكة الجزيرة نفخت في بوق الثورة بنحريض من الاوروبيين الذين ساءهم تركيز الفرنسيين في تلك البقاع ، فقمعت حملة الاميرال « ميبوت » الثورة واعانت الجزيرة بحية فرنسية . الا ان الاحوال لم تستقر الا في مطلع القرن الحالي .

تطوع في الحرب العالمية الماضية أربعون ألفاً من أبناء مدغشقر في جيش المستعمرات . فكانوا محاربين أشداء ولحق معظمهم في معارك « فردون » و « السوم » و « المارن » . وفي الحرب العالمية الثانية بلغ عدد المجندين من « المالغاش » (الاسم الذي يعرف به أبناء مدغشقر) سبعة آلاف وقد ساهوا في الحركة التحريرية التي توجها الجنرال شارل ده غول .

مجنودو الممتلكات الصغيرة . - جنود الممتلكات الفرنسية في المحيط الهادئ . خلال الحرب العالمية الأولى فوجاً من الرماة ينتمي معظمهم الى قبائل « كلانك » . وجند الصومال الفرنسي (افريقيا الشرقية) فوجاً ساهم في معارك « فردون » و « الاين » و « مالميزون » . وقدمت جزر « الرينيون » و « غوادلوب » و « المارتينيك » سبعة آلاف مقاتل ، سقط منهم في ساحات القتال اكثر من الثلث .

قوات افريقيا الشمالية . - تقدم معنا في سياق السلام عن الحملة الفرنسية في الجزائر ، ان قادة هذه الحملة فتحوا باب التطوع لقبول ابناء البلاد وانشأوا وحدات من « الزواف » .

وبعد ان ثبت الفرنسيون اقدامهم في تونس انشأوا سنة ١٨٨٤ كركودساً من الرماة التونسيين ، فكان نواة للفيلق التونسي الذي ابلى بلاء حسناً في الحملات التأديبية التي كانت الهند الصينية ومراكش مسرحاً لها .

وفي الحرب العالمية الاولى وضعت الجزائر تحت امرة القيادة العامة ١٩٦٦ ألف مقاتل ووضعت تونس خمسين ألفاً ، وقد اشترك هؤلاء واولئك في معارك الحدود وكانت لهم مواقف رائعة .

اما مراكش فقد حالت الثورات التي نشبت فيها دون مساهمتها في مجهود افريقيا الشمالية العسكري على نطاق واسع . وقد ساهمت افواج « القوم »

في الحملات الأدبية التي بدأت سنة ١٩٠٦ وانتهت سنة ١٩١٣
 تحت الشرائع لبوني ، وما ان نشبت الحرب العالمية الاولى حتى توقف اول
 كوردوس من الوحدة المراكشيين ، وانشأ الكوردوس الثاني سنة ١٩١٧ ،
 وفي العام التالي ظهر في الميدان اول لواء من الحباله الضاحيين .

المراجع

المصادر العربية :

ابن خلدون	كتاب العمر	طبعة مصر
ابن الفراء	تاريخ ابي القدا.	طبعة مصر
ابن بطوطة	رحلته	
ابن جبير	رحلته	
محمد كرد علي	خطط الشام	
الباسي ابو سبكه	تاريخ نابوليون	صادر ، بيروت

المصادر الفرنسية :

Pierre Dauzet	GLORIA, <i>histoire illustrée de la guerre 1914-1918</i> , Hachette, 2 ^e éd. Paris.
Général J. Colin	LES GRANDES BATAILLES DE L'HISTOIRE, <i>de l'Antiquité à 1913</i> , Flammarion, Paris 1919.
Joseph Reinach	FRANCIA, <i>histoire illustrée de la France</i> , Hachette, Paris 1920.
Colonel J. Revol	HISTOIRE DE L'ARMÉE FRANÇAISE, Larousse, Paris 1929.
F. Funck-Brentano	L'ANCIEN REGIME, Fayard, Paris 1926.

- Jacques Bainville HISTOIRE DE FRANCE, (2 V.) *Plon, Paris* 1933.
- Général J. Colin LES TRANSFORMATIONS DE LA GUERRE, *Flammarion, Paris* 1937.
- Général Weygand HISTOIRE DE L'ARMÉE FRANÇAISE, *Flammarion, Paris* 1938.
- Charles de Gaulle LA FRANCE ET SON ARMÉE, *Plon, Paris* 1938.
- Louis Lévy VERITES SUR LA FRANCE, *Edition Pingouin, Londres* 1941.
- Charles de Gaulle VERS L'ARMÉE DE METIER, *Les Lettres Françaises, Beyrouth* 1942.
- André Maurois MEMOIRES (2 V.) *Editions de la Maison de France, New-York* 1942.
- Pertinax LES FOSSEYEURS, *Editions de la Maison de France, New-York* 1943.
- Pierre Cot LE PROCES DE LA REPUBLIQUE, *Editions de la Maison de France, New-York* 1944.

فضلاً عن عشرات المقالات والمباحث المنشورة في مجلات عربية وفرنسية خلال السنوات ١٩٤٠ - ١٩٤٥ ، نذكر منها « الحرب الجديدة المصورة » و « الشرق العسكري » الصادرين في بيروت ، و « الجيش المصري » الصادرة في القاهرة ، و La France Libre الصادرة في لندن .

فهرس

٦	المقدمة
٨	توطئة
١٠	أقدم الجيوش الفرنسية
٣٣	جيوش العهود الاقطاعية
٥٧	حرب المئة سنة
٨٠	نشأة الجيش الملكي
١٠٣	جيوش العهد الذهبي
١٣٠	الجيش في القرن الثامن عشر
١٥٠	جيوش الثورة
١٦٥	جيوش العهدين القنصلي والامبراطوري
١٩٤	الجيش الفرنسي بين ١٨١٥ - ١٨٧٠
٢٢٥	جيش الجمهورية الثالثة
٢٤٧	الحرب الكبرى ١٩١٤ - ١٩١٨
٢٦٩	العود الى السلم المسلح
٢٨٥	جيش المستعمرات

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00507883

